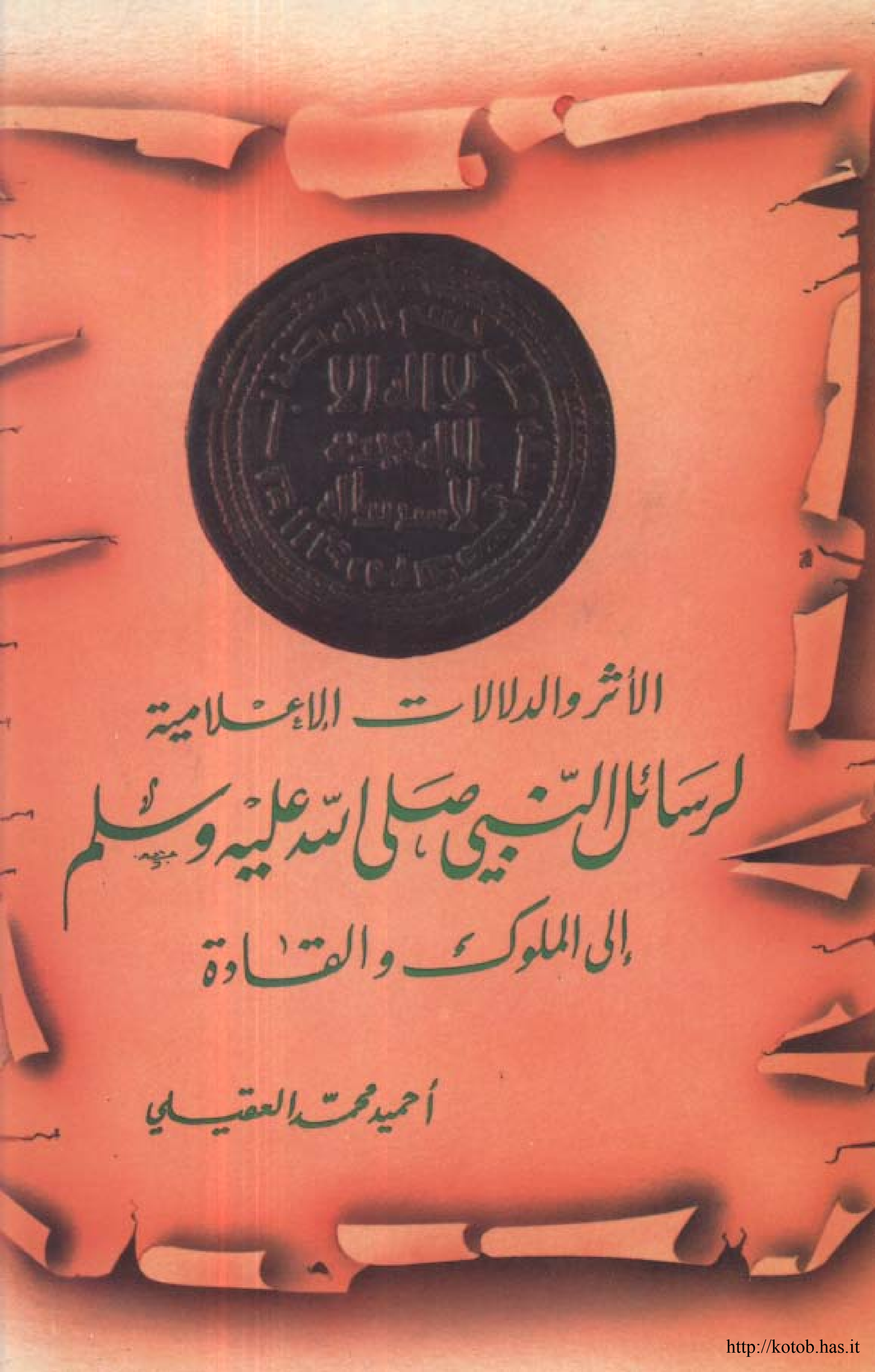


الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة

أحميد محمد العقيلي



الأثر والدلالات الإعلاميّة

لرسائل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم

إلى الملوك والقادة

أحميد محمد العقيلي

الطبعة الثانية

ⓒ أحميد بن محمد العقيلي، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العقيلي، أحميد بن محمد

الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة.

الرياض.

٢٨٤ ص : ١٧ × ٢٤ سم

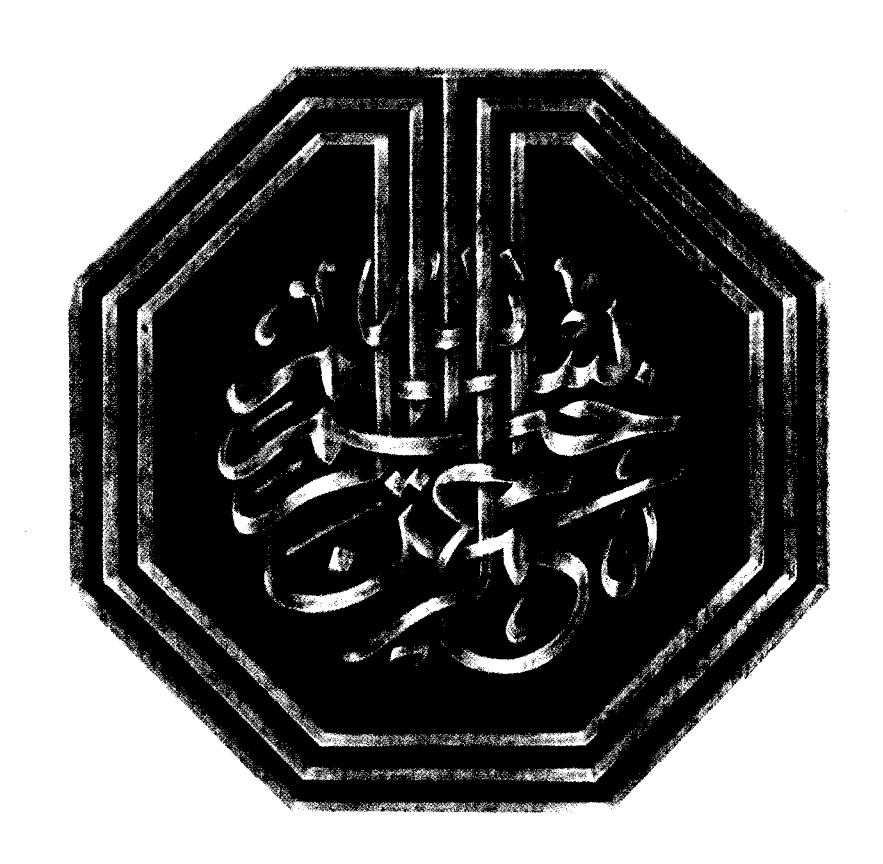
ردمك ٤-٧٣٧-٣١-٩٩٦٠

١- الدعوة الإسلامية ٢- السيرة النبوية أ - العنوان

ديوي ٢٣٩,٤ ١٧/٢٠٦٦

رقم الإيداع : ١٧/٢٠٦٦

ردمك : ٤-٧٣٧-٣١-٩٩٦٠



الطبعـة الثانيـة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م
الريــاض

مطابع الشرق الأوسط ـ الرياض
ت ٤٠٢٧٦٣٣

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي المربي والمعلم للكتاب والحكمة، الذي حقق برسالته الخالدة النقلة الكبرى للأمة الأمية من موقع العزلة والتخلف والجهل إلى مقام السيادة، ومن الشتات والضلال إلى الوحدة والوحدانية الخالصة لله. قال تعالى ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة : ٢).

إن صاحب الدعوة النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يتح لدعوته ما يتاح من وسائل الدعوة هذه الأيام بل كانت حسبما يوحي إليه ربه فهي الرسالة الخالدة لخير أمة أخرجت للناس لأنها رسالة الدنيا والآخرة للأمة الوارثة لجميع مواريث النبوات والرسالات، والمؤتمنة على دين الخالق الواحد في مرحلة اكتماله بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران : ١١٠) وقال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (سورة البقرة : ١٤٣).

أما بعد :

فإنه نظراً لنفاد نسخ الطبعة الأولى من هذا الكتاب «الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة» ولكثرة الطلب من الأصدقاء وغيرهم بإعادة طبعه وتنقيحه، ولأن عدداً من الجهات الرسمية أوصت بضم نسخ من هذا الكتاب إلى المكتبات المدرسية في بعض مراحل التعليم كما هو الحال في مدارس وزارة المعارف السعودية، ووزارة التربية والتعليم الأردنية بالإضافة إلى المكتبات العامة في عدد من المصالح والوزارات فقد استعنت بالله وصححت ما وقع في الطبعة الأولى من أخطاء وحققت ما رأيت حاجة لتحقيقه.

وبذلك أرجو أن تكون هذه الطبعة أفضل من سابقتها ومحققة للهدف المنشود، وأرجو أيضاً ممن يطلع عليها تزويدي بملحوظاته كتابة لتلافي ما يمكن تلافيه في الطبعات القادمة إن شاء الله، والكمال لمن تفرد به.

ويسرني أن أضيف إلى هذه الطبعة بعض الملحوظات التي وردت إليّ من أساتذة كرام لهم باع طويل في مجال البحث لتعم الفائدة، ولإشعار الآخرين بأهمية التعليقات ومردودها الجيد على من يطلع على الكتاب والملاحظات عليه.

والله ولي التوفيق

المؤلف

الرياض في ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م

آراء بعض المختصين في الكتاب وما جاء فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من معجزات الإسلام الكبرى التي حيرت الباحثين والعلماء سرعة انتشار هذا الدين العظيم في معظم أنحاء الكرة الأرضية من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ومن جنوب فرنسا شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوباً، وذلك كله قد تم في نصف قرن من الزمان وهي سرعة غير مسبوقة بكل المقاييس في أي عصر من عصور الحضارات الإنسانية.

والمعجز أيضاً أن هذا الدين الفاتح كان يشق طريقه بين الكثير من العقبات وأمام العديد من التحديات، فمن كان يصدق أن الرسول عليه الصلاة والسلام الذي لم يفرغ من بعد صلح الحديبية حتى نجد أنه يرسل رسائل عديدة إلى الملوك وأمراء وحكام العالم في عصره.

وقد اختار الأستاذ أحميد محمد العقيلي - وهو من شباب الباحثين في الإعلام الإسلامي - موضوع هذه الرسائل لإجراء بحوثه العلمية الجادة حول تلك الرسائل.

ولما كان الأستاذ العقيلي من النابهين في دراسات الإعلام الإسلامي فقد جمع بين التاريخ الإسلامي والإعلام وتحقيق الوثائق والمخطوطات في نفس الوقت.

ولعل أهم ما يلفت النظر في كتابه بعنوان: الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة، أنه استخرج لنا بعض القوانين الإعلامية التي تبين بحق عبقرية المسلمين وريادتهم في مجال الإعلام. مثال ذلك أن الأستاذ المؤلف قد بيّن لنا أن رساءل النبي عليه الصلاة والسلام تنقسم إلى قسمين كبيرين، القسم الأول موجه إلى الحكام العرب. والقسم الثاني موجه إلى القادة من غير العرب. وقد لاحظ أن الرسائل الموجهة إلى غير العرب قد لاقت بعض التعثر والإعراض بسبب اللغة والجنس والعادات والتقاليد والأعراف، فضلاً عن التمسك بالمصالح المادية، مما تعذر معه أن تبلغ نفس الغايات التي بلغتها الرسائل الموجهة إلى العرب.

كما يلفت النظر أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يكرم كل زعيم بما يناسبه من التعظيم، كما أنه كان يدرك أن القوم أطوع لكبيرهم فكان يبقي هؤلاء الكبار في مناصبهم لتأليفهم إلى الإسلام، أما ما يروجه المفترون والمرجفون باتهام الإسلام بأنه نشر بحد السيف إنما هي أكاذي تضلل الناس وتزيف التاريخ، لأن الدعوة الإسلامية تأبى الإكراه

وتتنافى لأن سبيلها الحكمة والموعظة الحسنة.

فالإسلام دين اقتناع لا دين اتباع وهذا المبدأ هو سرّ من أسرار عظمة الإسلام الذي يتصف بالعدل والمساواة، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يجمع بين الإعلام التدويني الذي يتمثل في رسائله إلى الملوك والقادة وبين الإعلام الشفهي الذي كان يقوم به الرسول المبعوث إلى القادة، كما فعل دحية الكلبي مع المقوقس وما فعله جعفر بن أبي طالب مع النجاشي.

وقد بيّن المؤلف بجلاء كيف تمكن الإسلام من قهر عبادة الأصنام بأشكالها المختلفة كما كشف عن انحراف اليهودية والنصرانية حيث دعا إلى التوحيد الخالص لله ربّ العالمين والمساواة بين الجنس البشري وتحقيق حقوق الإنسان مهما كان لونه أو جنسه أو طبقته. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يتحدث إلى كل قائد وفقاً لثقافته وقدرته على الاستيعاب، مثال ذلك أنه كان يتحدث إلى أهل الكتاب بطريقة تختلف تماماً عن طرق وأساليب الأديان الأخرى.

والحق أن الأستاذ العقيلي يعتبر رائداً من روّاد علوم الإعلام الحديثة كما أنه استطاع بواسع اطلاعه وعميق علمه أن يخرج كتابه هذا إخراجاً طيباً وناجحاً، فنقدم له كل ثناء وتقدير آملين أن يمضي في السير على الدرب وأن يتحفنا بالمزيد من أبحاثه الجادة الشيقة.

والله من وراء القصد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ. د. إبراهيم إمام
أستاذ الإعلام الإسلامي بجامعة أم القرى
مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

«الأثر والدلالات الإعلامية، لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة»

لقد تفضل مؤلف الكتاب الباحث المحقق الأستاذ:أحميد محمد العقيلي، فأهداني مؤلفه راغباً إليّ في قراءته، وإبداء الرأي فيه.

ولقد شدّني الأستاذ المؤلف بادئ ذي بدء بدماثة خلقه وطلاقة وجهه، وحسن عبارته، كما راقني الكتاب بأناقة مظهره وطرافة موضوعة، وجمال طباعته، فأقبلت عليه بجماع فكري وقضيت معه ساعات قارئاً متتبعاً هذا الحشد الهائل من المادة الإعلامية التي جمعها بدأب شديد، وصبر بالغ من أشتات المراجع المختلفة.

والحق أن الأستاذ أحميد العقيلي، قد بذل جهداً مشكوراً يتجلى فيه حرص الباحث، وإخلاص العالم، وأمانة المحقق، ويجد القارئ دلائل هذا الجهد واضحة جلية في ثنايا الكتاب، ومن تلك الدلائل مايأتي:

١ـ المتابعة الدقيقة لكل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من رسائل، وما أصدره من توجيهات، وهي متابعة تبرز عظمة الجهد الإعلامي الرائد الذي بذل لنشر الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية وما حولها، كما تبرز إحاطة النبي صلى الله عليه وسلم، ومعرفته بكل النظم القائمة آنذاك في شتى بقاع الدنيا.

٢ـ التوثيق العلمي الدقيق لكل ما ورد في الرسائل وحولها من أسماء البلدان، وأعلام الرجال، وذلك بالترجمة لها، وذكر المراجع الواردة فيها، وفي ذلك ما يشهد للباحث بالإخلاص لبحثه، والإتقان لعمله وفق الأصول العلمية المتعارف عليها.

٣ـ الفهم الذكيّ لمضامين الرسائل النبوية، والتوجيهات السامية واستخلاص القيم الإعلامية منها، والنتائج المستفادة منها وفي ذلك ما يستوجب الإعجاب والثناء لضخامة الجهد المبذول في جميع الرسائل، وتبويبها، واستخلاص المراد منها.

٤ـ هذا الحشد الهائل من الشواهد القرآنية في التأكيد على مافي الرسائل النبوية من دلالات إعلامية، وما لها من آثار بارزة في نشر الدعوة الإسلامية، وفتح الطريق أمامها، باستمالة القادة الذين كانوا يملكون القرار، ويتحكمون في مصائر الأتباع والأشياع.

٥ـ تلك الإضافة الخصبة إلى المكتبة العربية المتمثلة في تلك الدراسة الجادة حول

الإعلام الإسلامي في ذلك الزمن البعيد، حيث سدّت تلك الدراسة فراغاً ملحوظاً في هذا المجال. إذ إن البحوث الإعلامية تستقي مادتها من الإعلام الغربي، وتركز على الدروس المستفادة منه، وتتخذه مثلاً أعلى للفن الإعلامي، وتبرز براعة القائمين عليه، ونجاحهم في تحقيق أهدافهم، متخذين من الإعلام النازي إبان الحرب العالمية الثانية صورة مثالية للفن الإعلامي الذي حقق نجاحاً ملحوظاً في التمهيد للانتصارات المتلاحقة التي حققتها النازية في بداية الحرب.

لكنه كان إعلاماً زائفاً يقوم على الخداع والتلفيق والكذب وكل إعلام من هذا القبيل مآله الفشل، وعاقبته الخذلان، وهو ما تحقق للنازية بهزائمها المنكرة، واندحارها المهين.

أما الإعلام الإسلامي كما أبرزه الأستاذ أحميد العقيلي فهو إعلام يقوم على الصدق والوضوح والاستقامة، إعلام متفهم لدوره، مدرك لقدراته، عارف لجوانب قضيته، دارس لنفوس أعدائه، ومن ثم حقق نتائج باهرة بما أحدث من هزة في نفوس الملوك والقادة بالترغيب تارة، والترهيب أخرى، والحفاظ على هيبتهم ومخاطبتهم بأسلوب حكيم يراعي أقدارهم، ويصون حقوقهم.

وقد تضمنت توجيهاته للقادة وبعض الولاة قيماً ومبادئ كانت صورة مشرقة للإسلام في تسامحه وعدله، ورفقه بالضعفاء، مما كان له فعل السحر في النفوس، فأقبلت عليه الأمم زرافات ووحداناً تنشد العدل والحق والأمان في رحاب هذا الدين الذي حمل لواءه رجال تربّوْا في مدرسة النبوة، وثقفوا أخلاق الإسلام، وتشربوا تعاليمه، فجاء سلوكهم الحميد تطبيقاً علمياً لقيم هذا الدين الحنيف.

ولا تتسع هذه العجالة لاستقصاء كل الجوانب الإيجابية في هذا البحث القيم، لأن ما بذل فيه من جهد وإخلاص وصدق خير شاهد على قيمته العلمية، وفائدته الجمة للمعنيين بالإعلام من الطلاب والباحثين والقائمين على مخاطبة الرأي العام في الداخل والخارج على السواء.

ومع تلك الجوانب الإيجابية الكثيرة، فإن لي بعض الملاحظات التي لابد من ذكرها، وهي ملاحظات قد يوافقني الأستاذ الباحث عليها، وقد يكون له رأي مغاير فيها.

واختلاف الرأي وارد، لكنه الاختلاف الذي لا يؤدي إلى الخلاف لأنه في غايته يساعد على اكتمال الصورة، وتحقيق الهدف المنشود.

وهذه الملاحظات أجملها فيما يأتي:

١ـ جاء في هامش (١) ص١٥ سطر (٥) من نفس الهامش عبارة: (ونسبه القلقشندي في نهاية الأرب.. الخ) والعبارة على هذا النحو تحتاج إلى زيادة توضيح، لأن للنويري كتاباً مشهوراً بنفس الاسم والأولى أن يذكر اسم الكتاب كاملاً فيقال: نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب للقلقشندي. حتى لا يذهب الذهن إلى نهاية الأرب للنويري. قد أغفل هذا الكتاب في ثبت المراجع بينما ذكر (نهاية الأرب) للنويري: وكان الأولى أن يقال: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري.

٢ـ أشيرَ إلى بعض المصادر في الهوامش، ومع ذلك لم تُذكر في ثبت المصادر آخر الكتاب مثل كتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة) المذكور في هامش (١) ص١٥ سطر (٣) وكتاب (مسند الإمام) الوارد في هامش (٢) ص٦٣ ولو كان القصد الاكتفاء بأهم المصادر لوجب الإشارة إلى ذلك.

٣ـ جاء في هامش (٢) ص٦٣ سطر (٤) منه في وصف (دحية بن خليفة الكلبي) عبارة: (ومن أوصاف دحية أنه كان يشبه جبريل عليه السلام في حسنه) ولم ينسب هذا الوصف لقائله. وكان قد سبق هذا الوصف عبارة منسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم بين قوسين هي: (إذا بعثتم إليّ بريدا فاجعلوه جسيماً وسيماً حسن الاسم) وبعد هذه العبارة جاءت عبارة الوصف التي لم تنسب لأحد، وكان ينبغي توثيقها لأهمية مضمونها.

٤ـ بعض الرسائل ذكر تاريخ إرسالها، كرسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ص (١٠٥) والكثير منها لم يذكر تاريخها، مع ما لهذا التاريخ من أهمية في معرفة تطور الأحداث وتسلسلها.

٥ـ في المبحث السادس ص١٣٦ وما بعدها جاء حديث عن جريمة شرحبيل بن عمرو الغساني وقتله الحارث بن عمير الأزدي مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أحد أمراء الغساسنة، وما ترتب على ذلك من تسيير جيش قوامه ثلاثة آلاف رجل لتأديب المعتدين، ووضع حد للعدوان على دعاة الخير والسلام ودارت معركة مؤتة التي استشهد فيها القواد الثلاثة المعروفون رضوان الله عليهم.

وفي المبحث الخامس ص١٣٢ جاء في حديث (جبلة بن الأيهم) إلى (شجاع بن وهب الأسدي) إشارة إلى غزوة مؤتة: وأن (جبلة) رفض دعوة كسرى لمقاتلة المسلمين في مؤتة.

أما كان الأولى تقديم المبحث السادس على المبحث الخامس حتى تأتي الأحداث أكثر ترتيباً، فتذكر أسباب الغزوة أولاً، ثم يأتي الحديث عنها، لأنه لا ينبغي الإشارة لشيء لم يسبق الحديث عنه.

٦- جاء في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم عن غزوة مؤتة ص١٣٩ سطر ١٦ وما بعده ذِكْره للقادة الذين استشهدوا، فذكر زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، ولم يُذكر عبدالله بن رواحة القائد الثالث الذي استشهد قبل أن يتولى خالد القيادة. مع أن الأستاذ المؤلف قد ذكر القادة الثلاثة في سطري ١٣، ١٤ من نفس الصفحة.

٧- جاء في ص١٤١ سطري ٨،٧ هذه العبارة (قد جعلت الناس وخاصة القبائل العربية سواء منها المتنصرة أو التي على وثنيتها... الخ) والصواب (منها)، لأن الضمير يعود على القبائل.

٩- جاء في ص١٤٧ وما بعدها إشارة إلى رسالة التوحيد التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم لامبراطور الصين، والدلالات الإعلامية فيها. وإذا كان نص الرسالة لم يعثر عليه كما ورد في هامش (١) ص١٥١ فكيف تستنتج دلالات من أثر مفقود؟ وإذا كانت شبيهة برسائله صلى الله عليه وسلم إلى كل من هرقل وكسرى كما ذكر الأستاذ المؤلف ص١٥٠ سطر (٥) فقد كان يكفي ما ذكر هناك عمّا ذكر هنا. ولا يعد اختلاف النتائج مبرراً لذكر الدلالات الإعلامية لأثر مفقود. ومثل ذلك يقال عن الرسالة النبوية لملك الهند (سرباتك) والدلالات الإعلامية فيها ص١٥٨-١٦٠).

١٠- في ص١٦٢ سطر ١٤ جاء الضبط غير دقيق لكلمة (رب) في عبارة (إذ إن قتل ربُّ محمد صلى الله عليه وسلم (ربُّ باذان) وهو كسرى أدى إلى نتائج عكسية... الخ) حيث جاءت كلمة (رب) مرفوعة في الحالتين، والصواب جرّ الأولى بالإضافة إلى المصدر (قتل) من إضافة المصدر لفاعله، ونصب الثانية مفعولاً به للمصدر.

١١- جاء في ص١٦٩ سطر ١٥ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أيم رجل استعمل رجلاً... الحديث) ولعل الصواب (أيما) لأن (ما) تزاد بين المضاف (أي) والمضاف إليه كثيراً، وحذف ألف (ما) هنا لا علة له. ومن زيادتها في القرآن الكريم ماجاء في سورة القصص من قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام:

﴿أيّما الأجلين قضيت فلا عدوان علي﴾ (من الآية رقم: ٢٨).

١٢- العلم الموصوف بابن لا ينوّن، ولا تثبت ألفه في حالة النصب، وقد ورد في غير موضع من الكتاب تنوين العلم الموصوف بابن وإثبات الألف نصباً ومن ذلك:

أ - في ص١٧٢ سطر ١٢ جاءت عبارة (كما استعمل عتاباً بن أسيد) والصواب (كما استعمل عتاب بْنَ أسيد).

ب - وفي ص ١٧٨ سطر ١ جاءت عبارة (بعث الرسول صلى الله عليه وسلم خالداً بن الوليد.. الخ) والصواب (بعث خالدَ بْنَ الوليد..).

جـ - وفي ص ١٨٨ سطري ٥,٦ جاءت عبارة (ثم أمر عليهم قيساً بن الحصين وبعد أن انصرفوا بعث إليهم عمراً بن حزم).

والصواب (أمرعليهم قيس بْن الحصين، بعث إليهم عمرو بْنَ حزم).

١٣- في ص١٩٠ سطر (٦، ٧، ٨ جاءت عبارة (ومن النواحي التي شملتها عناية وحرص النبي صلى الله عليه وسلم اليمن التي بعث إليها كبار الصحابة - رضي الله عنهم - وعلى رأسهم علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاذاً بن جبل، وخالدًا بن الوليد، وأبا موسى الأشعري وغيرهم).

والصواب رفع (علي) وما بعده من الأعلام (معاذ، خالد، أبو موسى) لأن الواو في (وعلى رأسهم عليٌّ) هي واو الحال، والجار والمجرور خبرمقدم و(عليٌّ) مبتدأ مؤخر، والجملة حالية، والأسماء المعطوفة على (علي) تابعة له في الرفع.

١٤- في ص١٩٤ سطري ٩، ١٠ جاءت عبارة (ومن دراسة رسائل النبي صلى الله عليه وسلم ووصاياه إلى عماله على نجران واليمن: عمرو بن حزم، ومعاذ بن جبل، وعلي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، وأبو موسى الأشعري وغيرهم.. الخ) جاء لفظ (أبو موسى) بالواو مرفوعاً والصواب بالياء (أبي موسى) لأن كل تلك الأسماء بدل من (عماله) المجرورة بإلى، سواء بالإبدال المباشر في (عمرو بن حزام) أو بالعطف على البدل المجرور كما في معاذ إلى أبي موسى الأشعري، ومن ثم وجب التنبيه.

١٥- في ص ١٩٧ سطر ١١ جاءت عبارة (خامساً: أخْذ نصيب من مال الأغنياء كصدقة (زكاة سنوية) والتشبيه هنا لا مبرر له، لأن الشيء لا يشبه بنفسه، وقد عدّ القرآن الكريم الزكاة صدقة في قوله تعالى: إنما الصدقات للفقراء والمساكين...﴾ (الآية ٦٠ سورة التوبة).

وعليه يكون الصواب: أخذ نصيب من مال الأغنياء صدقة.. الخ.

١٦- في ص٢٠٩ سطر ٣ جاءت عبارة: (وأصبح هدفه العاجل هو توحيد المسلمين.. الخ) والعبارة على هذا النحو سليمة واستخدام ضمير الفصل (هو) ليس خطأ يستوجب التصويب كما ورد في صفحة التصويب الملحقة بالكتاب، ولهذا الاستخدام نظائر كثيرة في الأساليب العربية.

ومن أمثلته في الذكر الحكيم قوله عز وجل: ﴿وإذ قالوا اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (آية ٣٢، سورة الأنفال).

وقوله عز وجل في سورة المزمل آية ٢٠: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا... الآية﴾.

وقوله عز وجل في سورة آل عمران آية ١٨٠: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم... الآية﴾.

١٧- وفي ص٢٠٩ أيضاً سطر ٦ وردت عبارة: (لذلك بدأ العمل على إيجاد وحدة متماسكة بين المسلمين والأنصار (الأوس والخزرج) وعطف الأنصار على المسلمين فيه نظر، لأن العطف يقتضي المغايرة والأنصار مسلمون، لأنهم لم يتكسبوا هذا الوصف إلا بعد إسلامهم. فكيف يعطف الأنصار على المسلمين؟ والتصويب عندي بأحد طريقين:

أ - إما بإسقاط واو العطف، ويكون ما بعدها بدلاً من المسلمين.

ب - أو تكون بزيادة (من) البيانية قبل الأنصار مع إسقاط الواو وتكون العبارة (إيجاد وحدة متماسكة بين المسلمين من الأنصار والمهاجرين).

١٨- في ص٢١١ سط ١٢ جاءت عبارة: (لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من أظلم وأثم).

ولعل الصواب: إلا من ظلم وأثم لأن المقصود الظلم لا الإظلام وقد جاء الفعل ثلاثياً في السطر ١٦ من نفس الصفحة (إلا من ظلم وأثم) وعليه يكون الخطأ في سطر ١٢ خطأ مطبعياً.

* * *

وبعد فهذه بعض الملاحظات التي بدت لي من خلال النظر في تلك الدراسة الجادة للجوانب الإعلامية في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة للباحث المحقق

الأستاذ: أحميد محمد العقيلي وكثير منها من قبيل الخطأ المطبعي، والبعض منها قد تختلف فيه وجهات النظر، والقليل الباقي يرد مثله كثيراً فيما بين أيدينا من الكتب والبحوث.

وإذا كان كل باحث يريد لبحثه أن يكون مستوفياً كل المقومات الفنية وأن يأتي على الصورة التي ينشدها، فإني أبادر بتهنئة الأستاذ الباحث، وأطمئنه إلى أنه ببحثه القيم قد حقق الهدف، وأدرك الغاية، ونال الرضا كله، فجزاه الله خيراً كفاء ما بذل من جهد في هذا البحث الرصين الذي يبرز قيم الإسلام ومثله العليا، ونفع به طلاب المعرفة من رجال الإعلام والباحثين، وطلاب الدراسات العليا في شتى أرجاء الوطن العربي الكبير.

والله أسأل أن يتقبل ملاحظاتي بالرضا والقبول، وأن تدوم تلك الصلة العلمية بيننا فيما يستجد من أعمال.

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير

أ. د. حسن عبدالقادر مصطفى

الأستاذ المشارك في كلية المعلمين

سكاكا - الجوف

المملكة العربية السعودية

إهداء

إلى من جعلوا الدعوة إلى الله سبيلهم ، وبث دين الوحدانية مسلكهم ، فيسّروا سبلها رغم العقبات الكأداء ، والخصوم الألداء ، والمبادئ الخرقاء .

إلى من آزروها وما زالوا يؤازرونها من الرجال المخلصين الباذلين أغلى ما يملكه البشر ، لإعلاء كلمة رب البشر ، ولتجنيب البشرية ويلات الحروب ، والمشاحنات والتعصبات ، والهبوط بالإنسان إلى مستوى الحيوان .

إلى المجاهدين من العلماء والرجال الأفذاذ الذين ساهموا وما زالوا يساهمون في رفع راية التوحيد والسلام في كل زمان ومكان .

إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده الأمين وإخوانه البررة الذين حملوا رسالة الدعوة ، لتأدية الأمانة بتعميم الدعوة إلى الله ، ومناصرة قضايا الموحدين في العالم من أقصاه إلى أقصاه ، طمعاً في مرضاة الله ، وليسود على الأرض السلام .

إلى هؤلاء جميعاً ، أهدي ثمرة جهدي المتواضع ، راجياً من الله التوفيق والقبول .

أحمد محمد العقيلي

مقدمة

الحمد لله الذي أعلم نبيه ما كان وما سيكون عن طريق وحيه، وأمره بتبليغ أمره ونهيه، فقال جل شأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1].

والصلاة والسلام على من أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فأعلى الله ذكره، وشرح صدره، ويسر له أمره، وصلِّ يارب عليه وسلم صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم القيامة وبعد:

فإن كلمة «الإعلام» قديمة قدم الزمان، ذكرها القرآن الكريم وأوردتها السنة النبوية المطهرة. فمن ذلك قول الله لنبيه إبراهيم بعد انتهائه من بناء البيت هو وولده إسماعيل ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[2].

والأذان والتبليغ معناهما الإعلام. وفي السّنة المطهرة يقول «ﷺ» في معنى حديثه «نضر الله وجه امرىء سمع مقالتي فحفظها ووعاها وبلغها كما سمعها فرب مبلّغ أوعى من سامع»[3].

ومن كل ماتقدم يتضح لنا أن للإعلام أهميته وأثره في شرائح المجتمع عامة فإن كان الإعلام إسلامياً صادقاً إيمانياً مخلصاً وجدنا أثره ونفعه في المجتمع حتى يؤتي أكله كل حين بإذن ربه.

ومن هذا المنظور والمنطلق جعلت عنوان هذا الكتاب الأثر والدلالات[4]

---

(١) سورة المائدة ــ الآية ٦٧.

(٢) سورة الحج، الآية ٢٧.

(٣) حديث شريف رواه أحمد والبخاري (٣٧٩، جـ٣، .. نيل الأوطار).

(٤) الدلالات: جمع دلالة بالكسر أو الفتح ومعناها العلامة التي تدل على الشيء كما في حديث علي رضي الله عنه في صفة الصحابة رضي الله عنهم جميعاً (ويخرجون من عنده أدلة) جمع دليل أي بما قد علموا فيدلّون عليه الناس، وكما في قوله تعالى: ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ سورة الفرقان، الآية ٤٥، لسان العرب المحيط لابن منظور، جـ١، ص ١٠٠٦.

الإعلامية لرسائل النبي «صلى الله عليه وسلم» إلى الملوك والقادة، لتنطق الرسائل والمعاهدات والعهود بالتوجيهات النبوية التي تلزم وتقنع، وفيها من الدلالات الإعلامية ماينطق بصدق اللهجة، وإخلاص الطوية، وعنفوان الأمر والنهي، ورقة الأسلوب، وحنان الصاحب، ولين الجانب، وتقدير صاحب الدعوة «صلى الله عليه وسلم» لمن يرسل إليهم كتبه ورسائله، لأن لطيف القول وحسن موقعه له تأثيره الذي يأخذ بالألباب والأفهام، ولايدفعه ويرده إلا كل مسرف كذاب ـــ كذلك القول فيمن حملوا الرسائل من أصحابه «رضي الله عنهم» ومابذلوه من تضحيات نفيسة، وما زادهم إعراض من أعرض إلا إيماناً وتثبيتاً.

وهذا الكتاب جعلته في خمسة فصول: الأول منها يتحدث عن الأثر الإعلامي لرسائل النبي «صلى الله عليه وسلم» في جزيرة العرب، ويحتوي على أربعة مباحث هي:

أولاً : رسائله «صلى الله عليه وسلم» إلى المنذر بن ساوى عامل كسرى على البحرين.
ثانياً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى هوذة بن علي ملك اليمامة.
ثالثاً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى ملكي عمان.
رابعاً : رسائله «صلى الله عليه وسلم» إلى ملوك اليمن.

أما الفصل الثاني منه فيختص برسائله «صلى الله عليه وسلم» إلى الملوك والقادة خارج جزيرة العرب وآثارها الإعلامية ويضم عشرة مباحث، ثم صدى هذه الحملة خارج الجزيرة العربية وداخلها.

أولاً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى هرقل إمبراطور الروم.
ثانياً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى كسرى ملك الفرس.
ثالثاً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى ملك الحبشة.
رابعاً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى المقوقس عظيم القبط.
خامساً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني.
سادساً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى أحد أمراء الغساسنة.
سابعاً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى فروة بن عمرو الجذامي.
ثامناً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى الأسقف ضغاطر.
تاسعاً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى إمبراطور الصين.
عاشراً : رسالته «صلى الله عليه وسلم» إلى ملك الهند سرباتك.

أما الفصل الثالث:

فيتناول الآثار الإعلامية لرسائله «ﷺ» إلى عماله وولاته ويحتوي على سبعة مباحث هي:

أولاً :رسالته «ﷺ» إلى مصعب بن عمير.

ثانياً :رسالته «ﷺ» إلى عبدالله بن جحش.

ثالثاً :رسالته «ﷺ» إلى خالد بن الوليد.

رابعاً :كتبه «ﷺ» إلى العلاء بن الحضرمي عامله على البحرين.

خامساً :رسالته «ﷺ» إلى عمرو بن حزم عامله على نجران.

سادساً :رسالته «ﷺ» إلى عامله على اليمن معاذ بن جبل.

سابعاً :توجيهاته «ﷺ» إلى قادة المجاهدين وبعض الولاة حين يبعثهم إلى إحدى المهمات العسكرية أو المدنية.

الفصل الرابع:

خاص بكتب المعاهدات والأحلاف وصداها في الجزيرة العربية ويضم أربعة مباحث.

أولاً :كتب المعاهدات والأحلاف.

ثانياً :صلح الحديبيه.

ثالثاً :المعاهدات مع زعماء الحدود في شمال الجزيرة العربية.

رابعاً :كتبه «ﷺ» في بعض الموضوعات المختلفة.

أما الفصل الخامس والأخير.. فيوضح القيمة الإعلامية لرسائله «ﷺ» إلى الملوك والقادة.

وبعد هذا فإني بقدر استطاعتي طفت بين دفات الكتب المتنوعة باحثاً عن النصوص التي وردت في هذا الكتاب، فإن كانت نصاً فهي النص المرجو، وإلا فالقراءة بالمعنى لها جائزة إن شاء الله، مع ملاحظة وجود نقص أو زيادة في بعض الألفاظ بين المراجع والمصادر. وهذه محاولة متواضعة في هذا السبيل، وأعلم قول الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[١] وحسب إمكاناتي فقد أجهدت العقل والفكر، واتخذت

(١) سورة هود ــ الآية ٨٨.

الأسباب مضحياً بأغلى ما يملكه البشر، وهو (الوقت) لعظم المطلوب حتى أضع هذه اللبنة الحية (إن صح التعبير) في بناء صرح الثقافات الإسلامية التي تنطق بالحق ودعاء إلى الله أن تكون اللبنة في ركنها الذي يحسن بها ويجمل. قال تعالى﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

وإن هذا الكتاب ومايتطق به من كتب ومعاهدات وأعطيات وأحلاف ورسائل وتوجيهات نبوية شريفة إلى الحكام والقادة والشيوخ ووجهاء القوم داخل وخارج شبه الجزيرة العربية ليخدم الدعوة الحقة، لذلك تحريت الدقة مااستطعت إلى ذلك سبيلاً.

وكم من كاتب كتب فأبدع، وكانت له أخطاؤه لأن من طبع البشر (غير الأنبياء) أن يخطئوا، مصداقاً لقول الرسول «ﷺ» «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» ومن هنا فإنني ألهج بآيات الشكر والعرفان لكل من ينقد هذا الكتاب نقداً نافعاً يثرى ويغنى ولا يهدم ويغوي بما يفيد هذا الكتاب في مادته العلمية التي أرجو من الله العلي القدير أن ينتفع بها لمن يبحث ويطلع حتى تعم الفائدة وعلى الله قصد السبيل.. مصداقاً لقوله «ﷺ» «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة».

وفي حديث آخر قوله «ﷺ» «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء» ويقول الله تعالى:﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[2]

أحميد محمد العقيلي

الرياض ص.ب ١٢٣١٥٥

الرمز البريدي ١١٧٤١

---

(١) سورة إبراهيم ـــ الآيات ٢٤،٢٥.

(٢) سورة المجادلة ـــ الآية ١١.

الفصل الأول

رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة داخل شبه الجزيرة العربية

المبحث الأول

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى[1]

بعث الرسول محمد «ﷺ» العلاء بن الحضرمي[3] برسالة منه إلى المنذر بن ساوى عامل البحرين[2] من قبل كسرى أنوشروان هذا نصها:

(١) المنذر بن ساوى بن عبدالله بن زيد بن عبدالله التميمي الدارمي صاحب البحرين نسَّبه ابن الكلبي، كان عاملاً للنبي على البحرين حيث دخل في الإسلام فأبقاه الرسول ـ ﷺ ـ أميراً عليها في العام السادس الهجري.

انظر: ابن الأثير (أسد الغابة في معرفة الصحابة)جـ ٤ ص ٤١٧ وعدوه من عبدالقيس سكان تهامة الذين نزلوا إلى البحرين فزاحموا بكر بن وائل وتميماً (الكامل جـ ٢ ص ٨٠)

ونسبه القلقشندي في نهاية الأرب ص ٣١٢، ص ٤٣٥ بأنه من بني عبدالله بن دارم وهم من بني تميم، وكان تابعاً (لمّا تولى البحرين) لكسرى ملك فارس وكان مجوسياً وهو الذي كان يعشّر سوق هجر في الجاهلية (أحد الأسواق المعروفة آنذاك) وقد أسلم ومعه جميع العرب هناك كما أسلم معه بعض العجم (انظر علي بن حسين علي الأحمدي مكاتيب الرسول ـ ﷺ ـ دار المهاجر بيروت ص ١٤١، ياقوت الحموي معجم البلدان جـ ١ ص ٣٤٨.

(٢) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان وقيل هجر قصبة البحرين وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة، قال أبو عبيد بين البحرين واليمامه مسيرة عشرة أيام وبين هجر مدينة البحرين والبصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الإبل وبينها وبين عمان مسيرة شهر، وكانت البحرين تابعة لمملكة الفرس وبها خلق كثير من عبدالقيس وبكر بن وائل وتميم مقيمون في باديتها وكان بها من قبل الفرس المنذر بن ساوى بن عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وقد ذكر أن سبب تسميتها بالبحرين هو وجود بحيرة على باب الأحساء وقدرت تلك البحيرة بثلاثة أميال في مثلها ولا يفيض ماؤها لأنه راكد. ومما يجدر ذكره أنه ينسب إليها رجال من أهل العلم منهم محمد بن معمّر البحراني بصري ثقة تحدث عنه البخاري (معجم البلدان لياقوت الحموي ص ٣٤٧، ص ٣٤٨، ص ٣٤٩. وتتألف البحرين من مجموعة من الجزر في الخليج العربي بين قطر والأحساء وبها عيون ماء عذبة.

انظر : محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة، لبنان، بيروت، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، جـ١، ص ٣٣٠، وهناك مصادر أخرى تشير إلى موقعها فهي الاقليم الممتد على ساحل الخليج العربي بين عُمان والبصرة وتشمل الكويت، والأحساء، قطر، جزر البحرين المعروفة قديماً باسم أوال).

انظر : عبدالرحمن عبدالكريم النجم : البحرين، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٣، ص ١٧،٥ كحالة : جغرافية جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٤٤، ص ٢٦١. النبهاني : التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط٢، المطبعة المحمدية، القاهرة ١٣٤٢هـ، ص ١١.

(٣) العلاء بن عبدالله بن عماد الحضرمي حليف بني عبدشمس وقد وجهه رسول الله «ﷺ» سنة ثمان للهجرة إلى

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى.

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

(فإني أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم يجعل الله لك ماتحت يديك واعلم أن ديني

البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو إلى دفع الجزية وكتب معه إلى المنذر بن ساوى وإلى سيبخت مرزبان هجر يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية فأسلم ومعه جميع العرب هناك وبعض العجم. وصالحه أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى وكتب بينهم وبينه كتاباً. وروى عن العلاء أنه قال: إن رسول الله «ﷺ» قد بعثني إلى البحرين أو قال هجر وأخذ من كل مسلم العشر ومن كل مشرك الخراج. وقال قتادة إن البعض أسلم والبعض صالح العلاء على أنصاف الحب والتمر. وقيل إنه أرسل لرسول الله «ﷺ» مالاً كثيراً ما أتى الرسول مثله من قبل ثم عزله الرسول وولى مكانه إبان بن سعيد ثم بعد وفاة الرسول «ﷺ» طلب أهل البحرين من أبي بكر تولية العلاء فتولى البحرين مرة أخرى إلى أن مات سنة عشرين للهجرة وقيل:إنهم دفنوه بالبحرين.

ولما احتاجوا رفع لبنة لم يجدوا العلاء في اللحد. وقيل:إنه تولى البصرة عندما طلب عمر بن الخطاب منه ذلك (انظر: ابن هشام سيرة النبي جـ٤، ط١، ص ٢٤٣ وياقوت الحموي: معجم البلدان جـ١، ص ٣٤٧، ص ٣٤٨. وقد قيل إنه العلاء الخضرمي واسم الحضرمي عبدالله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر ابن عويف بن مالك بن الخزرج بن أبي بن الصرف. وقيل عبدالله بن عمار وقيل عبدالله بن ضمار وقيل عبدالله ابن عبيدة بن ضمار بن مالك وقال الدارقطني: زعم الأملوكي أنه عبدالله بن عباد فصحف ولا يختلفون أنه من حضرموت حليف حرب بن أمية ولاه النبي «ﷺ» البحرين وتوفي النبي «ﷺ» وهو عليها فأقره أبوبكر خلافته كلها ثم أقره عمر وتوفي في خلافة عمر سنة أربع عشرة وقيل توفي سنة إحدى وعشرين ويقال إنه مجاب الدعوة وأنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها ولما قاتل أهل الردة بالبحرين كان له في قتالهم أثر كبير (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة جـ٤، ص ٧). وقيل إنه عبدالله بن عباد بن أكبر بن ربيعة، حضرمي الأب والأم وأمه الصعبة بنت الحضرمي، هاجر أبوهم من حضرموت إلى مكة وأقام بها واستطاع أن يكون حليفاً لحرب بن أمية وروى العلاء عن النبي «ﷺ» وروى عنه من الصحابة أبوهريرة والسائب بن زيد وقد جعله النبي «ﷺ» عامله على البحرين. وكتب الرسول «ﷺ» له كتاباً يبين فيه فرائض الصدقة من الإبل والبقر والغنم والأموال والثمار وذكر كذلك أن العلاء كان مجاب الدعوة وأنه خاض البحر بكلمات قالها والله يؤتي الحكمة من يشاء ومات العلاء سنة ٢١هـ وقيل سنة ٢٤هـ.

انظر: د. أحمد عبدالرحمن عيسى: كتاب الوحي ص ٤٤٨، ص ٤٤٩، وقيل:إن المنذر قد استجاب للدعوة الكريمة التي حملها العلاء وقد أرسل الرسول للعلاء يوصيه بأهل البحرين خيراً، ومما يشار إليه أن العلاء كان يفقّه الناس في الدين ويدعو إلى الإسلام ويسير سيرة عادلة. وكان رجلاً صالحاً فقد قال أبوهريرة:إنه رأى من العلاء ثلاثة أشياء أدت إلى حبه إياه: قطع البحر على فرسه يوم دارين. **أثناء رحلتهم** عندما كانوا بالدهناء ونفد ماؤهم فدعا الله فنبع لهم الماء فارتووا وعندما مات كان يوم جفاف بلا ماء **أمطرت** السماء فغسّلوه وحفروا له بسيوفهم ودفنوه (انظر: صور من الجهاد، جـ٢، ص ٧٣، ص ٧٥).

سيظهر إلى منتهى الخف والحافر)[1]، وهناك نص آخر أورده الشيخ محمد الخضري بك[2] وهو كالآتي:

(بسم الله الرحمن الرحيم: أسلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لاإله إلا هو أما بعد فإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول ومن أحب ذلك من المجوس فإنه آمن ومن أبى فإن عليه الجزية».

وقد ألقى العلاء بين يدي المنذر بياناً ضافياً موضحاً له صلب العقيدة الإسلامية والفرق بينها وبين النحل الأخرى ومن ضمنها عقيدة المنذر المجوسية فقال : (يامنذر **إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تصغرن عن الآخرة. إن هذه المجوسية شر دين،** ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب، ينكحون مايستحى من نكاحه ويأكلون مايتكرم من أكله ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم عقل ولا رأي، فانظر: هل ينبغي لمن لايكذب في الدنيا ألا تصدقه ولمن لايخون أن لاتأمنه، ولمن لايخلف أن لاتثق به، فإن كان هذا هكذا فهو هذا النبي «ﷺ» الأمي الذي والله لايستطيع ذو عقل أن يقول ليت مآمر به نهى عنه أو مانهى عنه أمر به، أو ليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه. إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر[3])، فقال المنذر: قد نظرت في هذا الأمر الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت؟ ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده، وأن من إعظام ماجاء به أن يعظم الرسول «ﷺ» وسأنظر[4].

وكان للبيان التوضيحي الإعلامي الذي أدلى به العلاء واستجابة المنذر لدعوة رسول الله «ﷺ» الأثر الكبير الذي دعاه إلى أن يكتب الرسالة التالية:

---

(١) د. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ١١٣، الدكتور عون الشريف قاسم، نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ، ص ٣٢٣.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين «ﷺ».

(٣) الروض الأنف السهيلي، جـ٧، ص ٥١٩. وقد ورد هذا البيان على اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) سيرة الأمين والمأمون الشهيرة بالسيرة الحلبية، جـ٣، ص ٣٠٠، ص ٣٠١.

(من المنذر بن ساوى أما بعد يارسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين[١] فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضى مجوس ويهود فأحدثني في ذلك أمرك)[٢].

ولقد كانت رسالة المنذر إلى النبي «ﷺ» إيذاناً بأن تدخل البحرين تحت لواء الإسلام وتعاليمه المتعلقة بالعقيدة ومايتبع ذلك من أمور تتعلق بشعب البحرين من مسلمين ويهود ومجوس وغيرهم. ولذلك فإن المنذر بعد أن أعلن للرسول «ﷺ» إسلامه ثم ولاءه طلب منه أن يوجهه إلى الطريق السليم لكيفية معالجة الأمور في البحرين، وخاصة لمن هم على غير عقيدة الإسلام من مجوس ويهود، فلم يتوان الرسول «ﷺ» في سرعة الرد عليه وتبليغه ما يجب أن يكون على ضوء تعاليم الدين الإسلامي، وهذا مانراه واضحاً في الرسالة الآتية:

(بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام الله عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد:

فمن استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له مالنا وعليه ماعلينا ومن لم يقبل فعليه دينار من قيمة المعافري[٣] والسلام ورحمة الله يغفر الله لك)[٤].

وتدعيماً للتعاليم والتعليمات المتعلقة بكيفية معالجة الأمور المختلفة فقد استمر الرسول الكريم في توجيهاته وإرشاداته للمنذر ليتصرف على هدى وبينة.

وهاهي ذي الرسالة التالية في سلسلة توجيهاته (صلوات الله وسلامه عليه) للمنذر للأغراض المشار إليها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك،

---

(١) وفي رواية أخرى (قرأت كتابك على أهل هجر) البحرين في صدر الإسلام، ص ١٤٧. وانظر ابن سعد الطبقات، جـ٢، ص ١٩ وابن سيد الناس (عيون الأثر)، جـ٢، ص ٢٦٧ والزيلعي (نصب الراية)، جـ ٤، ص ٤٢٠. والسيرة الحلبية، جـ٣، ص ٢٨٤.

(٢) جمهرة رسائل العرب، جـ ١، ص ٤٦، وفي تاريخ السيرة، ص ٢٥٥ وفيها فأرسل إليّ في ذلك أمرك بدلاً من فأحدثني في ذلك أمرك. انظر : مجموعة الوثائق السياسية، جـ ١، ص ١١٥.

(٣) المعافري : برود من اليمن منسوبة إلى معافر وهي قبيلة باليمن.

(٤) انظر : الخراج ص ١٤١، ومجموعة الوثائق ص ١١٥ وفيه زيادة (فإن كتابك جاءني وسمعت مافيه فمن صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا..) وهذه هي الرسالة الثالثة من الرسول «ﷺ» إلى المنذر بن ساوى).

فإني أحمد إليك الله الذي لاإله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن ينصح لهم فقد نصح لي، وأن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وأني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ماأسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية)[١].

ونتيجة لتنفيذ أوامر الرسول الكريم من قبل المنذر وإيجابية هذا الوالي، وتعاونه المشرف مع مبعوثي النبي «ﷺ»، ولإبلاغ المبعوثين النبي «ﷺ» ذلكَ فقد ارتأى صاحب الدعوة أن يشجع المنذر ويذكر له مواقفه المطمئنة، واستحسان طاعته للتعاليم الإسلامية. لذلك كتب له الرسول «ﷺ» مؤازراً موقفه وهو ما سنراه في هذه الرسالة.

أما بعد (فإن رسلي قد حمدوك وإنك مهما تصلح أصلح إليك وأثبك على عملك وتنصح لله ولرسوله والسلام عليك)[٢]، ولم تقتصر كتابات الرسول «ﷺ» ووفاداته إلى البحرين على المنذر بن ساوى وإنما تعدتها إلى مرزبان[٣] هجر[٤] وذلك حين كتب إلى المنذر بن ساوى يدعوه للإسلام أو الجزية وهذا نصها:

(إلى أسيبخت[٥] بن عبدالله صاحب هجر: إنه قد جاءني الأقرع[٦] بكتابك

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية، جـ ١، ص ١١٤ ويلاحظ أنها الرسالة الرابعة من رسائله «ﷺ» إلى المنذر بن ساوى.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ١، ص ٢٧٦.

(٣) مرزبان : هو حاكم الولاية وهي من ولايات الإمبراطورية الفارسية القديمة. انظر : الموسوعة العربية الميسّرة، جـ١، ص ٩٤١.

(٤) هجر : هي مدينة داخلية بعيدة عن السواحل، وهي أهم مدينة في اقليم البحرين حتى سمّاها بعض المؤلفين باسميها فذكر الهمذاني أنها مدينة البحرين العظمى ووصفها ابن حوقل بأنها أكبر أعمال البحرين ومدنها وكانت عند ظهور الإسلام وصدره قاعدة البحرين وقصبتها وكان بها أحد الأسواق الهامة السنوية قبل الإسلام وقد قاتل العلاء الحضرمي ابن ربيعة المرتد عام ١١هـ بهجر وهي مدينة الهفوف إحدى مدن المملكة العربية السعودية.. وانظر المسالك والممالك ص ٢١٨ وأحسن التقاسيم ص ٧١ وفي معجم البلدان جـ٥، ص ٣٩٣ (قال ابن الحائك : الهجر بلغة حمْيَر والعرب العاربة القرية وهجر مدينة وهي قاعدة البحرين).

(٥) الأصل الفارسي «سهبخت» الوثائق السياسية، ص ١٢٠.

(٦) الأقرع يحتمل أن يكون الأقرع بن حابس التميمي أحد أشراف قومه أو الأقرع ابن شفى العكي، أو الأقرع بن عبدالله الحميري. انظر : مكاتيب الرسول للشيخ علي بن حسين علي الأحمدي، ص ١٥٩.

وشفاعتك لقومك، وإني قد شفعتك وصدقت رسولك الأقرع في قومك، فأبشر فيما سألتني وطلبتني بالذي تحب، ولكني نظرت أن أعلمه وتلقاني فإن تجئنا أكرمك وإن تقعد أكرمك. أما بعد: فإني لأستهدي أحداً وإن تهد إلي أقبل هديتك وقد حمد عمالي مكانك، وأوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة والزكاة وقرابة المؤمنين، وإني قد سميت قومك بني عبدالله فمرهم بالصلاة وبأحسن العمل وأبشر، والسلام عليك وعلى قومك المؤمنين)[(١)].

واستكمالاً لنشر الدعوة فقد كتب النبي «ﷺ» إلى الهلال صاحب البحرين كتاباً هذا نصه:

(سِلمٌ أنت فإني أحمد إليك الله الذي لاإله إلا هو لاشريك له، وأدعوك إلى الله وحده، تؤمن بالله وتطيع وتدخل في الجماعة فإنه خير لك والسلام على من اتبع الهدى)[(٢)].

وكتب الرسول «ﷺ» كتاباً عاماً شاملاً إلى أهل البحرين جاء فيه:

(أما بعد فإنكم إذا أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ونصحتم لله ورسوله وآتيتم عشر النخل ونصف عشر الحب ولم تمجّسوا أولادكم، فلكم ماأسلمتم عليه غير أن بيت النار لله ورسوله، وإن أبيتم فعليكم الجزية)[(٣)].

وكتب «ﷺ» كذلك كتاباً عاماً للدعوة الإسلامية إلى أهل هجر: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى أهل هجر سلمٌ أنتم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد، فإني أوصيكم بالله وأنفسكم أن لاتضلوا بعد إذ هديتم ولاتغووا بعد إذ رشدتم. أما بعد ذلكم فإنه قد جاءني وفدكم فلم آت فيهم إلا ماسرهم وإني لو جهدت حقي كله فيكم أخرجتكم من هجر فشفعت شاهدكم ومننت على غائبكم اذكروا نعمة الله عليكم أما بعد: فإنه قد أتاني ماصنعتم وإن من يجمل منكم لايحمل عليه ذنب المسيء فإذا جاءكم أمراؤكم فأطيعوهم وانصروهم على أمر الله وفي سبيله، فإنه من يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضل له عند الله ولاعندي، أما بعد يامنذر

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٧٥.

(٢) البحرين، عبدالرحمن نجم، ص ١٥٠، فتوح البلدان ص ٨٩ للبلاذري.

(٣) جمهرة رسائل العرب، جـ١، ص ٤٧ وفتوح البلدان ص ٨٩.

ابن ساوى فقد حمدك لي رسولي، وأنا إن شاء الله مثيبك على عملك[1].

وعمت الدعوة الإسلامية أهل البحرين بشكل أوسع ليؤدي الرسول «ﷺ» الأمانة التي أمره الله بها حيث كتب إلى عبد قيس[2]: (من محمد رسول الله إلى الأكبر بن عبد قيس أنهم آمنون بأمان الله، وأمان رسوله على ما أحدثوا في الجاهلية من القحم وعليهم الوفاء بما عاهدوا ولهم أن لايحبسوا عن طريق الميرة[3] ولا يمنعوا صوب القطر، ولا يحرقوا جريم[4] الثمار عند بلوغه، والعلاء بن الحضرمي أمير رسول الله على برها وبحرها وحاضرها وسراياها، وما خرج منها، وأهل البحرين خفراؤه من الضيم، وأعوانه على الظالم، وأنصاره في الملاحم، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه، لا يبدلوا قولنا ولا يريدوا فرقتنا، ولهم على جند المسلمين الشركة في الفيىء والعدل في الحكم، والقصد في السيرة، حكم لا تبديل له في الفريقين كليهما والله ورسوله يشهد عليكم)[5].

كذلك بعث الرسول «ﷺ» رسالة أخرى إلى عبد القيس وهذا نصها: («بسم الله الرحمن الرحيم»: هذا كتاب من محمد رسول الله لعبد القيس وحاشيتها من البحرين وما حولها، أنكم أتيتموني مسلمين، مؤمنين بالله ورسوله، وعاهدتم على دينه، قبلت على أن تطيعوا الله ورسوله فيما أحببتم وكرهتم وتقيموا الصلاة وتؤدوا الزكاة وتحجوا البيت، وتصوموا رمضان، وكونوا قائمين لله بالقسط ولو على أنفسكم. وعلى أن تؤخذ من حواشي أموال أغنيائكم فترد على فقرائكم على فريضة الله ورسوله في أموال المسلمين)[6].

---

(١) مكاتيب الرسول للأحمدي، ص ٣٨٢ وقد ورد في طبقات ابن سعد، جـ١، ص ٢٧٥،٢٧٦ وفي فتوح البلدان ص ٩٠ هذا النص مع وجود اختلاف في الألفاظ لا تخلّ بالمعنى العام لمضمون الرسالة.

(٢) عبدالقيس قبيلة جاءت إلى البحرين من تهامة وتغلبت على من كان قد سكن قبلها بها من إياد والأزد وأجلت إياداً عنها.. ولقد استحوذ عبدالقيس على معظم البحرين ولذلك عدّها بعضهم لعبد القيس ومن زعمائهم المشهورين عند ظهور الإسلام الأشج الذي تزعم وفد عبدالقيس إلى الرسول «ﷺ» في المدينة. والجارود العبدي. انظر : مكاتيب الرسول للشيخ الأحمدى ص ٣٧٩، ص ٣٥٠. وانظر : أيضاً البحرين لعبدالرحمن النجم ص ٤١،٤٢.

(٣) الميرة : هي الحبوب الغذائية.

(٤) حريم في الأصل جريم بالحاء المهملة ولعل الصواب جريم الثمار. انظر: الوثائق ص ١٢٦.

(٥) الوثائق السياسية، ص ١٢٦.

(٦) مجموعة الوثائق السياسئة ص ١٢٦،١٢٧. وانظر : الطبقات الكبرى ص ٢٨٣.

ولم يكتف الرسول «ﷺ» بتعميم الدعوة إلى أهل البحرين بصفة عامة، وإنما خصها برسالة خاصة يدعوهم فيها إلى الاسلام مؤملاً أن يهتدوا إلى دين التوحيد ليخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام. حيث كتب لهم.. (أما بعد: من شهد منكم أن لاإله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فله مثل مالنا وعليه مثل ماعلينا، ومن أبى فعليه الجزية، على كل رأس دينار على الذكر والأنثى ومن أبى فليأذن بحرب من الله ورسوله)[١]. وبناءً على البيانات الإلهية المبلغة للرسول «ﷺ» قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٢].

وإن طبيعة الاسلام هي الابلاغ بدين التوحيد دون ضغط أو إرهاب. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[٤]، فالإسلام هو دين اليسر ودين التسامح ودين العقل والتدبر والاقتناع قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[٥].

والنجاح المؤزر الذي حققته الدعوة في البحرين يرجع إلى حكمة الرسول «ﷺ» عندما أبقى المنذر بن ساوى والياً على قومه لأنه منهم، حيث سارع هذا إلى قبول الإسلام عن قناعة، مما طمأن قومه الذين أسرع العرب منهم إلى الدخول في الإسلام، ووافق المجوس واليهود طائعين على دفع الجزية.

ومن يتأمل هذه الرسالة يتضح له أنها مستكملة لسائر عناصر الرسالة الإعلامية من حيث المضمون والمرسل والمستقبل، لأنها انبثقت من القاعدة الأساسية للإعلام عن الدعوة الإسلامية. والبلاغ المبين كما أن حامل الرسالة (الداعية) صحابي جليل اختاره المرسل (النبي الكريم) لكونه كفؤاً للقيام بمثل هذه المهمة السامية ووفق المرسل

---

(١) انظر : نصب الراية، جـ٣، ص ٤٤٧ للزيلعي، وانظر : البحرين ص ١٥٠ لعبدالرحمن نجم.

(٢) سورة الحج ــ الآية ١٧.

(٣) سورة المائدة ــ الآية ٦٧.

(٤) سورة المائدة ــ الآية ٩٩.

(٥) سورة النحل ــ الآية ٣٦.

(النبي الكريم) في الخصائص الذاتية لمبعوثه فرآه قادراً على الإجابة على أي سؤال قد يوجه إليه، فالمبعوث كيسٌ فطن، عايش موضوع الرسالة التي حملها وتغلغل في وجدانه إيمان وعمل فظهر ذلك واضحاً في المحاورة التي جرت بينه وبين المنذر كما سبق.

ونجد عمق العقيدة والإيمان في مبعوث الرسول عليه الصلاة والسلام (المبشر)، وكان من ثمارها أن اعتنق المنذر دين التوحيد ورد رداً إيجابياً وعن قناعة وفهم، ينمان عن عقل راجح. وكان من أهم أسباب هذا القبول وضوح رسالة المصطفى وصراحتها وزاد من وضوحها إيمان حاملها وشرحه للعقيدة الإسلامية وأهدافها في الوقت الذي أماط فيه اللثام عن مفاسد عقيدة المجوس والعقائد الأخرى.

أما عن التأثير الإعلامي للرسائل فقد كان تأثيراً إيجابياً فعالاً اذ ذاع صيت الإسلام في تلك البلاد، وتحدث عنه في المجالس الخاصة والعامة، ومن ثم اتسع نطاقه في البحرين وما حولها، وقد خاطب[1] الرسول «ﷺ» الملوك والأمراء ودعاهم إلى الإسلام لأن اعتناقهم له سيكون سبباً في إسلام شعوبهم، ويفسح مجالاً للدعوة في أن تشق طريقها بين عامة الناس وخاصتهم من خلال البث الإعلامي المتمثل في الرسائل والدعاة الذين كان رسول الله «ﷺ» يرسلهم بين الحين والآخر، وذلك لأن الناس في تلك الفترة ـــ التي لم تكن هناك وسائل إعلام سوى ما يصدره الملوك والحكام لشعوبهم من نظم وتوجيهات الحكام ـــ يتبعونها مقلدين ومنفذين لأفعالهم وأعمالهم، فالناس على دين ملوكهم[2]، كما يقال، أي أنه إذا ارتضى الملك نظاماً له فهو دين له، فإذا تبعته رعيته قالوا الناس في دين الملك أي يتبعون نظامه، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾[3] وبدا هذا الأمر واضحاً حين أسلم أمير البحرين مع كثير من قومه. ولقد عالجت تلك الرسالة عدة أمور نوجزها فيما يلي:

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان ص ٨٩.
وانظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ١، ص ٣٤٩، وعبدالرحمن النجم، البحرين، ص ١٠٣.

(٢) د. إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي، المرحلة الشفهية، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م، ص ٥٧.

(٣) سورة يوسف ـــ الآية ٧٦.

أولاً :الدعوة إلى اعتناق الإسلام ونبذ ما عداه من الشرك والديانات الأخرى كالمجوسية وغيرها.

ثانياً :معالجة شؤون الأمة من عبادات ومعاملات وواجبهم نحو الدولة.

ثالثاً :عدم إكراه أصحاب الديانات الأخرى على اعتناق الإسلام حيث إن الرسول الكريم مكلف بالدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة[1]، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾.

رابعاً :ترك الملوك والأمراء في مناصبهم عند اعتناقهم الإسلام وتوجيههم من قبل الرسول «ﷺ» لإدارة شعوبهم على هذه العقيدة الإسلامية.

خامساً :تشجيع الرسول وتقديره لمن يقوم بعمل طيب يخدم الإسلام والمسلمين وأن في ذلك ثواباً له مثل قوله: ﴿**وإنك مهما تصلح أصلح إليك وأثبك على عملك**﴾.

(١) سورة النحل ــ الآية ١٢٥.

رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم لأمير البحرين أثرها ودلالتها الإعلامية

من خلال قراءة رسائل النبي «ﷺ» التي يدعو فيها أمير البحرين إلى الإسلام يمكننا استنباط الدلالات الإعلامية التالية:

١ ـــ فاتحة القول «بسم الله الرحمن الرحيم» وهي من شعائر الإسلام المقدسة التي تفتتح بها الكتب والأقوال وعند البدء بالأفعال، والبدء بالبسملة هو الأدب الذي أوحى الله به إلى نبيه «ﷺ» في أول ما نزل من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (١) وهو يتفق مع قاعدة التصور الإسلامي الكبير من أن الله هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فهو الموجود الحق الذي يستمد منه كل موجود، ويبدأ منه كل مبدوء، ولذلك يكون كل ابتداء باسمه «والرحمن الرحيم» يستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها التي تبعث في النفوس الطمأنينة والثقة. والله وحده المختص بهاتين الصفتين.

٢ ـــ الإعلان عن شخصيته «ﷺ» بأنه رسول الله مصداقاً لقوله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾(٢).

٣ ـــ التحية وهي «سلام على من اتبع الهدى» وفيها تحفظ لكي لاتكون على إطلاقها حقاً مفروضاً للكافر على المسلم.

٤ ـــ الدعوة إلى الإسلام «أسلم تسلم» لأن اعتناق الإسلام سبيل إلى الأمن والسلام في الدنيا، والنعيم الدائم في الآخرة، وليس كما يدعي أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يعتقدون أن الأمن والسلام والنعيم سوف تتحقق بظهور المخلص «المسيح» عليه السلام.

٥ ـــ في حالة اعتناق الوالي للإسلام فسوف يتحقق له المطلب الأول وهو بقاؤه في سلطته، وشموله بالسلام والأمن الذي يدعو إليهما الإسلام.

٦ ـــ «اعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر» أي أن هذا الدين سوف يغطي

---

(١) سورة العلق ـــ الآية ١.

(٢) سورة الأحزاب ـــ الآية ٤٠

كل ماتصل إليه وسائل المواصلات المعروفة آنذاك من خيل وجمال وهي أهم وسائل النقل في السلم والحرب.

٧ ــ ثقة الرسول «ﷺ» بأن الدين الإسلامي منتصر لامحالة وهكذا فإن الدلالات التي أشرنا إليها تندرج تحتها الرسائل اللاحقة المرسلة إلى المنذر مع وجود دلائل أخرى قمت باستخراجها بعد الدراسة والتحليل.

(١) «لا إله إلا الله» وهي أولى الدلائل الإعلامية التي أمر النبي «ﷺ» بتبليغها الناس منذ أول يوم بدأت فيه الدعوة، وهي أساس عقيدة التوحيد، كما جاء في الرسالة رقم (٤).

(٢) توضيح بعض صفات المسلم كقوله (فمن استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم).

(٣) دفع الجزية ممن لا يعتنق دين الإسلام ومقدارها دينار كقوله (ومن لم يفعل فعليه دينار)، وهذا تسامح من الرسول «ﷺ» حيث لم يجبر أحداً على اعتناق الإسلام.

(٤) الدعاء للمنذر بأن يغفر الله له لقوله «يغفر الله لك» وقد جاءت الرسالة الثالثة للمنذر تؤكد مايلي:ــ

أ ــ وحدانية الله سبحانه وتعالى لقوله: «وأشهد أن لا إله إلا الله».

ب ــ إثبات رسالة ونبوة النبي «ﷺ» كقوله (وأن محمداً عبده ورسوله).

جـ ــ وجوب طاعة رسل النبي لتنفيذ الأوامر كقوله: «وأنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني».

د ــ الإشارة إلى ما قدمه الوالي من مساعدة لمبعوث الرسول «ﷺ» لقوله «وأن رسلي قد أثنوا عليك». ونتيجة لذلك قدر الرسول «ﷺ» له ذلك الموقف فشفعه في قومه.

هـ ـ أمر من الرسول «ﷺ» للمنذر ألاّ يتعرض للمسلمين في أموالهم ومايملكون لقوله «فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه». وفي نفس الوقت العفو عن الأشخاص الذين صدرت منهم بعض الهفوات لقبول أعذارهم كقوله «وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم».

و ــ طمأنة المنذر بأن أعماله الطيبة ولو كانت بسيطة فلن تقلل من شأنه ولن

تؤدي إلى عزله لقوله «ﷺ» «وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك».

ز ـ ترك من بقي على عقيدته من يهود أو مجوس دون قهر أو تخويف، مقابل دفع جزية رمزية، وهي دينار كقوله «ﷺ» «ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية». وتؤخذ الجزية من هؤلاء نظير حماية أرواحهم وأموالهم.
وأموالهم.

أما الدلالات الإعلامية التي لمسناها من رسالته «ﷺ» إلى أسيبخت بن عبدالله مرزبان هجر فهي:

١ ـ تسامح الرسول «ﷺ» وتقديره لشفاعة الولاة في أقوامهم رغبة في ميلهم للإسلام لقوله «قد شفعتك وصدقت رسولك الأقرع في قومك».

٢ ـ تلبية الرسول «ﷺ» لطلب أسيبخت بما يحب، تقديراً لمركزه لقوله «فأبشر فيما سألتني وطلبتني بالذي تحب».

٣ ـ إكرام الرسول «ﷺ» للوالي سواء قدم للرسول أو بقي لقوله «فإن تجئنا أكرمك، وإن تقعد أكرمك».

٤ ـ عدم طلب الرسول «ﷺ» للهدية مع قبوله إياها إذا أهديت له دون طلب.

٥ ـ إعلامه وتوجيهه بأفضل مايحب أن يتبعه وهو إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وقرابة المؤمنين.

٦ ـ ان الرسول «ﷺ» غيّر اسم قوم الوالي باسم حسن مقبول انطلاقاً من قوله «ﷺ» «إذا أبردتم إليَّ بريداً فليكن حسن الاسم، حسن الوجه» كما في قوله: «قد سميت قومك بني عبدالله».

٧ـ أن يأمر قومه بالصلاة والأعمال الطيبة كما في قوله «ﷺ» «فمرهم بالصلاة وبأحسن العمل».

٨ ـ وختم «ﷺ» رسالته بالسلام عليه وعلى قومه المؤمنين، وهذا فيه الأمن والأمان للوالي ولمن آمن من قومه.

وأما عن الدلالات الإعلامية المستفادة من كتابه «ﷺ» إلى الهلال صاحب البحرين فهي:

١ ـ رفع شعار الإسلام الخالد كما في قوله: «الله الذي لا إله إلا هو لاشريك له»،

وفيه التأكيد على وحدانية الله ونبذ عبادة الشرك والعبادات الأخرى الموجهة لغير الله.

٢ ــ دعوة الهلال إلى عبادة الله الواحد الأحد ونبذ العبادات الأخرى كما في قوله: «أدعوك إلى الله وحده تؤمن بالله». انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

٣ ــ حثه على الطاعة واعتناق الإسلام لما في ذلك من خير له ولأن الإسلام أصبح عقيدة الغالبية كما في قوله «تدخل في الجماعة فإنه خير لك».

٤ ــ ختم الرسول «ﷺ» رسالته بالسلام عليه في حالة اتباعه لدين التوحيد كما في قوله: «والسلام على من اتبع الهدى».

ويمكن استخراج دلالات إعلامية بارزة من رسالته «ﷺ» إلى أهل هجر وهي:

١ ــ «بسم الله الرحمن الرحيم» شعار إسلامي يوضح وحدانية الخالق وأنه الرحمن الرحيم الذي يجب أن تنصرف العبادة إليه وحده لاشريك له.

٢ ــ الإعلام عن نفسه بأنه النبي المرسل من الله كما في «من محمد النبي رسول الله».

٣ ــ تكرار التأكيد على وحدانية الله كما في قوله «الذي لا إله إلا هو» وكما في قوله «أوصيكم بالله».

٤ ــ التحذير من الضلالة بعد الهداية كما في قوله: «أن لاتضلوا بعد إذ هديتم ولا تغووا بعد إذ رشدتم».

٥ ــ إكرام وفده مع إعلامهم بأن الرسول «ﷺ» لو استعمل صلاحياته وسلطاته ماتركهم في هجر، ولكنه انطلاقاً من روح الإسلام السمحة فقد طمأنهم كما في قوله: (فلم آت إليهم إلا ماسرهم وأني لو جهدت حقي فيكم كله أخرجتكم من هجر). حيث عفا عن الغائب وأكرم تفضلاً منه «ﷺ» الحاضر بين يديه.

٦ ــ أن يذكروا نعم الله عليهم وأن المحسن لايحمل إثم المسيء. كما ورد في كتاب الله.. ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران ــ الآية ١٨.

(٢) سورة النجم ــ الآية ٣٨.

٧ـ **حثهم على طاعة مبعوثيه وأن يساعدوهم على تنفيذ المهمة المكلفين بها من قبل** رسول الله وهذه المهمة هي خدمة للدين حيث إن الخالق سبحانه وتعالى سوف يجازي كل إنسان على عمله مهما كان بسيطاً، وسوف يثاب من الله ومن رسوله كما في قوله: (فإذا جاءكم أمرائي فأطيعوهم وناصروهم على اتباع أمر الله، وفي سبيله فإنه من يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضيع عند الله ولا عندي).

ويمكن استنباط بعض الدلالات الإعلامية الإسلامية من رسالته «ﷺ» إلى عبدالقيس:

١ ــ الإعلام عن شخصيته وأنه رسول الله.

٢ ــ أنهم في أمن وسلام من الله ورسوله بالنسبة للأعمال التي اقترفوها في الجاهلية كما في قوله: (إنهم آمنون بأمان الله وأمان رسوله على ماأحدثوا في الجاهلية من القحم)[1].

٣ ــ وجوب الوفاء بالعهد ونظير ذلك السماح لهم بأن لاتمنع عنهم المواد الغذائية «الحبوب» ولهم حرية التنقل بسلام وأن يمنعوا من قطع الثمار.

٤ ــ الإعلام عن تعيين مبعوث الرسول «ﷺ» وهو العلاء أميناً لرسول الله على برها وبحرها وحاضرها وسراياها وماينتج منها.

٥ ــ أن على أهل البحرين حراسته من كل أذى وضرر وظلم كما في قوله (وأهل البحرين خفراؤه من الضيم وأعوانه على الظالم وأنصاره في الملاحم).

٦ ــ أنه منحهم الأمن والأمان والسلام بشرط عدم تغييرهم أو تبديلهم للاتفاق الذي أبرم معهم مؤكداً ذلك بعهد الله وميثاقه على الطرفين كما في قوله: (عليهم بذلك عهد الله وميثاقه لايبدل قولاً ولايريد فرقه).

٧ ــ أنهم إذا قاموا بما عاهدوا الله عليه من نصر لجند المسلمين فلهم نصيب كجند المسلمين في الفيء ومن حقهم العدل في الحكم وحسن الأحدوثة وأن ذلك بين الفريقين دائم، والله ورسوله يشهدان على ذلك، كما في قوله: (ولهم على جند المسلمين الشرك في الفيء، والعدل في الحكم، والقصد في السيرة. حكم لاتبديل له في الفريقين كليهما، والله ورسوله يشهد عليهم).

---

(١) القحم: الذنوب العظام، انظر: ابن منظور. لسان العرب جـ٣، ط١، دار السعادة، بيروت، ص ٢٥، ط١، يوسف خياط.

٨ ــ أن إسلام عبدالقيس وما حولها من مناطق البحرين الذين أسلموا وآمنوا بالله ورسوله وعاهدوا على دينه قد قبل ذلك رسول الله منهم نظير طاعة الله ورسوله فيما أحبوا وكرهوا كما في قوله: (إنكم أتيتموني مسلمين مؤمنين بالله ورسوله وعاهدتم على دينه فقبلت على أن تطيعوا الله ورسوله فيما أحببتم وكرهتم).

٩ ــ إقامة شعائر الله من صلاة وزكاة وصوم وحج وإقامة العدل ولو على أنفسهم، كما تؤخذ الصدقات من أوسط أموال ذوي اليسار منهم وتوزيعها على الفقراء بحسب مافرض الله ورسوله في أموال المسلمين كما في قوله: (وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة... الخ) حسب ماجاء في رسالته «ﷺ».

وهذه هي الدلالات الإعلامية المستنبطة من كتابه «ﷺ» إلى مجوس هجر:

١ ــ التأكيد على شعار الإسلام السامي كما في قوله (لا إله إلا الله).

٢ ــ نبوة ورسالة محمد «ﷺ» الواضحة بالرسالة.

٣ــ توجيههم إلى بعض شعائر وتعليمات الإسلام كما في قوله «واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا إذا قاموا بها فلهم ما للمسلمين وعليهم ماعلى المسلمين».

٤ ــ أن من يرفض اتباع تعاليم الإسلام فإن عليه الجزية كما ورد في قوله «ومن أبى فعليه الجزية».

٥ ــ من يرفض اعتناق الإسلام أو دفع الجزية فعليه الحرب كما ورد في قوله «ومن أبى فليأذن بحرب من الله ورسوله».

فالدلالات الإعلامية التي استنبطت من رسائله «ﷺ» تؤكد حرص الرسول «ﷺ» على التأكيد على وحدانية الله ورسالته وتعاليمه إلى الشعوب التي دعاها فمن قبلها فله ما للمسلمين، ويضمن بذلك الأمن والسلام في الدنيا، والنعيم في الآخرة، ومن أبى فلا إكراه عليه ولا إجبار على اعتناق الإسلام، ولكنه مادام في حظيرة الإسلام فعليه دفع جزية مقررة بسيطة في سبيل حفظ دمه وماله. ومن لم يقبل اعتناق الإسلام أو دفع الجزية، فليأذن بحرب من الله ورسوله. وهنا يتجلى تسامح الدين الإسلامي بعدم إكراه الناس على اعتناقه كما كان يفعل أصحاب الديانات الأخرى في حالة انتصارها حيث كانت تبطش وتقضي على الحرث والنسل وتجبر من يبقى على اعتناق عقيدتها مهما كانت خالية من كل إنسانية، كما حدث حين أرغم ذو نواس الحميري الناس على اعتناق اليهودية، وقتل من رفض ذلك كما في قصة أصحاب الأخدود.. قال

تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[1].

---

(١) سورة البروج ــ الآيات : ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨.

المبحث الثاني

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى هوذه بن علي ملك اليمامة

وهذا نص الرسالة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يدك»[3].

---

(١) هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي من بني حنيفة من بكر بن وائل وهو صاحب اليمامة بنجد وشاعر قومه وخطيبهم قبيل الإسلام وهو من أهل كران وهي قرية من قرى اليمامة وأهل هذه القرية أفصح بني حنيفة وكان هوذة يتردد على كسرى في المهمات وسمّي (ذو التاج) وقيل إنه عندما دخل على كسرى أعجب به ودعا بعقد من در فعقده على رأسه لذلك سمّيْ «ذو التاج» وقال المبرد في الكامل كان هوذة ذا قدر عال وكانت له خرزات تنظم فتجعل على رأسه تشبهاً بالملوك ونقل عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : (لم يتوج أحد في الجاهلية من بني معد وإنما كانت التيجان لليمن) وقد أسره بنو تميم ففدا نفسه. انظر : الزركلي في الأعلام، جـ٨، ص ١٠١. وقد أشار الإمام الكازوني في مخطوطة السيرة النبوية الشريفة جـ١، ص ٢٣٤ في تعريفه لهوذة ذكر أنه كان من الملوك العقلاء إلا أن التوفيق عزيز (المعنى أنه لم يسلم).

ولقد شاركه في حكم اليمامة ثمامة بن آثال حيث بعث إليهما رسول الله «ﷺ» سليط بن عمرو سنة ست أو سبع من الهجرة (السيرة النبوية لابن هشام، جـ٤، ص ٣١٤، ص ٣١٥،٣١٦، يروى أن ثمامة أول من دخل مكة ملبياً عند اعتماره وقال للرسول عند مقابلته له للمرة الأولى (لقد كان وجهك أبغض الوُجوه إليَّ ولقد أصبح وهو أحب الوجوه إليَّ).

(٢) اليمامة هي معدودة من نجد، ونجد تقع في جنوب بادية الشام وتشتمل على وسط جزيرة العرب بين الحجاز والأحساء. انظر تاريخ العرب العام لسيديو ترجمة عادل زعيتر ص٢٠ وقد أشار ياقوت الحموي في معجم البلدان، جـ٥، ص ٤٤١، ص٤٤٢ أن بين اليمامة والبحرين عشرة أيام وتسمّى اليمامة جوى والعروض بفتح العين وكانت تسمى قديماً جوى وسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسوم (زرقاء اليمامة).

وزرقاء اليمامة لقب اشتهرت به خلال العصر الجاهلي امرأة نجدية من أهل اليمامة ضرب بها المثل في حدة البصر. انظر : أحمد عطية الله، دائرة المعارف الحديثة، م٢، ص ٩٥٢.

(٣) الإمام أحمد القسطلاني مخطوطة المواهب اللدنية، حـ ٣، ع٢٤٢ الكاتب محمد نورالدين، مكتبة الحرم النبوي الشريف المدينة المنورة ورقة ٣٨٠، وفي صبح الأعشى للقلقشندي جـ٦، ص ٣٧٩ لم يذكر البسملة وذكر يديك بدلاً من يدك ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ص ١٢٣. وانظر : زاد المعاد لابن الجوزي ص ٦٣، جـ٣.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مبعوث النبي «ﷺ» هو سليط بن عمرو[1] الذي قدم على هوذة بن علي الذي أنزله وحياه، وبعد أن سلمه الرسالة ألقى بين يديه البيان الإعلامي الإسلامي التالي: (إنما السيد من منع بالإيمان ثم زود التقوى، وإن قوماً سعدوا برأيك فلا تشق به، وأني آمرك بخير مأمور به، وأنهاك عن شر منهي عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان، فإن في عبادة الله الجنة، وفي عبادة الشيطان النار، فإن قبلت فلك ما رجوت، وأمنت ماخفت، وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء، وهول المطلع)[2].

فقال هوذة (ياسليط سودنى من لوسودك[3] شرفت به قد كان لي رأي اختبر به الأمور ففقدته، فموضعه من قلبي هواء، فاجعل لي فسحة يرجع إليّ رأيي فأجيبك به إن شاء الله)[4].

وبعد أن أصغى هوذة إلى البلاغ الإعلامي الشامل الذي أفصح به المبعوث الإسلامي الإعلامي، وبعد أن تليت عليه رسالة الرسول «ﷺ» طلب فسحة من الوقت للتفكير والتشاور بقوله: (فاجعل لي فسحة يرجع إليّ رأيي فأجيبك به إن شاء الله).

وتمخض تفكيره ووزنه للأمور وعلمه بالدين وصاحب الدعوة وما يدعو إليه كتب إلى النبي «ﷺ» (ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك)[5]

ومما يؤسف له أن هذا الملك اشترط لإسلامه شرطاً دنيوياً بحتاً ينم عن حبه للمادة أكثر من الغذاء الروحي الذي يملأ القلب إيماناً وأمناً وقناعة، كما جاء في تهديده حيث قال: (إن جعل الأمر لي بعده سرت إليه وأسلمت ونصرت وإلا قصدت حربه)[6].

---

(١) سليط بن عمرو بن عبدشمس بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤي. انظر : تاريخ ابن خلدون جـ٢، ص ٤٤٩ وأيضاً أسد الغابة لابن الأثير جـ٢، ص ٣٤٤ حيث قال إنه هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً.

(٢) الإمام المحدث عبدالرحمن السهيلي : الروض الأنف، ط١١، جـ٦، ص ٥٩٠.

(٣) سوَّد : لغة من ساد يسود سؤدداً وسيدودة فهو سيد والمعنى أجله وعظمه. انظر : ابن منظور لسان العرب، جـ٢، ص ٢٣٦.

(٤) الإمام المحدث عبدالرحمن السهيلي، الروض الأنف، ط١، جـ٦، ص ٥٩٠،٥٩١.

(٥) أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الوفا بأحوال المصطفى، جـ٢، ط١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٦هـ ص ٧٣٨. وانظر ابن سعد : الطبقات، جـ١، ص ٢٦٢. وانظر : مخطوطة المواهب اللدنية للقسطلاني حـ ٣، ص ٣٨٠، عام رقم ٢٤٢ مكتبة الحرم النبوي الشريف.

(٦) زين الدين عمر بن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر، جـ١، ١٣٨٩هـ، بيروت، دار المعارف.

ورغم سوء قصده في شرطه إلا أنه أجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر فقدم بذلك كله على النبي «ﷺ» فأخبره وقرأ النبي كتابه[(١)] وقال: (لو سألني سبابة من الأرض مافعلت. باد وباد مافي يديه)[(٢)] فلما انصرف من عام الفتح جاءه جبريل فأخبره أنه مات[(٣)].

وقد ذكر أن هوذة بن علي قد أرسل إلى النبي «ﷺ» وفداً فيه مجاعة بن مرارة[(٤)] والرَّجَّال بن عنفوة[(٥)]. أما مجاعة والرَّجَّال فقد اعتنقا الإسلام، ومكث الرَّجَّال عند رسول الله حتى قرأ سورة البقرة وغيرها، وتفقه ثم رجع إلى اليمامة، وارتد وشهد أن رسول الله أشرك مسيلمة معه، وكانت فتنته أشد من فتنة مسيلمة[(٦)]. ولقد ذكر أن أركون دمشق[(٧)] كان عند هوذة فسأله عن النبي «ﷺ» فقال جاءني كتابه يدعوني إلى الإسلام فلم أجبه، قال الأركون لم لاتجيب..؟ فقال ضننت بديني وأنا ملك قومي ولئن اتبعته لم أملك. قال : بلى والله لئن اتبعته ليملكنّك وإن الخيرة لك في اتباعه.

وأنه النبي «ﷺ» العربي الذي بشر به عيسى بن مريم وأنه لمكتوب عندنا في الإنجيل «محمد رسول الله»[(٨)].

ونستشف من رسالة الهداية إلى مملكة اليمامة الدعوة إلى عبادة الله وحده لاشريك له ونبذ العقائد الأخرى المخالفة، والإعلام بانتصار هذا الدين، وأنه سوف يغطي أرجاء العالم

---

(١) ابن الجوزي : زاد المعاد، جـ٣، ص ٦٣.

(٢) ابن سعد : الطبقات، جـ١، ص ٢٦٢.

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٤) هو من أشراف بني حنيفة وهو الذي صالح خالد بن الوليد بعد مقتل مسيلمة. انظر : ابن خلدون، جـ٢، ص ٥٠٣. وانظر : الأعلام للزركلي جـ٤، ص ٢٧٧ الذي ذكر أنه صحابي وكان بليغاً حكيماً من رؤساء قومه في اليمامة أقطعه النبي أرضاً، وتزوج خالد ابنته.

(٥) هو من أشراف بني حنيفة شهد لمسيلمة بأن رسول الله «ﷺ» أشركه معه في الأمر لأن الرجّال قد هاجر وأقام مع النبي وقرأ القرآن وتفقه في الإسلام فلما ارتد مسيلمة بعث الرسول «ﷺ» الرجّال معلماً لأهل اليمامة ومشوشاً على مسيلمة إلا أن فتنته كانت أشد من فتنة مسيلمة وكان يؤذن لمسيلمة ويشهد برسالته وكان مستشاراً لمسيلمة وقد قتل على يد زيد بن الخطاب. انظر : ابن خلدون جـ٢، ص ٥٠.

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، جـ١، ص ٢١٥.

(٧) هو عظيم من عظماء النصارى. انظر: عيون الأثر لابن سيد الناس، جـ ٢، ص ٢٧٠.

(٨) ابن القيم الجوزي. زاد المعاد ص٦٣ ـ جـ٣

لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾[2].

ولعل لتفضيل النبي «ﷺ» أسلوب الاتصال الشخصي في الدعوة حكمة مقررة، وهي تحقيق الإيجابية الإعلامية، وإقامة العلاقات الحميمة بين المرسل والمستقبل[3]، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[4] وأن هدف الرسول «ﷺ» من بعث حامل الرسالة ليستطيع رسوله أن يدعو إلى عبادة الله وحده، وإلى الإيمان بدين الإسلام، وبه يقترن الإعلام التدويني بالإعلام الشفهي الشخصي، وصولاً إلى الهدف المنشود.

ولقد تمثل ذلك في البيان الإعلامي الذي أدلى به المبشر للدعوة من قبل صاحب الدعوة «ﷺ» إلى ملك اليمامة وشعبه. ومن الواضح أن ما نتج عن رسالة الدعوة وماشرحه تفصيلاً حاملها هو استماع الملك إليه وإكرامه، وحسن استقباله، وإغداق الهدايا عليه لاقتناعه المشروط. وإرساله وفداً على مستوى عال إلى النبي الكريم وما داربين ملك اليمامة وأركون دمشق الذي سبق سرده، وإسلام أعضاء الوفد اليمامي وهم من أشراف القوم وتفقه بعضهم في الدين كما سبق وأن ذكر وعودتهم معترفين بدين محمد «ﷺ». لدليل على أن هذه الرسالة قد أدت إلى مناقشات فردية وجماعية بين أهل اليمامة بعضهم بعضاً والذي أدى في النهاية إلى اعتناق الإسلام ولاسيما أن شريك هوذة في الحكم وهو ثمامة بن آثال الذي اعتنق الإسلام عن قناعة وايمان ثم تحمسه لهذا الدين حيث أنه منع الميرة عن أهل مكة[5] أعداء الإسلام.

ومن الدلالات الإعلامية لهذه الرسالة:

أولاً: الإعلام بشعار الإسلام وهو «بسم الله الرحمن الرحيم» كما هو متبع عند كتابة الرسول «ﷺ» للرسائل إلى الملوك والحكام والقادة وغيرهم للدعوة للإسلام وهو أمر

---

(١) سورة الحج ــ الآية ٦٢.

(٢) سورة الشعراء ــ الآية ٢١٣.

(٣) الدكتور إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي «المرحلة الشفهية» ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠، ص ٥٢.

(٤) سورة آل عمران ــ الآية ١٥٨.

(٥) انظر : ابن هشام. السيرة النبوية، جـ٤، ص ٣١٦، ص ٣١٧.

أوحى به الله إلى نبيه في قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[1] لأنه يتضمن معاني الرحمة وحالاتها التي تقرر العلاقة بين الله والعباد[2].

ثانياً: اشعارهم بنبوته «ﷺ» وأنه مبعوث للناس كافة بدين التوحيد. قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3].

ثالثاً: التحية وفيها احتياط خشية أن تكون حقاً للكافر على المسلم كما في قوله (سلام على من اتبع الهدى) لأن السلام هو تحية من أنعم الله عليهم بالإسلام فتحيتهم في الجنة سلام قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴾[4].

رابعاً: إفهام الملك أن دين محمد «ﷺ» (الإسلام) سيصل إلى كل البقاع التي تستطيع وسائل النقل في ذلك الوقت أن تصل إليها[5] كما في قوله «واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر».

خامساً: دعوته إلى الإسلام صراحة لأن فيه السلامة له وأنه في حالة عدم إسلامه سيعرّض نفسه إلى عكس ذلك كقوله **«فأسلم تسلم»**.

سادساً: أنه بدخوله الإسلام سوف يحتفظ بملكه ولايتعرض إلى مايعكر صفو حياته.

سابعاً: عدم رغبة الرسول «ﷺ» من وراء الدعوة الحصول على مراكز دنيوية أو أي سلطة كقوله «وأجعل لك ما تحت يديك».

وهكذا تتجلى أهداف الإسلام السامية لدعوة الناس لعبادة خالق الناس وحده لاشريك له وتخليصهم من عبادة الشرك التي جعلتهم في متاهات من الحيرة والضلال.

---

(١) سورة العلق ــ الآية ١.

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن، ط٤، جـ٨، ص ٢١.

(٣) سورة الأعراف ــ الآية ١٥٨.

(٤) سورة الواقعة ــ الآيات : ٢٥، ٢٦.

(٥) أهم وسائل النقل في ذلك الوقت هي الخيل والابل.

وانتشر الإسلام بفضل الله ثم بحكمة صاحب الدعوة «ﷺ» في ربوع اليمامة، واتضح هذا في تكرار الوفود على الرسول الكريم[1] بعد عودته من غزوة تبوك.

(١) ابن هشام : سيرة النبي، جـ٤، ص ٢٤٤.

المبحث الثالث

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى ملكي[1] عمان[2]

من المعلوم أن رسالة الإسلام التي أنزلت على محمد «ﷺ» موجهة إلى الناس جميعاً في كل زمان ومكان لإخراجهم من الزيغ والانحراف واتباع الأهواء والشرك إلى الدين القويم، دين الوحدانية والرحمة قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[4].

والرسول الكريم «ﷺ» هو المعلم الأمثل الذي اصطفاه الله عز وجل ليكون مبلغاً لهذه الرسالة وشاهداً ومبشراً ونذيراً قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[6].

وذلك لأن دين الحق دين إعلامي يقوم على الإفصاح والبيان[7] قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾[8].

---

(١) ملكا عمان هما : جيفر وعبد أبناء الجلندى، وجيفر هو الأكبر والمقدم في السن والملك ثم أخوه الأصغر عبد وهو نائبه. انظر : عيون الأثر، جـ٢، ص ٢٦٧، ص ٢٦٨.
وقيل جيفر بن جلندى بن عامر بن جلندى صاحب عمان. انظر : ابن خلدون، جـ٢، ص ٢٢٢.
وذكر ابن الأثير أن جيفر بن الجلندى بن المستكبر بن الحراز بن عامر بن عبدالعزى بن معولة بن عثمان. كان رئيس أهل عمان هو وأخوه عبد وأسلما على يد عمرو بن العاص ولم يقدما على النبي ولم يرياه، وإسلامهما بعد خيبر، جـ١، ص ٣١٣.

(٢) عمان شرقي شبه الجزيرة العربية على خليج عمان ويشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزرع وحرها يضرب به المثل وقصبة عمان صحار، معجم البلدان، جـ٤، بيروت، ص ١٥٠، ١٥١ لياقوت الحموي.

(٣) سورة الأنبياء ــ الآية ١٠٧.

(٤) سورة الحجرات ــ الآية ١٣.

(٥) سورة الفتح ــ الآية ٨.

(٦) سورة سبأ ــ الآية ٢٨.

(٧) الدكتور إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي، ص٥، ص ٩.

(٨) سورة التكوير ــ الآيات : ٢٧، ٢٨.

ومن وظائف الإعلام الاتصال بالجماعات المؤثرة وهم النخبة، ويتحقق الاتصال بالجماهير من خلال النخبة حيث يمكن الاتصال بها بطريق غير مباشر[1]، قال تعالى: موضحاً اتباع الجماهير للزعماء ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[2].

لذا كان ملك عمان واحداً من ملوك العالم وحكامه الذين امتدت إليهم الحملة الإعلامية الإسلامية، وتلقى من الرسول «ﷺ» رسالة يعلمه فيها بأمر الإسلام ويدعوه إلى الله وذلك سنة ثمان من هجرته «ﷺ»[3].

وهذا هو نص الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى[4] السلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوكما بدعاية الإسلام. أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما»[5].

وكان أهل عمان من المجوس والقبائل العربية حولها[6]، وحامل رسالته «ﷺ»

---

(١) الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، ص ١٦.

(٢) سورة الأحزاب ـــ الآيات: ٦٧، ٦٨.

(٣) الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٦٢.

(٤) الجلندى: هو اسم ملك من ملوك عُمان. انظر: الزركلي: الأعلام، جـ١٠، ص ٦٢، وانظر: ابن خلدون جـ٢، ص ٢٢٢ بالحاشية أن الجلندي اسم ملك عُمان.

(٥) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ١٢٨. وانظر أيضاً: عيون الأثر، م٢، ص ٢٦٧، ص ٢٦٨. وانظر: صبح الأعشى مع عدم ذكر البسملة وسلام على من اتبع الهدى بدلاً من السلام وزيادة (لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) (وعنكما) جـ٦ ،ص ٣٨٠. وانظر عيون الأثر مع زيادة في بعض الألفاظ دون الاخلال بالمعنى، م٢، ص ٢٦٧، ٢٦٨. وزاد المعاد، جـ٣، ص ٦٧.

(٦) انظر: الكامل لابن الأثير، جـ٢، ص ٢٧٢.

ومبعوثه الخاص لملك عمان كان الصحابي الكبير عمرو بن العاص[١] رضي الله عنه.

حيث كان النبي «ﷺ» يختار حملة رسالاته من صفوة أصحابه ليستطيع أن يفصح عن دينه بما عرف من روح رسالته[٢] ويتضح هذا من المحاورة التي دارت بين عمرو ونائب الملك (عبد وهو الأصغر) وبين الملك أيضاً عند المقابلة معه.

قال السهيلي:

عندما قدم عمرو بن العاص على الجلندى قال له: ياجلندى إنك وإن كنت منا بعيداً، فإنك من الله غير بعيد، إن الذي تفرد بخلقك أهل أن تفرده بعبادتك. وأن لاتشرك به من لم يشركه فيك، واعلم أنه يميتك الذي أحياك، ويعيدك الذي بدأك، فانظر في هذا النبي الأمي الذي جاء بالدنيا والآخرة فإن كان يريد به أجراً فامنعه، أو يميل به هوى فدعه. ثم انظر فيما يجيء به: هل يشبه مايجيء به الناس، فإن كان يشبهه فسله العيان وتخبر عليه في الخبر، وإن كان لايشبهه فاقبل ماقال وخف ماوعد[٣].

قال الجلندى: (إنه والله لقد دلني على هذا النبي الأمي إنه لايأمر بخير إلا كان أول من أخذ به. ولاينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر، وأنه يفي بالعهد، وينجز الموعود وأنه لايزال سر قد اطلع عليه يساوي فيه أهله وأشهد أنه نبي)[٤].

---

(١) أسلم بعد صلح الحديبية سنة ست وقاد غزوة (ذات السلاسل) سنة ثمان من الهجرة وفتحت مصر على يديه حيث استخلصها من الدولة الرومانية بعد أن أقنع الخليفة عمر بن الخطاب بفتحها. انظر: الموسوعة الذهبية للدكتور إبراهيم عبده جـ٢، ص ٢٥٤ وكان من ذوي الرأي الحصيف فقد انتدبته قريش قبل إسلامه للعمل على إعادة المسلمين من الحبشة. انظر : سيرة النبي لابن هشام جـ١، ص ٣٥٦. كما انتدبه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام ليكون ممثله في قضية التحكيم بينه وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. انظر : مروج الذهب، جـ٢، ص ٤٠٢.

(٢) الدكتور محمد أحمد البيومي : رسالة دكتوراه، سيدنا محمد في إبداعه الأدبي عام ١٣٨٦هـ، ص ١٠٤.

(٣) الروض الأنف، جـ٧، ص ٥٢١.

(٤) المصدر السابق، ويلاحظ أن ابن سيد الناس قد ذكر ذلك في كتابه، جـ٢، ص ٢٦٧، ٢٦٨ حيث قال : «قال عمرو ثم خرجت حتى انتهيت إلى عمان فلما قدمتها عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً فقلت إني رسول رسول الله إليك وإلى أخيك. فقال : أخي المقدم علّي بالسن والملك وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ثم قال لي : وما تدعو إليه ؟ قلت : أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عُبد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال : ياعمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة ؟ فقلت : مات ولم يؤمن بمحمد «ﷺ» ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى

وبفضل الله أولاً ثم بوضوح رسالة النبي «ﷺ» وبالأسلوب الإعلامي المقنع المدعم بالحجج الصادقة الواضحة من قبل مبعوث النبي «ﷺ» أسلم الملكان[1] بعد أن اقتنعا تماماً بصدق الرسالة النبوية الشريفة حيث أجاب عمرو بن العاص ملك عمان بقوله: (الناس رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدي الله تعالى إياهم أنهم كانوا في ضلال)[2] وأن المحاورة والاستجابة لما في الكتاب تدل على أن الإسلام قد تغلغل في نفس العربي[3] قال تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[4] وقال تعالى:

هداني الله للإسلام. قال : فمتى تبعته ؟ قلت : قريباً. فسألني : أين كان إسلامي ؟ فقلت : عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم. قال : فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت : أقروه واتبعوه. قال : والأساقفة والرهبان ؟ قلت : نعم. قال : انظر ياعمرو ماتقول إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب. قلت : ما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي. قلت : بلى. قال : بأي شيء علمت ذلك ؟ قلت : كان النجاشي يخرج له خرجاً فلما أسلم وصدق بمحمد «ﷺ» قال لا والله لو سألني درهماً واحداً ما أعطيته. فبلغ هرقل قوله فقال له يناق أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خرجاً ويدين ديناً محدثاً. قال هرقل : رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به. والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. قال : انظر ماتقول ياعمرو وقلت والله صدقتك.

قال عبد فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه ؟ قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنى وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. فقال : ما أحسن هذا الذي يدعو إليه لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً. قلت:إنه ان أسلم ملّكه رسول الله «ﷺ» على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم. قال : إن هذا الخلق حسن. وما الصدقة ؟ فأخبرته بما فرض رسول الله «ﷺ» من الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الابل فقال : ياعمرو تؤخذ من سوائم مواشينا التى ترعى الشجر وترد المياه ؟ قلت : نعم. فقال : والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا.

هذه المحاورة التي تنم عن عمق التفكير والاستقصاء الدقيق من قبل نائب ملك عُمان (عبد) مع مبعوث الرسول «ﷺ» عمرو بن العاص الذي أجاب إجابة واضحة وصريحة بحكمة وفهم وإيمان وصدق في القول مما أدى إلى ميل وقبول نائب الملك للإسلام وإقناعه لأخيه الأكبر بقبول الإسلام أيضاً.

(١) انظر : أسد الغابة، جـ١، ص ٣١٣.

(٢) انظر : خاتم النبيين، جـ٣، ص ١٤١.

(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٤) سورة النحل ـــ الآية ٣٦.

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وتوالت رسائل الهداية إلى عمان وما حولها رغبة في إسلام مجوسها وعربها وغيرهم وتحذيراً لهم من مغبة ضلالتهم، وتنبيههم إلى جادة الصواب، وإلزامهم بدفع ماعليهم نظير حمايتهم وذلك لأن الإعلام الصادق هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات الواضحة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على الاقتناع باتجاه أو فكر صحيح[2].

فكتب رسول الله «ﷺ» إلى أهل دما[3]:

نص الرسالة: «من محمد رسول الله إلى أهل عمان أما بعد: فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدوا الزكاة، وخطوا المساجد كذا وكذا وإلا غزوتكم[4]». قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[5].

وهذه رسالة نبوية ثالثة لأهل عمان والبحرين:

«من محمد النبي رسول الله لعباد الله الأسبذيين ملوك عمان، وأسنيد عمان من كان منهم بالبحرين أنهم إن آمنوا، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا حق النبي ونسكوا نسك المسلمين فإنهم آمنون، وإن لهم ما أسلموا عليه غير أن مال بيت النار ثنيا لله ورسوله، وأن عشور التمر صدقة ونصف عشور الحب وأن للمسلمين نصرهم ونصحهم، وأن لهم على المسلمين مثل ذلك، وأن لهم أرحاءهم يطحنون بها ماشاءوا»[6].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[7].

والله سبحانه وتعالى يرسم لنبيه الكريم الخط الذي يجب أن يتبعه في إبلاغ الدعوة

---

(١) سورة الجمعة ـــ الآية ٢.

(٢) انظر : الإعلام والدعاية، د. عبداللطيف حمزة، ص ١٩٦.

(٣) دما : بفتح أوله وتخفيف ثانيه وهي بلدة من نواحي عُمان وقيل مدينة تذكر مع دبا كانت من أسواق العرب المشهورة منها أبوشداد. انظر : معجم البلدان، جـ٢، ص ٤٦١ لياقوت الحموي.

(٤) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٢٩.

(٥) سورة الجن، الآية ١٨.

(٦) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٢١.

(٧) سورة الأنعام ـــ الآية ٨٢.

للمشركين وغيرهم ليوضح لهم بطلان عقائدهم أولاً ثم بيان أوجه اختلافهم مع بعضهم وانحرافهم في نفس الوقت قال الله تعالى موجهاً تعليماته لنبيه «ﷺ» ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[2].

والذي يمعن النظر بدقة وروية في رسائله «ﷺ» إلى ملوك عمان وأهل عمان وماحولها يتبين له أنها تتناول مجموعة من الأمور أهمها:

أولاً: الدعوة إلى اعتناق الاسلام حيث أنه دين الوحدانية ونبذ كل العقائد الأخرى قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[3].

ثانياً: الاعتراف برسالة النبي محمد «ﷺ» وأنه الرسول المبعوث من الله لهداية البشرية إلى دين التوحيد وإخراج الناس من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[4].

ثالثاً: ان اعتناق الإسلام والإقرار برسالة النبي «ﷺ» سوف يتيح لملكي عمان الاحتفاظ بملكهما وإذا لم يقرا فسوف يزول ملكهما، وملك من يخالف دعوة الإسلام من أهل عمان وماحولها قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[5].

رابعاً: أمر من الرسول لأهل عمان بوجوب الاقرار بشهادة التوحيد ورسالة النبي مع أداء الزكاة وإقامة المساجد وطاعة الله ورسوله قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[6] وإعطاء حق النبي وأن يسلكوا في عبادتهم

(١) سورة النحل ــ الآية ٦٤.

(٢) سورة الأحزاب ــ الآيات : ٤٥ ــ ٤٦.

(٣) سورة النساء ــ الآية ١١٦.

(٤) سورة النجم ــ الآيات : ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

(٥) سورة الزمر ــ الآيات : ٥٣ ــ ٥٤.

(٦) سورة النساء ــ الآية ٥٩.

مسلك المسلمين في أدائها كقوله: «ونسكوا نسك[1] المسلمين».

وبذلك سيشملهم الأمن، ويبقى لهم ماكان لهم قبل قبولهم الإسلام ديناً ومحمداً رسولاً.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[3]. ونظرا لأهمية إخلاص النحر لله وحده قرنه بالصلاة لأنهما من العبادات البدنية والقلبية.

خامساً: فساد عقيدة عبادة النار وبطلانها قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[4] ولذلك أمر الرسول «ﷺ» أن تؤول ملكية بيت النار وما يتعلق به لله ولرسوله لأن الإسلام أبطل هذه العبادات التي أوجدها البشر.

سادساً: إعلامهم بما يجب عليهم من صدقات في التمور والحبوب وأن عليهم نصر ونصح المسلمين ولهم مثل ذلك على المسلمين وترك لهم حرية التصرف في أرحائهم.

ولرسائل الرسول «ﷺ» الإعلامية المتكررة للدعوة الإسلامية لملكي وشعب عمان من الوضوح وقوة الحجة المدعمة بقوة المسلمين المنطلقين لنشر الدعوة والقضاء على المعارضين لايصالها لمن يرغبون فيها من الناس، ولما امتاز به حامل الرسالة من حسن المحاورة والإقناع فقد أسلم ملكا عمان وغيرهم قال تعالى: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[5].

وملكا عمان والملأ الذين كاتبهم الرسول هم النخبة المؤثرة في جماهير عمان وما حولها، وإسلام هؤلاء دليل صريح على نجاح رسائل النبي الإعلامية في تلك الناحية، وكان من نتائج ذلك أن أخذ الناس يتساءلون عن هذا الدين الجديد وسماحته ومعرفة هذه العقيدة الجديدة التي حطت من شأن تلك العقائد الباطلة وبذلك فإنه كان للوسيلة الإعلامية الناجحة التي استخدمها الرسول «ﷺ» لتبليغ دعوة الإسلام (وهي ذلك

---

(١) نسك : ذبيحة.

(٢) سورة البقرة ــ الآية ١٢٨.

(٣) سورة الكوثر ــ الآية ٢

(٤) سورة يونس ــ الآية ١٨.

(٥) سورة الاسراء ــ آية ٥

الصحابي الجليل) أكبر الأثر في تحقيق تلك النتيجة الباهرة.

وكان من نتيجة هذا الجهد الإعلامي المركز أن انضوى شعب عمان بكامله تحت راية الإسلام واعتزوا به وأعز الله بهم الإسلام[1].

ولا يخفى أن الرسائل الإعلامية في تلك المنطقة قد واجهت في البداية بعض المعارضين «خاصة» من المجوس وبعض الأغنياء، وهم الزمرة التي تعارض الرسل والمصلحين في كل الأزمنة. فكان لابد من إزالة العقبات وتطهير الطريق أمام الإسلام لأن الإعلام الإسلامي وسيلة لتوجيه كافة الناس على اختلافهم إلى حقائق الإسلام. يقول العليم الخبير مخاطباً رسوله الكريم: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2].

وملكا عمان والقبائل المتواجدة هناك عرب يعقلون ويفهمون جلياً ما دعاهم إليه النبي العربي. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3].

ويمكن أن نستخلص من الرسائل النبوية لملكي عمان وما حولها (سواء أكانوا بها أم بالبحرين) الدلالات الإعلامية التالية:

أولاً: «بسم الله الرحمن الرحيم» و (لا إله إلا الله) من مباديء التوحيد الإسلامي المعلنة دائماً والمبطلة لكل عقيدة تخالف ذلك. قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[4] فالله سبحانه وتعالى عدل ولا ظلم في رحابه أبداً إنه، (الرحمن الرحيم) ورحمته أحاطت بكل شيء، فالتوجه إلى الله بالرجاء في الضراء وبالحمد في السراء تجعل المؤمنين يتحررون من خوف الفقر، وعبودية المناصب، ورهبة السلطان، وأن حياتهم الفانية متصلة بالله العلي القدير.

ولقد أثبت القرآن الكريم وكل المرسلين وجود الله ووحدانيته المطلقة وذلك لأن

(١) عبدالله السحيباني : السياسة الخارجية للدولة الإسلامية ــ رسالة ماجستير ص ٢٣٠.

(٢) سورة الأعراف ــ الآية ١٥٨.

(٣) سورة يوسف ــ الآية ٢.

(٤) سورة النمل ــ الآية ٣٠.

عملية انتظام المخلوقات في طابع واحد يؤكد أن موجدها واحد[1]، قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[3].

ثانياً: الإعلام بشخصيته الشريفة «ﷺ» بأنه النبي المرسل من عند الله للناس كافة لهدايتهم والإقرار بذلك كقوله من (محمد رسول الله) وقوله (فإني رسول الله إلى الناس كافة) وقوله (من محمد النبي رسول الله) وذلك لإعلامهم بأنه النبي المبعوث من عند الله للناس كافة لكي يؤمنوا برسالته، والإقرار بنبوته، وهذا مطلوب منهم لأنهم عرب، والعرب هم المكلفون بنشر رسالة التوحيد.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾[4]. وأمر الله رسوله الكريم أن يعلم الناس بأنه مرسل من عند الله جل شأنه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[5]وقال جل شأنه مؤكداً أن محمداً هو النبي المرسل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾[6].

ثالثاً: السلام على من اتبع الهدى هي التحية التي ألقاها الرسول الكريم على ملكي عمان لأن السلام هو تحية الإسلام المطلوبة لتأليف القلوب. يقول الرسول الكريم: «ألا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، وإذا تحاببتم دخلتم الجنة، أفشوا السلام بينكم» والرسول في تحيته لم يجعلها على إطلاقها بل هناك تحفظ، فجعل التحية والسلام على من اتبع الهدى.

رابعاً: قوله: (أدعوكما بدعاية الإسلام. أسلما تسلما). شرح عصب العقيدة الإسلامية وهي عقيدة التوحيد لأن الإسلام هو العقيدة التي ارتضاها الله لعباده أجمعين

---

(١) الدعوة الإسلامية، الدكتور أحمد غلوش، ص ٣٢، ص ٣٨.

(٢) سورة المؤمنون ــ الآية ٩١.

(٣) سورة طه ــ الآية ٩٨.

(٤) سورة آل عمران ــ الآية ١١٠.

(٥) سورة الأعراف ــ الآية ١٥٨.

(٦) سورة الأعراف ــ الآية ١٥٧.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1] فالإسلام طريق السلام، والأمن في الدنيا، والنعيم الدائم في الآخرة.

فالله سبحانه أضاف دعوة الحق إلى نفسه ونسبها إليه فقال سبحانه: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾[2].

خامساً: قوله وتظهر نبوته «على ملككما» إيمان الرسول «ﷺ» أن رسالته ستنتصر وتظهر على الديانات الأخرى وتغطي شبه جزيرة العرب ومن ضمنها عمان. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾[4].

سادساً: قوله في رسالتيه : إلى أهل دما.. وإلى أهل عمان.

بدأت الحملة الإعلامية النبوية تشق طريقها إلى الشعب ولم تقتصر على الملوك وهذه حكمة من صاحب الدعوة لإيصالها لكل الناس كما أمره الله بذلك: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[5]. وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[6].

سابعاً: قوله: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» و «خطوا المساجد» و «انسكوا نسك المسلمين» وهذه تعليمات إسلامية لإقامة العبادات المطلوبة من المسلم. وكيفية أداء الزكاة من التمور والحبوب وكذلك الذبح وهو النسك لأن أي شيء يصرف لغير الله فهو شرك.

ثامناً: إلغاء بيوت عبادة المجوس (وهي بيوت النار)، وإقامة المساجد كقوله: «وخطوا المساجد».

---

(١) سورة آل عمران ــ الآية ٨٥.

(٢) سورة الرعد ــ الآية ١٤.

(٣) سورة الصف ــ الآية ٩.

(٤) سورة الفتح ــ الآية ٢٩.

(٥) سورة الأعراف ــ الآية ١٥٨.

(٦) سورة الحجرات ــ الآية ١٣.

تاسعاً: الأمان والسلام لمن أسلم ولايضارون في أملاكهم ولهم حرية التصرف في أرحائهم.

وهكذا فإن الإسلام لايسعى إلا لتحقيق هدف واحد أسمى وهو صرف العبادة لله وحده والتصديق برسالة نبيه محمد «ﷺ»، أما الماديات الأخرى من أملاك وغيرها فلا ينظر إليها إلا من ناحية فائدتها للإنسان فيتركها لأصحابها. وهذا التصرف يخالف ماكانت تقوم به الدول الغالبة كالرومان والفرس الذين لايهمهم عند الانتصار والغلبة إلا القتل والسبى والاستيلاء على الأموال والذرارى.

المبحث الرابع

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى ملوك اليمن (٢)

بعث عليه الصلاة والسلام برسائل يصح لنا أن نصفها بأنها إعلامية لإعلام الناس وإبلاغهم عقيدة التوحيد، فقد بعث بهذه الرسائل إلى ملوك حمير واليمن لعلمه «ﷺ»

---

(١) استطاع سيف بن ذي يزن بن عفير أحد سلالة ملوك حمْيَرَ بمساعدة الفرس أن يحرر أرض اليمن من الأحباش وبعد ذلك تولى أمر اليمن من قبل كسرى فارس ووفدت إليه وفود العرب ومن ضمنها وفد مكة بزعامة عبدالمطلب بن هاشم جد النبي «ﷺ» مهنئة لخلاص اليمن من استعمار الأحباش وتولية سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن، وبعد موت سيف بن ذي يزن تولى الأمر المرزبان وهرز الفارسي ثم التيجان بن كسرى ثم خسرو بن التيجان ثم باذان، وقد بقي الأخير حتى جاءت البعثة المحمدية. انظر : أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ١٦٠، ١٦١.. وقيل إن اسم باذان هو باذان بن سامان من ولد برهام. انظر : الإمام أحمد القسطلاني، مخطوطة المواهب اللدنية، جـ١، ص ٣٨٤.

وذكر أن كسرى بعث باذان إلى اليمن نائباً عنه حيث بقي إلى البعثة المحمدية وكان آخر من قدم اليمن من ولاة العجم. انظر : المعلم البستاني، دائرة المعارف، جـ٥، ص ٤٢.

ملوك اليمن : الحارث، ومسروح، ونعيم بن كلال من حمْيَر. انظر الدكتور محمد حميدالله مجموعة الوثائق، ص ١٧٩. وكذلك ذكر الإمام الكاظوني في مخطوطة السيرة النبوية م١، ص ٢٦١ كتاب ملوك حمْيَر وذكر نفس المرجع أن الرسول بعث جرير بن عبدالله البجلي إلى ذي الكلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع فأسلم وأسلمت امرأته، ص ٢٧٢، كما بعثه إلى ذي رعين وذي ظلم باليمن. انظر : تاريخ الفكر الإسلامي للأستاذ أحمد حسين شرف الدين، ص ١٧.

(٢) اليمن : تقع بين عُمان إلى حدود المملكة حالياً ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر وسمّيت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزرعها. انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي، جـ٥، ص ٤٤٧. وانظر : صفة جزيرة العرب للهمذاني، ص ٦٥. وعرفت اليمن عبر تاريخها بالعربية السعيدة لاشتقاق اسمها (من اليمن) وهو الرفاه والبركة علماً أن أهل اليمن ينتسبون إلى يعرب بن قحطان. انظر : اليمن عبر التاريخ للأستاذ أحمد حسين شرف الدين، ص ١٤ وفي الجاهلية قامت على أرض اليمن أقدم الحضارات معين وسبأ وحمْيَر وأنه لأهمية موقعها في الركن الجنوبي من شبه الجزيرة العربية وتعتبر حلقة اتصال بين الهند وماحولها من بلاد شرق آسيا من جهة، وبين الحبشة والصومال وما جاورهما من أقاليم شرق أفريقيا ثم بين بلاد البحر الأحمر والبلاد المطلة على البحر المتوسط وبذلك فقد كانت ملتقى القوافل والسفن التجارية القادمة من الامبرطورية الرومانية والحبشة وفارس والهند والصين وغيرها وقد قيل إن اليمن والشام والعراق ومصر كالرأس للطائر والجناحين والذنب، فالرأس الشام والجناحين العراق ومصر. والذنب اليمن وقيل العكس.

انظر غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ليحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، ص ٣، ٤، ٥.

بأن الكبار إذا آمنوا به وصدقوا برسالته تبعهم العامة في ذلك. وهنا يجدر بنا أن نشير إلى وجود عدة عقائد باليمن في ذلك العهد منها: الوثنية وهي الديانة القديمة، واليهودية التي وفدت إليها عام ٧٠م من فلسطين بعد تدمير الإمبراطور الروماني (تيتوس) هيكل سليمان. وقد اعتنق ديانة اليهود ذو نواس الحميري وهو آخر الملوك الكبار لدولة حمير وهو أيضاً الذي أوقع بنصارى نجران[١]، وقصة الأخدود في القرآن مشهورة حيث خير النصارى بين الرجوع عن دينهم أو إلقائهم في الأخدود لحرقهم. وكذلك الديانة النصرانية التي قويت عندما استولى الأحباش على اليمن بقيادة أرياط[٢] انتقاماً من الملك اليهودي (ذي نواس) ودخلت إليها المجوسية عند انتصار سيف بن ذي يزن واندحار الأحباش عام ٥٩٩م بمساعدة الفرس[٣] الذين بقوا فيه وكان آخر ولاة اليمن منهم ـ باذان ـ حتى جاءت البعثة الإسلامية. علماً بأن كسرى مزق كتاب النبي «ﷺ» الذي بعثه إليه جهلاً وجبروتاً وطغياناً ولم يلتفت إليه البته، بل طلب من نائبه أو عامله على اليمن وهو باذان أن يبعث إلى الرسول لإحضاره إليه فبعث باذان رجلين أحدهما خرخره[٤] والثاني بانويه وكان حاسباً كاتباً بكتاب فارس وقال باذان لبانويه: اختبر الرجل وعرفني بأمره[٥] (يعني الرسول) فلما قابلا الرسول «ﷺ» وأبلغهما بما روعهما وأذهلهما وهو أن ملكهما (كسرى) قد اغتيل من قبل ابنه شيرويه[٦]. قالا للرسول: هل تدري ماتقول..؟ يحذرانه عاقبة ذلك القول فقال «ﷺ» وهو الواثق مما يقول والصادق بما ينطق ويحدث لمبعوثي باذان محملاً إياهما رسالة شفهية إعلامية إسلامية لسيدهما عامل كسرى حيث قال الرسول «ﷺ» لهما (اذهبا وأخبراه بذلك عني[٧] وقولا إن ديني وسلطاني يبلغ مابلغ ملك كسرى وإن أسلمت أعطيتك ماتحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء)[٨]. فلما عاد المبعوثان لباذان

---

(١) انظر : اليمن عبر التاريخ، ص ١٥٨ لأحمد حسين شرف الدين.

(٢) الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٩١.

(٣) انظر : اليمن عبر التاريخ، ص ١٦٠ لأحمد حسين شرف الدين.

(٤) زين الدين عمر بن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ص ٩٥ وقيل خرخة.

(٥) عبدالرحمن بن خلدون. انظر : تاريخ ابن خلدون، جـ ٢، ص ٤٥٢.

(٦) هو قباذ بن كسرى أبرويز بن هرمز أنوشروان أحد ملوك الدولة الرابعة الساسانية من الفرس، خلع والده ثم قتله وكان ملكه ثمانية أشهر. انظر : المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف، جـ١، ص ٦٥٤.

(٧) يعني قتل شيرويه لوالده الطاغية كسرى.

(٨) تاريخ ابن خلدون، جـ٢، ص ٢٢٦.

وأخبراه الخبر قال والله ماهذا كلام ملك وإني لأراه نبياً ولننظرن فإن كان ماقال حقاً فإنه لنبي مرسل ولن يسبقني أحد من الملوك إلى الإيمان به[1]، وإن لم يكن فنرى فيه رأينا[2]. وقد قال بانويه مبعوث باذان لباذان ماكلمت رجلاً قط أهيب عندي منه فقال له باذان ليتأكد من أنه نبي وليس ملكاً. هل معه شُرَطٌ..؟ قال لا[3] فلما تسلم باذان رسالة شيرويه قال إن هذا الرجل «يعني الرسول» رسول فأسلم وأسلم، الأبناء معه (من فارس ومن كان منهم باليمن)[4]. قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[5].

فبعث باذان بإسلامه وإسلام من أسلم معه إلى رسول الله فرضي الرسول «ﷺ» عنهم وأقره عليهم[6] ويعتبر باذان أول أمير في الإسلام على اليمن وكذلك أول من أسلم من ملوك العجم[7].

وقد جمع الرسول «ﷺ» لباذان أعمال اليمن كلها وأمّره على جميع مخاليفها وبقي عاملاً لرسول الله طوال أيام حياته ولم يعزله عن الولاية ولا عن أي شيء، ولم يشرك معه فيها أحداً حتى مات باذان.

إن رسالة الرسول «ﷺ» الإعلامية لباذان .وإسلامه ومعه أتباعه من الفرس إيماناً منه بصدق نبوة النبي «ﷺ» واقتناعاً منه عن تجربة ويقين لأمر له خطره الإعلامي في اليمن، وحَدَثٌ له صداه الواسع بتلك البلاد، ولو أمعنا النظر في مضمون الرسالة النبوية الشفهية **لباذان التي بلغاه إياها مبعوثاه «ﷺ» لوجدنا أنها تشتمل على عدة أمور أهمها:**

أولاً: ثقة النبي «ﷺ» بصدق رسالته وقوة إيمانه بما يقول حيث خاطب مبعوثي نائب

---

(١) الوثائق السياسية اليمنية، ص ١٢٤، محمد بن علي الأكوع الحولاني.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ص ٢١٤.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، الإمام الطبري، جـ٢، ص ٩١.

(٤) محمد رضا : محمد رسول الله، ص ٢٦٨، ويقصد «وأسلمت الأبناء معه» أي أبناء ملوك اليمن السابقين.

(٥) سورة الأنعام ــ الآية ١٢٥.

(٦) الوثائق السياسبة اليمنية، ص ١٢٤.

(٧) أحمد القسطلاني : مخطوطة المواهب اللدنية، رقم ٣٠١خ، جـ١، ٢٤٢خ في عام ١٠١٢، مكتبة الحرم النبوي الشريف، المدينة المنورة.

كسرى بكل صدق وإيمان موضحاً لهما أن ربه أكبر وأعظم من ربهما كسرى عندما قال: «إن ربي أمرني أن أعفي لحيتي وأقص شاربي» وذلك عندما رأى مبعوثي كسرى قد أعفيا لحيتهما وشواربهما [١].

ثانياً: علمه «ﷺ» بوحي من السماء عن لحظة وتاريخ اغتيال كسرى من قبل ابنه شيرويه قبل أن يصل الخبر إلى أحد داخل شبه الجزيرة العربية ثم إعلامه لمبعوثي باذان بذلك عند مقابلتهما له في الموعد الذي حدده لهما وكان الخبر مفاجأة لهما مما أذهلهما حيث قالا للرسول «أتدري ماتقول»؟. يحذرانه عاقبة ذلك القول فأكد النبي «ﷺ» لهما الخبر وحملهما الرسالة الشفهية بدعوة باذان للإسلام الذي فوجيء بالخبر وجعل إسلامه رهن صدق ماذكر الرسول وفعلاً تأكد له الخبر عند وصول رسالة شيرويه فأسلم باذان وأسلم الكثيرون كما ذكر.

ثالثاً: أن النبي «ﷺ» لاينطق عن الهوى. قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[٣].

رابعاً: إيمان الرسول وثقته بانتشار الإسلام وأنه سيشمل ملك كسرى عندما قال لمبعوثي باذان «وقولا أن ديني وسلطاني يبلغ مابلغ ملك كسرى»[٤].

ونستطيع أن نستنبط من تلك الرسالة الشفهية لباذان الدلالات الإعلامية التالية:

أولاً: تأكيد نبوة محمد «ﷺ» ورسالته عندما تأكد لباذان اغتيال كسرى من قبل أقرب الناس إليه وهو شيرويه ابنه قال تعالى: مبيناً نهاية الطغاة ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[٥].

ثانياً: علم الرسول بانتصار دينه وانتشاره حتى يشمل امبراطورية كسرى حيث قال: «إن ديني وسلطاني يبلغ مابلغ ملك كسرى» قال تعالى: مبيناً أن النصر للرسل وأتباعهم

---

(١) الوثائق السياسية اليمنية، ط١، ص ١٢٣.

(٢) سورة يونس ــ الآية ٢.

(٣) سورة النجم ــ الآيات : ٣، ٤، ٥.

(٤) تاريخ ابن خلدون، جـ٢، ص ٢٢٦.

(٥) سورة الدخان ــ الآية ٤٩.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

ثالثاً: الدعوة إلى الإسلام لأن في اعتناق باذان الإسلام سيحقق له السلام والأمن وسيبقيه الرسول على مايملك ولسوف يتحرر من العبادة الباطلة ويوجه عبادته إلى الله سبحانه قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2] وقال مخاطباً رسوله الكريم: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

هذه بعض الدلالات الإعلامية المؤثرة التي من نتائجها أن انتقلت دعوة الإسلام إلى مجالس الناس العامة والخاصة وانتشرت المناقشات بين القبائل وأصبح في اليمن رأي عام حيال صاحب الرسالة وصفته وما يدعو إليه، والمقارنة بين عباداتهم المختلفة وبين الدين الإسلامي. وهذا بدوره هيأ النفوس والأذهان لتقبل الدعوة الإسلامية ولم يكتف الرسول الكريم بدعوة باذان وأتباعه فقط وإنما عمم الإسلام على عظماء القبائل في اليمن ورؤسائها من أبناء الملوك السابقين على تبعية اليمن لفارس[4] وكان لشيوخ القبائل وملوكها وأمرائها الكلمة العليا فيما يراد فعله أو عمله، وحتى وقتنا الحاضر فإن لرؤساء القبائل الكلمة الفصل في معظم الأمور التي تهمهم. وتقديراً من الرسول الكريم لمراكزهم الاجتماعية، وماهم من أثر فعّال على أتباعهم فقد كتب لهم داعياً إياهم إلى قبول الإسلام ديناً ونظاماً وبمحمد رسولاً.

وقد شعر أهل اليمن منذ وقت ليس بالقصير بالاضمحلال العقائدي لتضارب عقائدهم المنتشرة وتعددها من وثنية ويهودية ونصرانية ومجوسية. وبذلك فهم في أشد الحاجة إلى ديانة صافية خالية من الطقوس والخرافات، فكان اعتناقهم للإسلام.

فكتب رسول الله «ﷺ» إليهم الرسالة التالية:

---

(١) سورة الصافات ــ الآيات : ١٧١ ــ ١٧٣.

(٢) سورة طه ــ الآيات : ٤٩، ٥٠.

(٣) سورة الحج ــ الآية ٦٧.

(٤) لقد ذكرنا سابقاً أن سيف بن ذي يزن استطاع الانتصار على الأحباش بمؤازرة الفرس وأهل اليمن إلا أن هذا الملك العربي قد اتخذ خدمه من الأحباش الذين مالبثوا أن غدروا به وقتلوه وهربوا واستطاع أصحاب الملك المقتول قتل هؤلاء القتلة ولم يملك أهل اليمن أحداً، غير أن أهل كل منطقة ملكوا عليهم رجلاً فكانوا كملوك الطوائف حتى أتى الله بالإسلام. انظر المعارف، ص ٦٣٨، ٦٣٩ لابن قتيبة، ط٢، القاهرة.

إلى الحارث ومسروح ونعيم أبناء عبد كلال من حمير «سلم أنتم ماآمنتم بالله ورسوله وان الله وحده لاشريك له بعث موسى بآياته وخلق عيسى بكلماته قالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى الله ثالث ثلاثة عيسى بن الله[1]. وبعث بالكتاب مع رسوله إليهم عياش[2] بن أبي ربيعة[3]. وكما نرى أن الرسول «ﷺ» يشير إلى العقائد المنتشرة في اليمن وهي اليهودية والنصرانية، وهي عقائد فاسدة بسبب تحريفهم لها عما أراده الخالق لها وما أشار إلى حقيقة الرسولين موسى وعيسى عليهما السلام، وذلك للخلط والإضافات التي أضافها رجال الدين ومأأنزل الله بها من سلطان، وكان من نتائج الزيف الذي أدخل على هاتين الديانتين أن دارت حروب طاحنة بين أتباعهما»[4].

ونستشف من الرسالة النبوية الإعلامية بعض الحقائق التالية:

أولاً: أن ضمان الأمن والسلام يتحقق بالإيمان بالله وحده وبرسالة رسوله «ﷺ» كما في قوله «سلم أنتم ماآمنتم بالله ورسوله».

ثانياً: عدم الشرك بالخالق كما في قوله: «وأن الله وحده لاشريك له».

ثالثاً: بعث الله موسى رسولاً وكذلك خلق عيسى بن مريم بكلمة منه جلت قدرته. قال

---

(١) انظر الطبقات الكبرى، م١، ص٢٨٢. وانظر: أيضاً مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ص ١٧٩ مع نقص (عبد) كلال. وانظر: الوثائق السياسية اليمنية لمحمد بن علي الأكوع، ص ١٠٣.

(٢) عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وكان إسلام عياش قديماً قبل أن يدخل رسول الله دار الأرقم وهاجر للحبشة ثم للمدينة وقتل عياش يوم اليرموك وقيل مات بمكة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير، جـ٤، ص ١٦١.

(٣) انظر: العقد الفريد لأحمد محمد بن عبدربه، جـ٢، ص ٥٠ (وذكر ابن عبدربه الأندلسي في العقد الفريد، جـ٢، ص ٥٠، ٥١ أن الرسول «ﷺ» قد بعث بالكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي وقال: خذ الكتاب بيمينك وادفعه بيمينك في أيمانهم فهم قائلون لك اقرأ فاقرأ ﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين**﴾ فإذا فرغت منها فقل: آمن محمد وأنا أول المؤمنين، فلن تأتيك حجة إلا وقد دحضت ولا كتاب زخرف إلا وذهب نوره ومحّ لونه وهم قارئون، فإذا رطنوا فقد ترجموا فقل: حسن. آمنت بالله وبما أنزل من كتاب الله، فإذا أسلموا، فسلهم قضبهم الثلاثة التي إذا تخصروا بها سجد لهم: وهي الأثل، قضيب ملمع بياض، وقضيب ذو عجر كأنه من خيزران، والأسود البهيم كأنه من ساسم، أخرج بها فحرقها في سوقهم. محّ لونه: درس. تخصروا بها: أي أمسكوها بأيديهم لأنهم كانوا يمسكونها إذا ظهروا للناس. الأثل: شجر شبيه بالطرفاء، العجر: العقد الواحدة عجرة. ساسم: شجر أسود أو هو الأبنوس.

(٤) انظر: المعارف، عبدالله بن مسلم (ابن قتيبة) ط٢، ص ٦٣٧.

تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[1].

رابعاً: إن اليهود والنصارى مشركون لأن اليهود يعتقدون أن عزيراً ابن الله والنصارى يعتقدون أن عيسى ابن الله. قال تعالى مبيناً فساد اعتقادهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[2].

وبدراسة الرسالة النبوية بإمعان وترو يمكن الوقوف على الآثار والدلالات الإعلامية التالية:

أولاً: الوحدانية للخالق جل شأنه وصدق رسالة النبي محمد «ﷺ» وهما من شعائر الإسلام القائمة إلى يوم الدين. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[4] وقال جل شأنه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[5] وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[6].

ثانياً: السلام والأمن يتحققان باتباع الإسلام كما في قوله: «سلم أنتم ماآمنتم بالله ورسوله» قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[7]. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[8].

---

(١) سورة آل عمران ــ الآية ٤٥.

(٢) سورة التوبة ــ الآية ٣٠.

(٣) سورة الأنعام ــ الآيات : ١٦٢، ١٦٣.

(٤) سورة آل عمران ــ الآية ١٩.

(٥) سورة الأنعام ــ الآية ١٤.

(٦) سورة الأعراف ــ الآية ١٥٨

(٧) سورة التوبة ــ الآية ٧١.

(٨) سورة النحل ــ الآية ٩٧.

ثالثاً: فضح أكاذيب اليهود والنصارى بادعائهم ألوهية الرسل بقوله: «وأن الله وحده لاشريك له بعث موسى بآياته وخلق عيسى بكلماته» قال تعالى مبيناً زيف وفساد وشرك عقائد اليهود والنصارى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: نافياً ادعاءات اليهود والنصارى ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

رابعاً: وضوح الرسالة النبوية الشريفة مع الإيجاز، وقوة الأسلوب، والحجة في الإقناع، وهي مرسلة من نبي عربي إلى ملوك عرب يعرفون أنه من أكبر القبائل وأعزها وطرقت أسماعهم أنباء انتصاراته في غزواته وخاصة على اليهود، كما أن أحد ملوكهم السابقين وهو (تبّع) قد آمن برسول الله قبل بعثته بسنين طويلة.[3]

والأهم من هذا كما رأينا أن نائب كسرى على اليمن وهو باذان قد أسلم وآمن برسالة النبي «ﷺ».

ومن خلال دراسة ماجاء في الرسالة النبوية ودلالاتها الإعلامية وحقائقها الإيجابية فقد تحققت النتيجة التالية:

إسلام ملوك اليمن وأتباعهم إيماناً بما جاء به النبي محمد «ﷺ» فقد أرسلوا إليه رسلاً هم الحرث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين[4] وهمدان ومعافر[5] وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرارة الرهاوي بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله[6]، ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا وفودهم للمبايعة على الإسلام

---

(١) سورة التوبة ــ الآية ٣١.

(٢) سورة الأنعام ــ الآية ١٠١.

(٣) انظر : المعارف، ط٢، ص ٦٣١ لابن قتيبة.

(٤) هو الملك، ويقال بل هو الذي دون الملك الأعلى وسمّي بذلك لأنه ذو قول أي الذي إذا قال لم يرد أحد قوله.

(٥) الإمام الكاظوني. مخطوطة السيرة النبوية الشريفة عام ١١٤٧ بمكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة، م١، ص ٢٦١ (المعافر: مخلاف واسع وهو ما يسمى اليوم الحجرية).

(٦) سيرة النبي، جـ٤، ص ٢٥٨.

والاقرار برسالة النبي «ﷺ»، ومؤازرته ضد كل المشركين. وقال الرسول عند استقباله لوفد أهل اليمن:

«أتاكم أهل اليمن هم ألين أفئدة وأرق قلوباً. الايمان يمان والحكمة يمانيه»[1].

وهكذا شمل الاسلام اليمن فاعتزوا بالاسلام وأعز الله بهم الاسلام.

---

(١) أحمد حسين شرف الدين، تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، ص ٦.

الفصل الثاني

رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة خارج شبه الجزيرة العربية وآثارها الإعلامية

المبحث الأول

المبحث الأول: رسالة الهداية النبوية الإعلامية بدين التوحيد الموجهة إلى هرقل[1] امبراطور الروم. أرسل النبي رسالة الإسلام والسلام إلى هرقل مع الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي[2].

---

(١) هو قيصر الروم الامبراطور البيزنطي وكان يحكم امبراطورية واسعة تقاسمت مع الامبراطورية الفارسية العالم المتمدن آنذاك، وحكمت نصف العالم تقريباً، وكان هرقل من أسرة يونانية، ونشأ في قرطاجنة وهو ابن حاكم أفريقا، ولم يكن هناك شيء يدل على عصاميته ونبوغه أو عبقريته القيادية إلى أن قتل فوقس المغتصب للعرش الامبراطوري الشرعي موريدس سنة ٦٠٢م.
فدعى هرقل، وقام بقتل فوقس وتسلم زمام الحكم والقيادة سنة ٦١٠م. والمملكة في حالة من الضعف والفوضى. ولم يظهر هرقل أي نشاط يذكر في السنوات الأولى من حكمه. وجرى انقلاب في حياته سنة ٦١٦م، حيث تحول هرقل إلى قائد نشط غيور ذو همة عالية واتجه إلى محاربة الدولة الفارسية وهزيمتها حيث توجه إلى بيت المقدس لاعادة الصليب الذي سبق وأن استولى عليه الفارسيون ليفي هرقل بنذره الذي قطعه على نفسه بإعادة الصليب إلى القدس. وفي ذلك الوقت وصلته رسالة النبي «ﷺ».
ودام حكم هرقل إحدى وثلاثين سنة. وفي حكمه انتقل الرسول «ﷺ» إلى الرفيق الأعلى (انظر : السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص ٢٣٦، ٢٣٧، وانظر : الإمام الكازوني في مخطوطة السيرة النبوية، ص ٢٣٠.

(٢) هو من الخزرج، وهم أنصار الرسول ودعوته في المدينة، ودحية ممن اعتنقوا الإسلام مبكراً. وحضر أحداث الدعوة الإسلامية وغزواتها ماعدا غزوة بدر، وبذلك يعتبر أحد أفذاذ خريجي مدرسة الاعلام النبوية في المدينة وهو يتمتع بالمميزات التي يطلبها الرسول «ﷺ» في المبعوث من رجاله. قال «ﷺ» : (إذا بعثتم إليَّ بريداً فاجعلوه جسيماً وسيما حسن الاسم). ومن أوصاف دحية أنه كان يشبه جبريل عليه السلام في حسنه لأن من صفات السفراء أيضاً تمام العقل وسرعة الفطنة والذكاء حتى لا تقتحمهم العيون ولا تزدريهم الأنظار، والصحابي المذكور له معرفة ببلاد الشام ويقول الأستاذ محمد رضا : (فاختار لذلك الغرض رسله من تجار المسلمين الذين سبق أن رحلوا إلى البلاد التي يريد دعوة ملوكها إلى الإسلام مما يعرفون عاداتهم) ولقد قيل للرسول «ﷺ» : إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ «ﷺ» خاتماً من فضة ونقشه بثلاثة أسطر (محمد سطر، رسول سطر، الله سطر) وتقرأ الثلاثة من أسفل إلى أعلى. (انظر : المعارف لابن قتيبة ص ٣٢٩ وكنز العمال لعلاء الدين الهندي، جـ٦، ص ٤٥ ومسند الإمام، جـ٤، ص ٢٠٣ ومحمد رسول الله لمحمد رضا) ص ٢٦٢.

«نص الرسالة النبوية الشريفة»

بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين[1] (ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله. ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

---

(١) جمع أريس وهم الخول والأكاريون جاء في لسان العرب لابن منظور. الأرس والأصل والأريس الأكار.. وهنا يتساءل القارىء المتعمق إذا كان المراد من الأريسيين الفلاحيين فقد كان كسرى أبرويز امبراطور ايران أحق بأن يحذر من وقوع إثمهم ومسئوليتهم عليه.. لأن طبقة الفلاحين كانت أعظم وأوسع في المملكة الساسانية ولذلك يرجح الشيخ الندوي أن المراد بالأريسيين أتباع آريوس المصري وهو مؤسس فرقة مسيحية كان لها أثر كبير في تاريخ العقائد المسيحية والإصلاح الديني. وآريوس هو الذي نادى بالتوحيد والتمييز بين الخالق والمخلوق وقد نفاه رئيس الكنيسة المصرية البطريارك الكسندر سنة ٣٢١م من كنيسة الإسكندرية وغادر آريوس المدينة ولكن لم ينته النزاع بخروجه.. ودانت بأفكاره طائفة من النصارى اشتهرت بالفرقة الأريسية أو الآريسيين.. وبناء على ما تقدم فمن المرجح المعقول أن النبي «ﷺ» إنما عنى أو قصد هذه الفرقة بقوله «ﷺ»: «فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» لأنها هي الفرقة القائمة بالتوحيد النسبي في العالم المسيحي الذي تتزعمه الدولة البيزنطية الكبرى التي كان على رأسها القيصر هرقل وجاء في مشكل الآثار للإمام أبي جعفر الطحاوي مؤلف شرح معاني الآثار المشهور فيما نصه (وقد ذكر بعض أهل المعرفة أن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأريسية توحد الله وتعترف بعبودية المسيح له) (انظر : السيرة النبوية للشيخ الندوي، ص ٢٤٩ ومابعدها).

(٢) هذا نص الوثيقة الأصلي التي عثر عليها في المملكة الأردنية الهاشمية وقصة العثور على هذه الوثيقة كالآتي : ان الوثيقة الأصلية كانت ضمن وثائق الملك عبدالله بن الحسين بن علي الخاصة التي يعتز بها، وأنه قبل وفاته أهداها للسيدة ناهدة أمان قائلاً لها : إن الوثيقة سوف تكون أماناً لها من الفقر وسوف تعينها على نوائب الدهر، وعوناً على مواجهة المصاعب، وفعلاً هذا ماحصل فقد اهتمت الحكومة الأردنية وعلى رأسها الملك حسين بن طلال بالوثيقة وبعد حصولها عليها دفعها إلى المتحف البريطاني المتخصص حيث قام فريق من العلماء بدراستها دراسة علمية تاريخية في ٢٥ /٦ /١٩٧٣م وكانت نتيجتها إثبات صحة الوثيقة المرسلة من النبي «ﷺ» إلى هرقل وقد اطلعت بنفسي على الدراسة التي أثبتت أن المواد المستعملة في كتابة الوثيقة من جلد وحبر وأسلوب في الكتابة هي ماكان يستعمل في الكتابات في القرن السابع الميلادي.
ووضعت الدراسة مقارنة مطوّلة بين المعلومات الواردة في الرسالة وماجاء في المراجع والمصادر المختلفة ووجدت مطابقة ماعدا بعض الزيادات أو النقص في بعض كلمات بين وثيقة وأخرى. وهذا لا يخلّ بالمعنى العام المقصود من الرسالة. ولقد أهداها الملك حسين للشعب الأردني بمناسبة عيد يوبيله الفضي كما كتبت عنها الصحف الأردنية منها «الرأي»، و «الدستور»، وكتب عنها الدكتور صفوان التل(*).

* د. صفوان التيل : تطور الحروف العربية على آثار القرن الهجري الأول الإسلامي، الطبعة الأولى عام

وتتوفر في الرسالة النبوية الإعلامية المتضمنة دعوة الامبراطور هرقل إلى الإسلام عدة عناصر إعلامية منها:

١ ــ المرسل (المصدر) وهو الرسول محمد «ﷺ» قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾[١].

فالنظريات الحديثة تقول: إن العلاقات الإنسانية ينبغي أن تبدأ من الداخل وهذا مصداق لقول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[٢].

ثم تنتهي بالعلاقات العامة مع الخارج هذا طبقاً لما جاء في التنزيل الكريم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]

وسار النبي «ﷺ» في دعوته على هذا المنهج وهو متخصص من قبل خالقه فيما يدعو إليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٤]. وبذلك فإن محمداً «ﷺ» يتمتع بصفات وميزات اصطفاه الله جل شأنه ليكون خير رسول لإنقاذ البشرية من وهدتها قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥].

٢ ــ الفكرة (مضمون الرسالة) وتتعلق بالدعوة إلى التوحيد واتباع النبي الكريم «ﷺ». الذي يهدف إلى نشر السلام والأمن في ربوع العالم ليتجنب ويلات الحروب، ويلاحظ أن الرسول «ﷺ» لم يضع فكرته بصيغة الأمر أو الاستعلاء على المرسل إليه، فقد ذكر نفسه «ﷺ» بصيغة الإفراد تواضعاً، وخاطب المرسل إليه وهو هرقل ــ عظيم الروم ليكون في موضع المسؤولية تجاه المهمة التي أنيطت به وأتاح له الرسول «ﷺ» فرصة المشاركة في اتخاذ مايناسب تجاه قبول الإسلام عندما قال له: (ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم)

١٩٨٠م، ص ١٣، وانظر : مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ص ٨١، ومخطوطة السيرة النبوية للإمام الكلاعي، ص ١٦١، وكنز العمال جـ٤، ص ٣٨٤، ومكاتيب الرسول للشيخ علي الأحمدي، ص ١٠٥.

(١) سورة آل عمران ــ الآية ١٤٤.

(٢) سورة الشعراء ــ الآية ٢١٤.

(٣) سورة سبأ ــ الآية ٢٨.

(٤) سورة الأنبياء ــ الآية ١٠٧.

(٥) سورة القلم ــ الآية ٤.

كما أمر الله رسوله بقوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1].

واختار الرسول «صلى الله عليه وسلم» أنجح وسيلة اتصال جماهيرية لبث الدعوة، وتوصيل الفكرة، ألا وهي رسالة الإعلام بدين الإسلام يحملها رسول مؤمن بمهمته والمكلف بها على استعداد لشرح أية نقطة أو استفسار يطلب منه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[2] وقال عز من قائل : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[3].

وهرقل من أهل الكتاب ويعلم من الكتب المقدسة ورود البشارة بالرسول الكريم «صلى الله عليه وسلم» في قوله: (أقيم لهم نبياً من وسط إخوانهم مثلك لأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ماأوصيه به)[4]. ومحمد «صلى الله عليه وسلم» هو المقصود بالبشارة، وهو لايتكلم من نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾[5] وبذلك فإن اتباع النبي العربي واجب على كل البشر ، وخاصة أهل الكتاب، لمعرفتهم قبل غيرهم به قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾[6] الآية. والله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه أن يعلن للناس كافة البيان الإلهي العام ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[7] . وأهل الكتاب هم أول الناس معرفة برسالة محمد «صلى الله عليه وسلم» ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[8].

---

(١) سورة العنكبوت ــ الآية ٤٦.

(٢) سورة النساء ــ الآية ٥٨.

(٣) سورة آل عمران ــ الآية ١٠٤.

(٤) إبراهيم خليل أحمد: محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ط١، ص٢٢.

(٥) سورة النجم ــ الآية ٥.

(٦) سورة الأعراف ــ الآية ١٥٧.

(٧) سورة الأعراف ــ الآية ١٥٨.

(٨) سورة البقرة ــ الآية ١٤٦.

فأصول الإسلام تتفق مع سائر الدعوات الإلهية التي تتضمن: (التوحيد وإثبات الرسالة. والإسلام هو الإخلاص لله في عبادته حيث أنه ميسر وعلى قدر طاقة البشر **وعالميته مقررة بما وضع الله فيه من ميزات لأنه لم يرتبط باسم شخص أو قبيلة كما** ارتبطت اليهودية بيهوذا وكما ارتبطت المسيحية بالمسيح ولكن الإسلام ارتبط بآمال راودت الناس كافة لتحقيق أملها المنشود وهو السلام الذي يعتبر من العناصر الهامة في الدعوة الإسلامية)[1].

ومن أجل تحقيق ذلك تكررت نداءات الإسلام إلى البشر قال تعالى: ﴿**ياأيها الناس**﴾ و ﴿**ياأيها الذين آمنوا**﴾ و ﴿**يابني آدم**﴾. والصديق يوسف يقول: (توفني مسلماً) وسليمان عليه السلام يرسل إلى بلقيس (أن لاتعلوا علي واتوني مسلمين) فلما أسلمت بلقيس قالت: (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وإبراهيم (ماكان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً). وبهذا فإن الدين الإسلامي دين شامل لكل الناس.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

وبالقرآن خاطب محمد أهل الكتاب منادياً إياهم بأسمى مايفتخرون به وهو الكتاب المقدس (ياأهل الكتاب) وبذلك خاطب النبي «ﷺ» عقولهم وحرك نفوسهم بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[3].

ومحمد «ﷺ» على حق فيما يدعو إليه، لأنه ينفذ أوامر الخالق جل شأنه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ

---

(١) الدكتور أحمد أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، عام ١٣٩٩م، القاهرة، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ص ٢٩، ٣٠، ٣١.

(٢) سورة آل عمران ــ الآية ٨٥.

(٣) سورة النحل ــ الآية ١٢٥.

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

فالخالق سبحانه وتعالى يأمر نبيه الكريم «صلى الله عليه وسلم» : قل يامحمد لأهل الكتاب هلموا إلى كلمة عدل بيننا وهي أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾[2].

إن عملية اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً تعني سجود بعضهم لبعض قال تعالى : ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

ومسلمون: تعني خاضعين لله متذللين له بالإفراد بقلوبهم وألسنتهم وهدف الرسول «صلى الله عليه وسلم» من بث الدعوة هو هداية البشرية إلى الإسلام والسلام، ولايريد من وراء ذلك مركزاً أو سلطاناً دنيوياً[4] مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[5].

وتهدف التعاليم الإسلامية إلى نقل الناس فكرياً وسلوكياً من عبادة كل الطواغيت إلى عبادة الخالق الواحد الذي ليس له شريك في الملك قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾[6].

إذ أن فهم النفس الإنسانية هو المدخل الأساسي أمام الداعية للوصول إلى أعماقها، والتأثير فيها، وتحقيق التغيير المطلوب، الذي بينه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾[7].

---

(١) سورة المائدة ــ الآيات : ١٥، ١٦.

(٢) سورة المائدة ــ الآية ١٧.

(٣) سورة التوبة ــ الآية ٣١.

(٤) جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن، ص ٢١٣ إلى ص ٢١٥.

(٥) سورة هود ــ الآية ٢٩.

(٦) سورة الكهف ــ الآية ٢٩.

(٧) سورة الرعد ــ الآية ١١.

والرسول «ﷺ» يريد تحقيق الأهداف المرجوة عن طريق الإعلام الدولي الذي يرتكز على مبدأ الحوار المنطقي والحقائق، للوصول إلى أرضية مشتركة [1] لتحقيق مصالح الدعوة الإسلامية الإعلامية، وقد توخى النبي «ﷺ» الدقة والموضوعية والصدق في دعوة هرقل للإسلام [2].

ومن المعروف إعلامياً أن عملية الاتصال تؤدي غرضها بكفاءة أكبر كلما ارتقت معانيها ومدلولاتها وقلت ألفاظها ومفرداتها، وهذا ينطبق تماماً على رسالة الهداية التي أرسلها الرسول الكريم إلى هرقل، فمفرداتها محدودة وواضحة ومعانيها كثيرة متسعة، فمن المتفق عليه إعلامياً أنه كلما قلت المفردات عد الإعلام ناجحاً. والعكس إذا احتوى الأسلوب [3] الاعلامي على العديد من هذه المفردات فإنه يسبب حالة من الظلام القاتم. وهرقل يتوقع انتصار ملك الختان وقرب ظهور نبي آخر الزمان. قام مبعوث الرسول «ﷺ» بدفع الكتاب النبوي إلى عظيم بصرى [4] فدفعه عظيم بصرى بدوره إلى هرقل [5] وكان هرقل له علم بالملاحم وأخبار النجوم [6] ويرى في ملاحمهم أن ملك الختان قد ظهر، ووصلت الرسالة النبوية أثناء تداول امبراطور الروم مع رجال الدين وكبار رجال دولته تفسير الحلم الذي أزعجه وجعله مهموماً وهو ظهور ملك الختان، وأفهمه رجاله أنهم لايعلمون أمة تختتن إلا اليهود وهم تحت حكمه وبإمكانه أن يقضي عليهم ويستريح [7]. وبينما هم كذلك إذ أحضر إليهم رسول صاحب بصرى رجلاً من العرب قد دفعه إليهم وأعلم الإمبراطور أن الرجل العربي من أهل الشاة والإبل وأنه يحدث عن أمور حدثت ببلاده فسأله عن ذلك فقال الإمبراطور لترجمانه سله

---

(١) الدكتور أحمد بدر : الإعلام الدولي، ط١ عام ١٣٩٧هـ، مكتبة غريب بالقاهرة، ص ٩، ١٠، ١١.

(٢) نفس المرجع، ص ١٧.

(٣) الدكتور حسين محمد علي : المدخل المعاصر لمفاهيم ووظائف العلاقات العامة، ط١ عام ١٩٧٦م، مكتبة الأنجلو بالقاهرة، ص ٦٢، ٦٣.

(٤) بصرى في الشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً وهي من مستعمرات ملك الروم كسائر مخاليف الشام. انظر : معجم البلدان، جـ١، ص ٤٤١ وعظيم بصرى هو الحارث بن أبي شمر الغساني الذي دعاه رسول الله إلى الإسلام، انظر مخطوطة المواهب اللدنية للقسطلاني، ص ٣٨٢.

(٥) الإمام مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم بشرح النووي، ط٢، بيروت عام ١٣٩٢هـ، دار الفكر بيروت، جـ١٢، ص ١٠٣.

(٦) محمد أبو زهرة : خاتم النبيين، ط١ عام ١٩٧٣م، القاهرة، دار الفكر العربي، جـ٣، ص ١٢٧.

(٧) الإمام الكازوني : مخطوطة السيرة النبوية الشريفة، ص ٢٣٠.

ماهذا الخبر الذي في بلاده..؟ فأجاب.. العربي أن رجلاً من العرب ومن قريش خرج[1] يزعم أنه نبي وقد اتبعه قوم وخالفه آخرون، وجرت بينه وبينهم ملاحم.. وأمر هرقل بنزع ثياب العربي فوجده مختوناً فقال هرقل.. هذا الذي رأيت[2] ثم دعا صاحب شرطته وقال له قلب لي الشام ظهراً وبطناً حتى تأتي لي برجل من قوم هذا الرجل يعني النبي «ﷺ» فأحضروا له جماعة من غزة وكان فيهم أبو سفيان[3]. وفي تلك اللحظة أعلن ممثل رسول الله «ﷺ» البيان الإعلامي التالي أمام الحضور:

(ياقيصر، أرسلني إليك من هو خير منك. والذي أرسله هو خير منه ومنك فاسمع بذل ثم أجب بنصح، فإنك إن لم تذلل لم تفهم، وإن لم تنصح لم تنصف قال: هات.. قال هل تعلم أكان المسيح يصلي..؟ قال نعم، قال فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له.. وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه، وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى وبشر به عيسى بن مريم من بعده، وعندك من ذلك آثار من علم، تكفي عن العيان وتشفي من الخبر، فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة وإلا ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا واعلم أن لك رباً يقصم الجبابرة ويغير النعم)[4].

وأمام هذا المؤتمر الحاشد الذي تواجد في مجلس هرقل من عظماء الروم وكبار رجال الدولة والمجموعة العربية بزعامة أبي سفيان قال هرقل لترجمانه : قل للعرب (أيكم أقرب نسباً لهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟) قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً، قال أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، قال أبو سفيان: فوالله لولا أن يؤثر عني كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ماسألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم..؟ قلت هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط من قبله.؟ قلت لا قال.. فهل كان من آبائه من ملك..؟ قلت لا.. قال فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ بل ضعفاؤهم قال: أيزيدون أم ينقصون..؟ قلت: بل يزيدون قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل

---

(١) خرج : بعث.

(٢) الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية، ط١ عام ١٩٦٦م، بيروت، مكتبة المعارف، جـ٣، ص ٢٦٢.

(٣) تاريخ ابن خلدون، جـ٢، ص ٣٦.

(٤) السهيلي : الروض الأنف، ط١ عام ١٣٨٧هـ، دار النصر، جـ٧، ص ٥١٦، ٥١٧.

فيه.؟ قلت: لا قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال.؟ قلت لا قال: فهل يغدر.؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لاندري ماهو فاعل فيها. قال ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة قال: فهل قاتلتموه..؟ قلت: نعم قال: فكيف كان قتالكم اياه.؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال فينال منا وننال منه، قال ماذا يأمركم؟ قلت يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا مايقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فقال لترجمانه: قل له سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه (من ملك) فذكرت أن لا فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك (أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه. فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر.؟ فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك. بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف. فإن كان ماتقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ثم دعا بكتاب رسول الله «ﷺ» الذي بعث به إليه مع دحية إلى عظيم بصرى)[1].

وتدل المحاورة الصريحة والاستفسارات التي دارت بين هرقل وأبي سفيان على عقلانية ورجاحة عقل خبير بتأريخ الديانات وصفات الأنبياء وسيرهم وأحوال الأمم معهم وسنة الله في أمرهم، وصدقه أبو سفيان كما هي عادة العرب الأقدمين حياء من أن يؤثر عنهم الكذب[2].

---

(١) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية، ط١ عام ١٩٦٦م، بيروت، مكتبة المعارف ومكتبة النصر بالرياض، جـ٤، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) السيد أبي الحسن علي الندوي : السيرة النبوية، ص ٢١٦.

وتوفرت لدى هرقل علامات قد علم منها بعث النبي «ﷺ» وكان يعتقد أنه ملك، ولكن الله تعالى قد آتاه ماهو أسمى وأعظم، وهو النبوة التي تبشر بخير الدنيا والآخرة ومعلومات هرقل قد أثرت في نفسه وجعلته مستعداً لتقبل الحق إذا ماأتاه، والمقدمات السابقة التي كانت خيالية أو ظنية قد مهدت لقبول الحق. ورغب هرقل أن يعرض الأمر على الملأ(١) من قومه وهم قساوسة الروم وبطارقتها(٢).

ولذلك جمع عظماء قومه في دار له بحمص وقال: (يامعشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم وتتبعوا ماقال عيسى بن مريم؟.

قالت الروم: وما ذاك أيها الملك.؟ قال: تتبعون هذا النبي العربي.

قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش وتناحزوا ورفعوا الصليب(٣).

قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾(٤).

وفي رواية السهيلي أن هرقل بعد البيان الذي ألقاه المبعوث الإعلامي بالدين الإسلامي وبين فيه دين الوحدانية قد أخذ الكتاب ووضعه على عينه ورأسه وأنه قبله ثم قال لدحية (أما والله ماتركت كتاباً إلا وقرأته ولا عالماً إلا وسألته، فما رأيت إلا خيراً، فأمهلني حتى أنظر من كان المسيح يصلي له فإني أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غداً ماهو أحسن منه فأرجع عنه، فيضرني ذلك ولاينفعني أقم حتى أنظر(٥).

إلا أن نتيجة المحاورة وما عرضه هرقل على كبار رجال الدولة لم يؤثر فيهم وذلك بسبب تمسكهم بمراكزهم وتعصبهم الأعمى حيث كانوا يعتقدون أن النبوة محصورة في نسل إسحق ولايمكن أن تكون من نسل إسماعيل، فهم لم يسمعوا إلى كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على محمد «ﷺ» ليتأكدوا فعلاً من أنه رسول الله وأن نظرتهم الضيقة وتعصبهم العرقي قد أدى إلى كبريائهم وتعنتهم وبقائهم على شركهم. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(٦).

---

(١) محمد أبو زهرة : خاتم النبيين، جـ٣، ص ١٣٠.

(٢) الدكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية، ط٣ عام ١٣٨٩هـ، بيروت، دار الإرشاد، ص ٨٣.

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٥٩.

(٤) سورة المدثر ـــ الآيات : ٤٩، ٥٠، ٥١.

(٥) السهيلي : الروض الأنف، جـ٧، ص ٥١٧.

(٦) سورة فصّلت : الآية ٢٦.

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(١).

وموقف أصحاب هرقل هو موقف يتكرر للأقوام أمثالهم عند ظهور الأنبياء والمرسلين. كما أن الروم كانوا ينظرون إلى العرب نظرة أقل، إضافة إلى أن هرقل نفسه كان ضعيفاً أمام أصحاب الرأي من دولته، نتيجة للحروب المتلاحقة التي أرهقت الدولة بكاملها، حيث أنه خيرهم بين قبول الدعوة المحمدية أو الاتفاق مع المسلمين(٢).

وذكر أن هرقل قد كتب إلى رجل بروميه كان عالماً بالعبرانية وذكر له أمر الرسول «ﷺ» ووصف له شأنه وأخبره بما جاء به فكتب الرجل إلى هرقل أن محمداً هو النبي الذي كنا ننتظره لاشك فيه فاتبعه.

وبناءً على ذلك قال هرقل لقومه: (تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل نجده ونعرفه بصفته التي وصف لنا فهلم فلنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا). فردوا عليه (نحن نكون تحت أيدي العرب. ونحن أعظم الناس ملكاً وأكثره رجالاً وأقصاه بلداً.؟ قال لهم: أعطيه الجزية كل سنة أكسر شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه.؟ قالوا: نحن نعطي العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عدداً وأعظمه ملكاً وأمنعه بلداً لا والله لانفعل هذا أبداً قال فهلم فلأصالحه على أن أعطيه سورية ويدعني وأرض الشام(٣) إلا أنهم رفضوا.

ومن هذا نرى أن كتاب الرسول «ﷺ» قد أثر في قلب قيصر الروم فنلاحظ من تصرفاته أنه يميل إلى الإسلام. ولكنه مع الأسف اتبع الملأ من قومه فآثر الملك، وبهذا اشترى الضلالة بالهدى فبارت تجارته في الدنيا والآخرة(٤).

إلا أن بعض الروايات تفيد أن الرجل أسلم سراً وأنه بعث رجلاً إلى النبي «ﷺ» لينظر إلى صفة الرسول وعلامات فيه(٥). وعاد مرسول هرقل إلى النبي وأخبر هرقل بما

---

(١) سورة الشورى ــ الآية ١٣.

(٢) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ص ١٦٥.

(٣) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية، جـ٤، ص ٢٦٨.

(٤) محمد أبو زهرة : خاتم النبيين، جـ٣، ص ١٢٧.

(٥) الإمام الكازوني : مخطوطة السيرة النبوية الشريفة، ص ٢٥٧.

وجد من صفات النبوة التي أحب هرقل التأكد من وجودها فيه[1] وكتب هرقل بإسلامه إلى الرسول مجيباً اياه: (إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى من قيصر ملك الروم: أنه جاءني كتابك مع رسولك وأني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الإنجيل بشرنا بك عيسى بن مريم وأني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا ولو أطاعوني لكان خيراً لهم ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك فقال رسول الله «ﷺ»: يبقى ملكهم مابقي كتابي عندهم[2].

وهرقل كما نرى مغلوب على أمره وفي نفس الوقت متعصب وعنصري حيث أورد أكثر من مصدر أنه قال: (فإن يقل حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم)[3] (أي العرب) لأن أهل الكتاب يعتقدون أن الأنبياء المرسلين من نسل إسحق وليسوا من نسل إسماعيل قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[4].

والمهم أن هرقل أجاز دحية الكلبي (سفير الرسول) مالاً وكسوة فلما عاد السفير قال النبي «ﷺ» (كذب عدو الله ليس بمسلم ولكنه على النصرانية)[5].

والصدى الإعلامي الذي أحدثته الرسالة قد نتج عنه هزة رن صداها في مشارق الأرض ومغاربها، ففي الإمبراطورية الرومانية كثر النقاش حيال الدين الجديد وخاصة بين الإمبراطور هرقل وعظماء قومه حيث آثرت الغالبية العظمى منهم البقاء على النصرانية لا من قبيل الإخلاص لها ولا من قبيل تحقيق السلام والأمن في الأرض ولكن من قبيل تعصب أعمى وكراهية متأصلة في نفوسهم.

والدليل قولهم: (يدعونا إلى أن نذر النصرانية ونكون عبيداً لأعرابي جاء من

---

(١) الدكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية، ص ٨٤، ٨٥.
(٢) أحمد بن يعقوب : تاريخ اليعقوبي، عام ١٣٨٤هـ، المكتبة الحيدرية ومطبعتها بالنجف، جـ٢، ص ١٦٧.
وانظر : مجموعة الوثائق للدكتور محمد حميد الله، ص ٨٢، ٨٣.
(٣) النويري، جـ١٨، ص ١٦٠، ١٦١.
(٤) سورة يوسف ــ الآية ٢.
(٥) دكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية، ص ٨٥، ٨٦.

الحجاز)[1] قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[2].

وقد دفعهم الحقد إلى قتل من دخل الإسلام قلوبهم فأعلنوه للملأ، ومنهم الأسقف ضغاطر الذي أخذ عصاه وخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال: (يامعشر الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا إلى الله وأني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) قال: فوثبوا عليه.. فقتلوه[3] قال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[4].

ولما أسلم القائد العربي التابع للروم فروة بن عمرو الجذامي غضبوا لاعتناقه الإسلام واتهموه بالخيانة[5]. والعرب المتنصرة سواء من كان منهم في الفرق العسكرية الرومانية أو القاطنين على حدود الدولة المتاخمة لشبه جزيرة العرب قد دانوا بالدين الإسلامي لأنه رمز لقوة إخوانهم العرب وخير لهم أن يعتزوا بقوة إخوانهم ودينهم من أن يعتزوا بالرومان. وهناك فرق كبير بين أن تقول أخي في الإسلام وأن يقال أنت تابعي وبذلك أسلم أو انضم إلى صفوف المسلمين عدد كبير من العرب الذين كانوا بالأمس أتباعاً للرومان أو عملاء لهم ضد المسلمين[6]، لأن الدين الجديد يتغلغل في النفس بتعاليمه وأحكامه ويغزو البلاد برجاله.

وأهم الحقائق التي تشتمل عليها هذه الرسالة مايأتي:

(ا) أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأمر رسوله «ﷺ» بتبليغه الناس كافة. وقد أدى الرسول «ﷺ» الأمانة.

(ب) أصبح قيصر ملك الروم ورجال دولته على علم بدين التوحيد الذي دعاهم الرسول «ﷺ» للدخول فيه.

---

(١) محمد علي الشامي الصالحي : مخطوطة سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، عام ١٠٩٦، مكتبة الحرم النبوي الشريف، جـ٢، ص ٣٣٢.

(٢) سورة الأحزاب ـــ الآيات : ٦٧، ٦٨.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، عام ١٣٨٥هـ، بيروت، دار بيروت ودار صادر، جـ٢، ص ٢١١.

(٤) سورة المائدة ـــ الآية ٧٠.

(٥) محمد أبو زهرة : خاتم النبيين، جـ٣، ص ٢٥٣.

(٦) نفس المرجع، ص ٥٤.

(جـ) تأكد أبو سفيان من خلال مناقشة هرقل له من علو وانتصار الإسلام. ويستفاد من الرسالة النبوية إلى هرقل الأثر والدلالات الإعلامية التالية:

أولاً: عنوان الرسالة تضمن التواضع الشديد في اسم المرسل وهو محمد بن عبدالله والتفخيم الكبير للمرسل إليه ليس للتملق بدليل (السلام على من اتبع الهدى) وذلك لتجسيم وإبراز المسؤولية الضخمة المنوطة بهرقل فهو عظيم الروم ومسؤول عنهم إذا اتبع الهدى اتبعوه هم أيضاً، وإذا أصر على الكفر فهو لايتعرض وحده للعذاب وإنما يكون مسؤولاً عن أتباعه أي الأريسيين.

التحية: (السلام على من اتبع الهدى) فيها احتياط لكي لاتكون على إطلاقها حقاً للكافر على المسلم فقيدها بأنها على من اتبع الهدى.

ثانياً: إن الإسلام ينقذ من يدخل فيه. ويضمن له السلامة كما في قوله: (أسلم تسلم) وفي هذا إشارة إلى أن من ينتظرون (المخلص) وبمعنى آخر المسيح عند اليهود والنصارى إنما يعتمدون على بشر بينما السلامة من العذاب هي في سلامة العقيدة (أسلم تسلم).

ثالثاً: الوعد بالثواب المضاعف أحدهما لنفسه والآخر لهدايته لقومه عندما يؤمنون كما في (يؤتك الله أجرك مرتين).

رابعاً: الوعيد حيث يبدأ من (فإن توليت..) وهنا يحمله إثم قومه ثم يشرح عصب العقيدة الإسلامية وهو تحريم الشرك بالله (أن لا نعبد إلا الله).

خامساً: الإشارة إلى أن الإسلام أمانة شخصية في عنق من دخل فيه وهو بعد إبلاغ الدعوة غير مسؤول عمن يتقبلها طبقاً لمبدأ: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1].

وعلى ذلك نجد أن هذه السطور الوجيزة تحتوي على مدخل دبلوماسي دولي تليه الدعوة بما تضمنته من وعد ووعيد وشرح لأهم ماتقوم العقيدة الإسلامية عليه وهو تجنب إظهار العبودية لغير الله قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3].

---

(١) سورة الزمر ـــ الآية ٧.

(٢) سورة آل عمران ـــ الآية ١٨.

(٣) سورة آل عمران ـــ الآية ٨٥.

ثم إن الرسالة النبوية الشريفة كانت لها نتائج مهمة منها الحوار الذي دار بين هرقل وأبي سفيان عن سير الأنبياء وخاصة صفة رسول الله «ﷺ» أمام الملأ من الرومان وكذلك المناقشة بين هرقل ورجال دولته حيث حاول إقناعهم باتباع دين التوحيد وموقفهم المؤسف وإسلام الكثيرين من أتباع هرقل ومتنصرة العرب ومنهم الأسقف ضغاطر وفروة بن عمرو الجذامي وغيرهم كثير لم تذكر أسماؤهم في الكتب.

المبحث الثاني

رسالة النبي الإعلامية بالدعوة الإسلامية إلى كسرى ملك الفرس وملك فارس ذلك الوقت هو كسرى خسرو برويز بن هرمز[1]

حفيد كسرى الأول (أنو شروان) الذي ازدهرت البلاد في عهده في جميع المجالات[2].

أما حفيد كسرى الذي كتب إليه الرسول «ﷺ» فقد اتسعت المملكة في عهده وازدهرت وكان الرجل محباً لجمع الأموال والنفائس واكتناز الكنوز وحكم سبعاً وثلاثين سنة وقد قابل المذكور المعارضة الشعبية ضده بالقوة، واستولى على بعض أقاليم الدولة البيزنطية، ولكن هزمه «هرقل» إمبراطور الروم، ومن ثم تمرد عليه الجيش الفارسي[3] وقتله ابنه «شيرويه» كما أخبر الرسول «ﷺ» مبعوثي (باذان) حاكم اليمن من قبل كسرى اللذين حضرا إلى الرسول ليصحبهما لمقابلة كسرى المتعنت حيث قال لهما الرسول «ﷺ»: (أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأول سنة سبع من الهجرة.

وان الله سلط عليه ابنه «شيرويه» فقتله فرجعا إلى «باذان» وأعلماه بما أعلمهما رسول الله.

ونتيجة لذلك بدأ الإيمان يدنو من قلب «باذان». عندما تأكد من خبر موت كسرى أعلن إسلامه وإسلام أتباعه في اليمن وهم الأبناء[5].

---

(١) شاهين مكاريوس : تاريخ إيران، عام ١٩٦٨م، القاهرة، ص ٩٤.

(٢) انظر : الدكتور حسين سعيد، الموسوعة الثقافية، مطابع دار الشعب بالقاهرة، عام ١٩٧٢م، القاهرة، ص ٨٠٣.

(٣) السيد الحسن الندوي : السيرة النبوية، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ، دار الشروق بجدة، ص ٢١٠.

(٤) انظر : الدكتور حسين سعيد، الموسوعة الثقافية، ص ٨٠٣.

(٥) النويري، جـ١٨، ص ١٦٣، والأبناء هم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة، فنصروه وملكوا اليمن وتزوجوا من العرب فقيل لأولادهم الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم.

وقد لاحظنا في المبحث الأول من هذا الفصل طرفاً من الحالة السائدة في الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، وكيف كانت الأحوال متردية نتيجة للحروب والصراعات على السلطة، وفرض عقائد الحكام على المحكومين بكل وسائل الضغط والاضطهاد. والحديث عن رسالة النبي «ﷺ» إلى كسرى تقودنا إلى إعطاء فكرة عن الأوضاع في بلاد فارس.

فإيران بلاد قديمة لها تاريخها وحضارتها، وأن كلمة فارس أو فرس اسم لإحدى ولاياتها الأولى، وتذكر في كتب الإفرنج باسم فارس ويطلق عليها العرب بلاد العجم(١).

وظهر فيها رجل اسمه (مزدك) ادعى الوحي والإلهام وأبطل احترام النار ونادى بعدم امتلاك الأفراد للعقار والحريم، واتبعه من الجشعين والأشرار عدد كبير لأنه أجاز لكل واحد مشاركة جاره في ماله وحريمه ونهى مزدك عن أكل اللحم وكان الرجل محتالاً، ولذلك أمر أنوشروان بذبحه واضطهاد أتباعه حتى انقرضوا (ويقال إن مذهب الاشتراكيين المنتشر الآن في أوروبا مأخوذ عن هذا المذهب) وتضعضعت الإمبراطورية الفارسية وذلك لفساد أمورها وبدأ الاضمحلال يظهر(٢)، وأهم مظاهر الضعف تعدد الانقسامات الدينية.

فالزرادشتيه(٣) وهي دين الدولة والمانوية وهي مذهب فلسفي يدعو إلى الزهد المطلق وعدم الإنتاج ثم المزدكية الشيوعية الإباحية كما رأينا وهي التي أثارت الفقراء على الأغنياء ثم النصرانية واليهودية والصابئة وهي خليط من العقائد المتضاربة الجوفاء التي تسيء للإنسان أكثر من أن تفيده ولاتضمن له السلامة والأمان.

---

(١) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران، ص ١.

(٢) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران، ص ٨١، ٨٢، ٨٣.

(٣) الزرادشتية مذهب ديني أسّسه زرادشت حوالي القرن السابع والسادس ق.م وزرادشت زعيم ديني فارسي، كتابه المقدس مؤلف من «الأفستا» أو الزند أفستا. زند : معناها تفسير، وأفيستا معناها قانون. ومكتوب بلغة إيرانية قديمة، ويحوي خمسة كتب، والزرداشتية في أساسها ضرب من الإصلاح لدين فارس، ترمي إلى تنمية الحصاد، والرفق بالحيوان، ولم يكن للزرادشتية معابد في البداية ثم ظهرت بعض الطقوس التي يقرها زرادشت وليست الزرادشتية ثنائية وإنما هي شبه ثنائية ويقدس أتباع الزرادشتية النار ويستعملونها في شعائرهم الدينية مما أدى إلى الاعتقاد بأنهم عبدة نار «الموسوعة العربية الميسرة»، جـ١، ١٩٨٠م، دار نهضة لبنان، ص ٩٢١، ٩٢٢.

ومما يدل على فوضى تصرفات ساسة فارس أنهم عملوا على القضاء على مملكة الحيرة العربية.. وهي درع لهم[1] فقد كان من سياسة الأكاسرة أن يقووا العرب على العرب ويرسلوا إحدى القبائل لمحاربة إخوانهم العرب، والفرس بذلك في أمن من شر هذه الأمة التي سادها جهل وانقسام[2] ومما يدل على مدى انهيار الأوضاع السياسية بإيران أنه تعاقب على عرشها اثنا عشر ملكاً بين رجل وامرأة، وصبي صغير ومغتصب[3] في فترة قصيرة جداً.

ومع كل ماسبق استسلم الناس لتقديس كسرى على أساس صلته بالإله وقربه منه[4]، ومصداقاً لذلك انظر إلى ألقاب الإمبراطور كسرى خسرو الثاني «في الالهة إنسان غير فان، وفي البشر إله ليس له ثان، علت كلمته، وارتفع مجده، يطلع مع الشمس بضوئه، وينير الليالي المظلمة بنوره»[5] وهو بهذا ارتفع على طاغوت البشرية فرعون مصر، ولذلك فقد كان أتباع كل عقيدة في الشرق على استعداد للإعلان أن جميع المذاهب ماعدا مذهبهم جديرة بأن توصم بالوثنية وتعدد الآلهه[6].

وبعد أن كان الفرس يقدسون النور والظلمة باعتبارهما رمزاً للخير والشر أصبحوا يعبدونهما على أساس أنهما إلهان اثنان ويعبدون كذلك غيرهما من المظاهر الطبيعية(٧) وكان زرادشت قد بشر أتباعه بمقدم الرسول محمد «ﷺ» قائلاً لهم: (تمسكوا بما جئتكم به إلى أن يأتيكم صاحب الجمل الأحمر من بلاد العرب «ودعا زرادشت الثاني لعبادة الله وحده (اهورامزدا) إله النور، وفرض خمس صلوات، والتقوى، والصدقة، وحرم الربا، وأكد أن الكفر رأس الخطايا كلها، وحرم عبادة الأوثان والأصنام، ووعد

---

(١) عبدالحميد العبادي : الدولة الإسلامية، تاريخها وحضارتها، ط١ سنة ١٩٥٤م، القاهرة، ص ٥.
(٢) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران، ص ٩٣.
(٣) عبدالحميد العبادي وآخرون : «الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها»، ط١ سنة ١٩٥٤، القاهرة، ص ٥.
(٤) الدكتور أحمد أحمد غلوش : «الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها»، ص ٩٩.
(٥) السيد ابن الحسن علي الحسني الندوي : السيرة النبوية، ص ٢٣٩.
(٦) ادوارد جيبون (EDWARD GEEPON7) ترجمة محمد سليم سالم «اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها»، جـ٣، الناشر : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ص ٣٦.
(٧) دكتور أحمد أحمد غلوش : «الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها»، ص ١٠٩.

المؤمنين بجنات عرضها السموات والأرض وقال بالوعيد وأن جهنم مثوى للكافرين»[1].

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

ويقول الأستاذ عبدالحق.. إن اسم الرسول العربي «أحمد» مكتوب بلفظه العربي في «السامافيرا» من كتب البراهمة وقد ورد في الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثاني ونصها: «أن أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست من النور كما يقبس من الشمس»[3].

وليس من المعقول أن تخفى على كسرى أخبار الدين الإسلامي الجديد الذي بشر به محمد «ﷺ» ولاسيما إذا علمنا أن الإعلام بدين الاسلام بشتى وسائل الإعلام المتاحة، قد ملأت الآفاق ومضى عليها أكثر من تسع عشرة سنة اعتباراً من البعثة وحتى وصول رسالة النبي «ﷺ» في السنة السادسة من الهجرة وهي في صراعات وملاحم مع عقائد مختلف الفرق المتواجدة في مكة والمدينة سواء من أهل الكتاب أو المجوس أو الوثنيين وعبدة الكواكب فهذا سلمان الفارسي (المجوسي) رضي الله عنه يسمع بالدين الجديد فيتجشم الصعاب للوصول إلى مركز الرسول «ﷺ» ويعتنق الإسلام في السنة الأولى من الهجرة.

كما نعلم أن للفرس مصالح في شبه الجزيرة العربية. وهم لايغفلون هذه المنطقة والتحركات فيها ولاسيما بعد هزيمتهم في موقعة (ذي قار) فقد كانت اليمن والعراق[4] والبحرين وعمان واليمامة تحت نفوذ الفرس والحجاز وسائر شبه الجزيرة العربية محصورة في دائرة الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية[5] وكانت حياة العرب

---

(١) محمد الشرقاوي : «محمد «ﷺ» في بشارة الأنبياء» مؤسسة دار الشعب بالقاهرة، ص ١٧.

(٢) سورة النحل ــ الآية ٣٦.

(٣) محمود الشرفاوي، ص ١٨.

(٤) د. محمد حسنين هيكل : «حياة محمد» ط١٤، القاهرة، ص ٣٨٩.

(٥) نفس المرجع.

تعتمد على التجارة مع اليمن والشام، وبذلك فهم محتاجون بشكل واسع إلى مصانعة ملكي روما وفارس[١].

يقول المؤرخ الغربي المتعصب (هـ. ج. ولز) في سياق حديثه عن رسائل النبي إلى الملوك (إنه بالنسبة لفارس يقول: بعض من في المدائن[٢] كانوا يعرفون عن محمد قدراً أكبر، إذ قالوا عنه إفكاً وبهتاناً ـــ إنه نبي مقلق كذاب (كذا !!!). حرض اليمن وهي الولاية الغنية في جنوب بلاد العرب على الثورة على (ملك الملوك) الفارسي)[٣].

ومن الملاحظ آنذاك أن بيزنطة وفارس على ضخامة سلطانهما قد فقدتا ملكة الابتكار أو الإنشاء. وأصبح التفكير لدى المفكرين فيهما عقيماً وهذا أدى إلى التقليد والاقتداء بالسلف واعتبار كل جديد بدعة وكل بدعة ضلالة، والجماعة الإنسانية كالفرد الإنساني وككل كائن حي يتجدد كل يوم فعندما تكون فتية شابة يكون تجددها خلقاً وإنشاءً وأما إذا بلغت الذروة وفي وضع لايسمح على قدرة الابتكار فهي عندئذ تنفق من رأس مال حياتها. وهي بذلك في نقص مستمر فيهب لها الخالق عنصراً خارجياً يجدد أسلوب حياتها فيه مصلحة الانسانية ومايعود على الشعوب بالسلام والأمن والاستقرار. هذا المنقذ الخارجي المليء بقوة الحياة الفتية إلى جانب روما وإيران لم يكن في جهة الصين أو الهند، وإنما كان ذلك المنقذ هو النبي محمد «ﷺ» فقد كانت دعوته في عنفوان شبابها وقوتها وهي بذلك جديرة بأن تعيد إلى نفوس الناس المتهدم داخلها في مشارق الأرض ومغاربها بحكم التقاليد الدينية البالية والشعوذات وماصاحبها من خرافات قائمة مقام الإيمان والعقيدة[٤].

ومبعوث الرسول «ﷺ» إلى كسرى هو الصحابي عبدالله بن حذافه السهمي أسلم قديماً وصحب النبي وهاجر إلى الحبشة وكانت فيه دعابة ولما وقع في أسر الروم حاولوا بكل قوة وإغراء أن ينصِّروه فلم يفلحوا، واستطاع بقوة إيمانه ورباطة جأشه إنقاذ نفسه وثمانين مسلماً بقبلة على رأس الطاغية الذي أسره، وعند وصوله قام

---

(١) نفس المرجع.

(٢) المدائن ـــ عاصمة امبراطورية الفرس.

(٣) هـ.ج.ولز : معالم تاريخ الإنسانية، ط٣، ١٩٧٢م، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص ٧٤٩.

(٤) محمد حسنين هيكل : حياة محمد، ط١٤، القاهرة، دار المعارف، ص ٣٩٠، ص ٣٩٢.

الخليفة عمر بن الخطاب فقبل رأسه[1]، وكان قبل بعثه إلى كسرى كثير التراداد على تلك البلاد وأن تلك الأسفار أكسبته خبرة وتجربة وحنكة في الأمور وأحوال وطبائع الشعوب خارج شبه الجزيرة العربية[2]. هذا إضافة إلى كونه من خريجي المدرسة النبوية التي استمدت مناهجها من القرآن وصحبة وتوجيهات وتعليمات صاحب الدعوة محمد «ﷺ».

ولما قدم عبدالله بن حذافه على كسرى، دفع الكتاب إليه[3] ثم ألقى البيان الإعلامي الإرشادي التالي:

(يامعشر الفرس إنكم عشتم بأحلامكم لمدة أيامكم بغير نبي، ولا كتاب ولا تملك من الأرض إلا ما في يديك، ومالا تملك منها أكثر، وقد ملك قبلك ملوك أهل الدنيا وأهل الآخرة فأخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا، وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة، فاختلفوا في سعي الدنيا واستووا في عدل الآخرة، وقد صغر هذا الأمر عندك إنا أتيناك به وقد والله جاءك من حيث خفت، وما تصغيرك إياه بالذي يدفعه عنك ولا تكذيبك به بالذي يخرجك منه، وفي وقعة ذي قار على ذلك دليل).

فأخذ الكتاب فمزقه ثم قال: «لي ملك هنيء لا أخشى أن أغلب عليه ولا أشارك فيه، وقد ملك فرعون بني إسرائيل ولستم بخير منهم، فما يمنعني أن أملككم وأنا خير منه، فأما هذا الملك فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب، وأنتم أولئك تشبع بطونكم وتأبى عيونكم، فأما وقعة ذي قار فهي بوقعة الشام»[4].

وجاء في رسالة الرسول «ﷺ» إلى كسرى:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ٣، المكتبة الإسلامية، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢) عبدالله السحيباني : السياسة الخارجية للدولة الإسلامية في عهد النبوة، عام ١٣٩٩هـ، الرياض، ص ٢١٢.

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٥٩.

(٤) السهيلي : الروض الأنف، جـ٦، ط١ عام ١٣٧٨هـ، دار النصر بالقاهرة، ص ٥٨٩، ٥٩٠.

ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس»[1].

وقال سعيد بن المسيب فمزق الكتاب ولم ينظر فيه فقال النبي «ﷺ» «مزق ومزقت أمته»[2].

فكانت نظرة العجم للعرب أنهم دونهم منزلة وحضارة وسياسة وثقافة، ولذلك مزق كتاب الدعوة للإسلام مستخفاً وساخراً، وقال: أيكتب إلي هذا الكتاب وهو عبدي[3] وكان فرعون مصر الذي قارن كسرى نفسه به وأنه أعظم منه ينظر إلى موسى عليه السلام نفس النظرة فقال تعالى مخاطباً نبيه موسى وأخاه هارون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[4].

ومحمد «ﷺ» يعلم علم اليقين مدى القوة العسكرية التي يملكها كسرى، ومدى مايتصف به كسرى من الطغيان والجبروت، ومع ذلك كتب له برفق ولين تمشياً مع قول الله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[5].

---

(١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، جـ١٨، ص ٥٨. وفي تأريخ اليعقوبي زاد «وحده لا شريك له، وإلى الناس كافة، فإن أبيت فإن عليك آثام»، جـ٢، ص ٦٦.
ـــ وزاد في مخطوطه السيرة النبوية «وحده لا شريك له، أدعوك بدعاية عز وجل وإني، فإنها»، ص ١٦٣.
ـــ مخطوطة السيرة النبوية، ص ٢٣٢، وابن الأثير، ص ٢٦٣، والوفا بأحوال المصطفى، جـ٢، ص ٧٣٢ وأبوعبيد القاسم بن سلام في الأموال، ص ٣٢.
ـــ وصبح الأعشى، ص ٣٧٨، وجاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ٤، ص ٢٠٣ «ان الرسول «ﷺ» كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي أما بعد تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

(٢) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام، جـ٤، بيروت، ص ٢٠٣
وفي مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي للدكتور محمد حميد الله، ص ١١١ /١١٢ «وكتب إليه كسرى كتاباً جعله بين سرقتي حرير وجعل فيهما مسكاً فلما دفعه الرسول إلى النبي فتحه فأخذ قبضة من المسك فشمه وناوله أصحابه وقال : لا حاجة لنا في هذا الحرير، ليس من لباسنا وقال : (لتدخلن في أمري أو لآتينك بنفسي ومن معي وأمر الله أسرع من ذلك فأما كتابك فأنا أعلم به منك (فيه كذا وكذا) ولم يفتحه ولم يقرأه ورجع الرسول إلى كسرى فأخبره.

(٣) الإمام الكلاعي مخطوطة السيرة النبوية الشريفة عام ١١٤٧، مكتبة الحرم النبوي الشريف ص ٢٣٢، والوفا بأحوال المصطفى، جـ٢، ص ٧٣٢.

(٤) سورة طه ــ الآيتان ٤٣، ٤٤.

(٥) سورة طه ــ الآيتان ٤٣، ٤٤.

وجاء في القول المأثور أمرت لأخاطب الناس على قدر عقولهم[1] وقال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] وقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[3] وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[4] ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[5].

والله سبحانه وتعالى كلف الرسول «ﷺ» التبليغ وعدم إكراه أحد على اعتناق الإسلام قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[6].

والناس جميعاً سواسية لا فضل لعنصر من البشر على الأجناس والألوان الأخرى حيث كان الرومان والفرس وغيرهم وبخاصة بنو إسرائيل يتفاخرون بأجناسهم من الناحية العرقية أو التقدم في الأمور الدنيوية من ثقافة وصناعة وقوة عسكرية فأعلن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه البيان الإعلامي التالي ليبدد به تلك الأوهام ويكشف زيف العنصريين المتغطرسين من كل الأجناس قال «ﷺ»: «لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى» وهذا مصداق للبلاغ الإلهى العظيم حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[7].

والنبي «ﷺ» مأمور بتبليغ رسالة التوحيد لكل الناس بمن فيهم كسرى وأتباعه بصيغة الأمر الالهي: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[8] وكسرى

---

(1) لم يعثر عليه في الأحاديث النبوية الشريفة.

(2) سورة فصلت ــ آية ٤٣.

(3) سورة الصافات ــ آية ١٧١.

(4) سورة المائدة ــ آية ٦٧.

(5) سورة المائدة ــ آية ٩٩.

(6) سورة الغاشية ــ الآيتان ٢١، ٢٢.

(7) سورة الحجرات ــ آية ١٣.

(8) سورة الأعراف ــ آية ١٥٨.

الذي يعتبر نفسه كفرعون مصر إلهاً لا يكتفي بعدم الرد وإنما يمزق الرسالة ويأمر نائبه (باذان) على اليمن بإحضار نبي الله إليه للانتقام.. ولا غرابة في ذلك فهو طاغوت متغطرس غير مستعد لسماع كلام الله ورسوله ويقول الله سبحانه وتعالى فيمن طمست مشاعرهم وماتت مواهبهم واستغلقت أذهانهم[٢] ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١].

ولما علم الرسول بتصرفات كسرى الهوجاء دعا عليه دعوة فاستجاب الله سبحانه لها بحيث سلط عليه ابنه شيرويه فقتله.

يقول الله تعالى معللاً هلاك الأمم الفاسدة: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

والمعروف أن كسرى كان مولعاً بالمال فجمع من الكنوز والنفائس مثلما جمع من الألقاب والأبهة وكل هذا لم يصرفه لتدبر آيات الله والاعتبار بمن سبقوه من الحكام الطغاه بل ازداد عتواً وكانت النتائج المذهلة وهي هزيمته هزيمة مذلة على يد هرقل امبراطور الروم، وأبشع من هذا أن يقتله ابنه.

إن الإصلاح النفسي يعتبر دعامة أولى لتغليب الخير في هذه الدنيا، فإذا لم تصلح الأنفس وتكفهر الآفاق وتكثر الفتن في حاضر الناس ومستقبلهم فسوف تقسو القلوب وتسود الفوضى ويعم الفساد وبناء على ذلك[٣] يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[٤].

ويقول تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ

---

(١) محمد الغزالي، خلق المسلم، ط٨، سنة ١٣٩٤هـ، مطبعة حسان بالقاهرة، ص ٢٣٥.

(٢) سورة البقرة ــ آية ١٧١.

(٣) سورة الأنفال ــ الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٤) محمد الغزالي، خلق المسلم، ص ٢٣.

(٥) سورة الرعد ــ آية ١١.

ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [1].

وكان من نتائج الرسالة المحمدية إلى كسرى، وما قاله رسول الله لمبعوثي (باذان) نائب كسرى على اليمن وهو أن الله قد قضى على كسرى قبل أن يصل الخبر لباذان أو غيره أن أسلم باذان وأسلم الأبناء في اليمن، إضافة إلى ما نلاحظ من حسن تصرف شيرويه الذي قال لباذان: «وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب إليه، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه».

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «إنه بلا شك لم يكن الإبن على عزيمة أبيه فيما يتعلق بالنبي بل تردد، وكل ما أمر به ألا يهجه ولا يطلب إليه الحضور، وتلك أمارات مثالية تدل على صدق النبي «ﷺ» فيما يدعو إليه من وحدانية وصدق في دعوى الرسالة الإلهية» [2].

---

(١) سورة الأعراف ـــ آية ١٤٦.

(٢) محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، ص ١٣٤.

أهم الآثار والدلالات الإعلامية في رسالة الهداية إلى كسرى

من المعروف لدى رجال الإعلام ولمن لهم صلة بهذا العلم أن فن الدعوة هو فن الاستمالة والإقناع، وقد يكون من سبل الإقناع الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى فلننظر لرسالة الرسول «ﷺ» إلى كسرى، فبعد أن بدأها بنفسه «ﷺ» وبصيغة بعيدة عن اضفاء هالة من العظمة عرف بنفسه أنه محمد رسول الله.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1] وقال جل شأنه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[3] وقال جل من قائل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾[6] ومحمد الرسول «ﷺ» مكلف بتبليغ الرسالة الالهية لأهل الأرض، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[7].

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٨.

(٢) سورة الشعراء ـــ الآيتان ١٠٧، ١٠٨.

(٣) سورة آل عمران ـــ آية ١٤٤.

(٤) سورة الفتح ـــ آية ٢٩.

(٥) سورة الأحقاف ـــ آية ٩.

(٦) سورة الأعراف ـــ آية ١٥٧.

(٧) سورة المائدة ـــ آية ٦٧.

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[1] وقال جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

ولقد رفع الرسول «صلى الله عليه وسلم» مركز كسرى بصورة ملحوظة لا من أجل النفاق، والدليل على ذلك «سلام على من اتبع الهدى» وذلك لتحميل كسرى المسؤولية الضخمة تجاه الشعوب الخاضعة لسلطانه فهو عظيم فارس، ومسؤوليته أنه إذا اتبع الرسالة النبوية اتبعوه لأن الشعوب في تلك الأزمنة على دين ملوكها في الغالب الأعم وإذا أصر على الكفر فسوف يعرض نفسه وشعبه للعذاب فهو مسؤول عن أتباعه المجوس.

والتحية فيها تحفظ واضح فجعلها للذي يتبع الهدى.. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3]. فإن اعتناق الإسلام سبيل إلى السلامة والأمان والنعيم في الدنيا والآخرة (أسلم تسلم) وقد أعلمه الرسول «صلى الله عليه وسلم» بالثواب المضاعف له في حالة إيمانه وإيمان شعبه إذا اتبع تعاليم الإسلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ **فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾[5][6].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾[7] هذا، وتشتمل الرسالة أيضاً على الوعيد حين أعلمه (فان توليت..).

---

(١) سورة الحج ــ آية ٤٩.
(٢) سورة سبأ ــ آية ٢٨.
(٣) سورة يونس ــ آية ٢٥.
(٤) سورة البينة ــ الآيتان ٧، ٨.
(٥) يحبرون : يسرون ويغبطون.
(٦) سورة الروم ــ آية ١٥.
(٧) سورة لقمان ــ آية ٨.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[1] وقال جل شأنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾.[2] وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾[3] وقال جل شأنه : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ ﴾[5].

وبذلك فإن الرسول الكريم حمَّله وزر قومه وبعد ذلك وضح له عصب العقيدة الإسلامية وهو توحيد الله. قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[6].

وقال جل شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ .. **إلى قوله لآيات** لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[8].

كما تبين الرسالة تحريم كل العبادات الموجهة لغير الله (لا إله إلا الله). وبذلك فالإسلام بعد تبليغه هذا يعتبر أن المسؤولية الكاملة تقع على عاتق من يعتنقه ويدخل فيه، طبقاً لمبدأ قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[9].

---

(١) سورة غافر ـــ آية ٢٨.

(٢) سورة غافر ـــ آية ٥٢.

(٣) سورة الشعراء ـــ آية ٢١٣.

(٤) سورة الزمر ـــ آية ٢٢.

(٥) سورة الكهف ـــ آية ٢٩.

(٦) سورة آل عمران ـــ آية ١٨.

(٧) سورة غافر ـــ آية ـــ٦٨.

(٨) سورة البقرة ـــ الآيتان ١٦٣، ١٦٤.

(٩) سورة الزلزلة ـــ الآيتان ٧، ٨.

(المبحث الثالث)

رسالته «ﷺ» إلى ملك الحبشة[1]

الحبشة هي بلاد أفريقيا الشرقية وتقع في الجنوب الغربي من البحر الأحمر ومن الصعب تحديد حدودها عند بداية الدعوة الإسلامية، وحكومتها كانت من أقدم دول العالم، وتفيد أخبار اليهود أن ملكة سبأ (بلقيس) كانت تسكن في الحبشة، وأن ذرية سليمان عليه السلام كانت تحكم الحبشة كما أن بداية قدوم اليهود للحبشة تم بعد دمار هيكل سليمان[2] وتسربت المسيحية إلى الحبشة على يد أحد رجال الدين الإسكندريين وهو «فرو منتيوس»[3] حوالي عام ٢٣٠م في حكم الملك الحبشي «غبرانا» واعتنق الملك المذكور المسيحية، وبذلك يكون أول ملك حبشي يعتنق المسيحية على الأغلب، وقد جعل النصرانية الدين الرسمي بعد أن انتشرت المسيحية[4] في بلاده.

وعندما اضطهد ملك اليمن المسيحيين طلب جستنيان الأول إمبراطور روما ملك الحبشة أن يمدهم بالمساعدة في اليمن، فاستولى على اليمن حيث دامت سلطتهم على

---

(١) يقول الأستاذ عبدالحميد عابدين في كتابه (بين الحبشة والعرب) إن لفظ أثيوبيا يرد للدلالة على الحبشة وهو يوناني الأصل، وأطلق الأحباش هذا اللفظ على بلادهم تيمناً بذكره في التوراة، واتسعت التسمية في العهد الروماني (فأطلقت أثيوبيا على البلادب الواقعة بين النيل والبحر الأحمر، وشملت أحياناً بعض المناطق في غرب النيل كمنطقة «مرو» التي كان لها ماضي مجيد ودولة متقدمة، ص ٧.

وأوضح الأستاذ نجيب العفيفي في كتابه (المستشرقون) أن عرب اليمن الذين عرفوا بالجنوبيين قد عبر بعضهم البحر الأحمر في القرن الثاني قبل الميلاد إلى الحبشة، ص ٣٠، ويفيد الأستاذ عبدالحميد عابدين أن من القبائل العربية التي هاجرت إلى هناك قبيلة «سهرت» وقبيلة «حبشت» وذكر أن قبيلة «حبشت» اتخذت طريقها البحري الذي يصل من خليج مصوع وهضاب الحبشة ثم اتجهوا إلى الجنوب.. ولما سكنت هناك أي في شمال الحبشة نسب القسم الشمالي إليهم وسمّي باسمهم ثم أطلق العرب الحبشة على جميع البلاد، ص ١١، ١٢.

(٢) السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، السيرة النبوية، ط١، عام ١٣٩٧هـ، دار الشروق بجدة، ص ٢٤٢.

(٣) فرو منتيوس : عين مطرانا على الحبشة وسماه الأحباش (أباسلامة).

(٤) عبدالحميد عابدين.. بين الحبشة والعرب، ص ٣٦.

اليمن العربية نحو خمسين سنة تقريباً، وظلت الحبشة مسيطرة على التجارة الدولية في تلك المناطق وأفريقيا، وكان ملك الحبشة يلقب دائماً بـ (النجاشي)[1].

والمعروف أنه كانت توجد علاقات تجارية بين شبه جزيرة العرب والحبشة بحكم القرب والجوار. وطمع الأحباش في موقع اليمن فاحتلوها وأرادوا السيطرة على مكة المكرمة. وورد ذكر حملتهم الفاشلة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[2].

تضاربت الأقوال والروايات في تعيين شخصية (النجاشي) الذي كتب إليه رسول الله «ﷺ» يعلمه بالرسالة المحمدية ويطلب منه اعتناق مايدعو إليه وهو الإسلام، والروايات العربية تتحدث عن ملكين من ملوك الحبشة أولهما قبل البعثة، ويطلقون عليه اسم «أبحر» والثاني عاصر الرسول محمداً «ﷺ» ويسمى «أصحمه»[4]. ويقول العرب إن الأحباش قتلوا الملك «أبحر» وولوا أخاه وهو عم «أصحمه» وأبعدوا «أصحمه» باعوه لرجل عربي من بني ضمرة حيث رعى الغنم حتى مات عمه، وبحث الأحباش عن الفتى الطريد فأعادوه وملكوه عليهم إلى أن توفي في السنة التاسعة من هجرة النبي محمد «ﷺ»[5].

كانت نصرانية الحبشة كنصرانية نجران والحيرة والشام قد شابها بعض الشوائب بين مؤلهي المسيح، ومؤلهي أم المسيح. وهناك زمرة مخالفة لها مذهبها[6]، وكان النجاشي الملك على مذهب النساطرة، ومذهب نسطور قائم على التوحيد، وينكر ربوبية المسيح ومن ذلك قولهم (أي النساطرة) «لاتقولوا مريم أم الله لأنها من البشر ويستحيل أن يولد الإله من البشر»[7].

---

(١) السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، السيرة النبوية، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) سورة الفيل، الآيات : ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

(٣) السيد أبي الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص ٢٤٤.

(٤) ويروى اسمه برسوم مختلفة : أصحمه، أصمحه، وصحمه، وأصبحه، وأضمحه. والصحيح عند العرب النطق الأول.

(٥) عبدالحميد عابدين، بين العرب والحبشة، ص ٧١.

(٤) محمد حسنين هيكل، حياة محمد، ص ١٧٢.

(٦)

(٧) محمد رضا، محمد رسول الله، ص ٢٧٣.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ (٢).

وقال جل شأنه: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾ (٣).

لم تكن الحبشة غريبة عن العرب فالاتصالات مستمرة على كل المستويات والرسول محمد «ﷺ» يعلم الكثير من الأوضاع في الحبشة وعقيدة القوم، ولم يأذن للمسلمين المعذبين بالهجرة إليها إلا بعد طول تفكير ووفق سياسة محكمة(٤) وقال للمسلمين الراغبين في الهجرة بعقيدتهم «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لايظلم أحد عنده» حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم(٥)، وقد اطمأنوا بالحبشة وآمنوا لأن النجاشي أحسن معاملتهم، فغضبت قريش وأرسلت وفداً بهدايا مكونا من عمرو ابن العاص وعبدالله بن أبي أمية فقدما الهدايا إلى أعوان النجاشي وطلبا منهم أن يساعدوهم على إعادة المهاجرين، وقالا لأصحاب الملك، إن أناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دين الملك، وجاؤو بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم وقد أرسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم وخافا أن يسمع النجاشي كلام المسلمين فلا يسلمهم. فوعدهما أصحاب النجاشي المساعدة على مايريدان.

وقد أيد أصحاب النجاشي مطلب وفد قريش ولكن النجاشي رفض وقال: لا والله لا أسلم قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم

---

(١) سورة النساء، آية ١٧١.

(٢) سورة آل عمران ــ آية ٤٥.

(٣) سورة المائدة ــ آية ١٧.

(٤) عبدالحميد عابدين، بين العرب والحبشة، ص ٧٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٢، دار بيروت للطباعة عام ١٣٨٥هـ، ص ٧٦.

عما يقول هذان، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما وإن كانوا على غير مايذكر هذان منعتهم وأحسنت جوارهم.

فدعاهم النجاشي وقد أجمع المسلمون على صدقه فيما ساءه وسره وكان المتحدث الرسمي باسم المهاجرين هو «جعفر بن أبي طالب» وسأله النجاشي سؤالاً هاماً.. ماهذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد..؟

وأجاب ممثل الرسول الرسمي ببيان واضح وصريح أمام النجاشي والملأ من قومه قال: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منّا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله وأن لانشرك به شيئا ونخلع ماكنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام.. وعدد عليه أمور الإسلام قال: فآمنا به وصدقناه وحرمنا ماحرم علينا وحللنا مأحل لنا، فاعتدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وحا لوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لانظلم عندك أيها الملك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء.؟ قال نعم فقرأ عليه سطراً من (كهيعص) فبكى النجاشي وأساقفته. وقال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا والله لا أسلمهم إليكما أبداً.

ولكن الوفد القرشي أحب الكيد للمسلمين، فقال عمرو بن العاص للنجاشي: إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً. فأرسل النجاشي فسألهم عن قولهم في المسيح. فقال جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبدالله ورسوله وروح منه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال: ماعدا عيسى ماقلت هذا العود فنخرت بطارقته: فقال: وإن نخرتم.

وقال للمسلمين اذهبوا فأنتم آمنون، ماأحب أن لي جبلاً من ذهب وأنني آذيت

رجلاً منكم، ورد هدية قريش وقال: ما أخذ الله رشوة منى حتى آخذها منكم.. ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيه. وأقام المسلمون بخير دار[1].

ونلاحظ أن البيانات الواضحة عن العقيدة الإسلامية، وعما جاء به النبي «ﷺ»، وما أمر به أصحابه، ونظرة الإسلام إلى عيسى بن مريم وأمه الصديقة والتي ألقاها المندوب الصحفي (إن صح هذا التعبير) والصحابي المجاهد الجليل جعفر بن أبي طالب، أمام ملك الحبشة وكبار رجال دولته وخاصة رجال الدين منهم، واعتراف النجاشي وتصديقه لما جاء به الإسلام لأمور تدعو إلى القول بأن أنباء العقيدة الإسلامية قد انتشرت بصورة غطت مساحات واسعة من عالم ذلك الزمن ولاسيما إذا علمنا أن انتصار الإسلام في المناظرة على وفد قريش والمتعاطفين معهم بالرشوة من أصحاب ملك الحبشة وموقف بعض رجال الدين الذين لم يرق لهم موقف الملك المؤيد لتعاليم الإسلام، قد أحدثت سيلاً من التصريحات والمناقشات بين أفراد الشعب الحبشي الذي تربطه روابط دينية واقتصادية مع دولة الروم، وهذا رد على أجناس (جولدتسيهر) الذي يفيد باطلاً أن أفق محمد «ﷺ» الجغرافي لم يتعد جزيرة العرب[2].

ويفيد الرواة أن النجاشي أرسل وفداً من الحبشة إلى النبي «ﷺ» وهو بمكة، وأخرج الحافظ بن كثير في تفسيره عن سعيد بن جبير «أن النجاشي بعث وفداً من الحبشة إلى النبي «ﷺ» ليسمعوا كلامه ويروا صفاته وكان عدده اثنى عشر رجلاً وقيل كان أكثرهم قساوسة ورهباناً فلما رأوا الرسول «ﷺ» وقرأ عليهم شيئاً من القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشي وأخبروه بما شاهدوا»[3].

قال تعالى: موضحاً حالة أهل الكتاب إذا استمعوا لكلام الله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[4].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٧٩، ٨٠، ٨١.

(٢) أجناس جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة د. محمد يوسف موسى، ط٢، عام ٧٨م، القاهرة، دار الكتب الحديثة بمصر، ص ٣٩.

(٣) عبدالحميد عابدين، بين العرب والحبشة، ص ٧٧، ٧٨.

(٤) سورة المائدة ـــ آية ٨٣.

وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ﴾(١).

وهؤلاء النفر من المسيحيين وغيرهم ممن يؤمن بالرسالات والذين شرحت صدورهم للإسلام ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾(٥).

والمطلوب من الإعلام الدولي تزويد الشعوب لدى الحكومات الأخرى بالمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة، وذلك للتأثير على الجماهير وإقناعها بعدالة القضايا العادلة، وبذلك تتبنى الجماهير في الدول الأخرى مواقف الأمة أو الجماعة الداعية.

ونلحظ ذلك في البلاغ المبين الذي ألقاه ممثل المسلمين: «جعفر بن أبي طالب» أمام النجاشي وأصحابه ووفد قريش، حيث أقنعهم بأهداف المسلمين عن طريق الاعلام القائم على الحوار المنطقي والحقائق التي لاتنافي الواقع، وما يدعو إليه الرسل والأنبياء والمصلحون لصلاح الإنسانية وسلام البشرية.

نص رسالة الرسول «ﷺ» إلى النجاشي ملك الحبشة: «بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سِلْمٌ أنت فإني أحمد إليك الله

---

(١) سورة النساء ـــ آية ١٦٢.

(٢) سورة الزمر ـــ آية ٢٢.

(٣) سورة فاطر ـــ آية ٢٨.

(٤) سورة البينة ـــ الآيتان ٧، ٨.

(٥) سورة الشورى ـــ آية ١٣.

(٦) دكتور أحمد بدر، الإعلام الدولي، ط١، ١٣٩٧هـ، مكتبة غريب بالقاهرة، ص ١٧، ١٨.

الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وأني أدعوك إلى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ونفراً معه من المسلمين فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله فقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى»[١].

وحامل الرسالة هو: «عمرو بن أمية الضمري وكان معروفاً في العرب بالنجدة، والشجاعة. واختلف في تأريخ اعتناقه للإسلام فقيل إنه أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وقيل إن إسلامه تمّ بعد بدر وأحد وهو ممن حسن إسلامهم[٢]، وكان الرسول «ﷺ» يبعثه في أموره، وأول مشاهده حادثة بئر معونة فأسرته بنو عامر وأطلق سراحه «عامر بن الطفيل» وتوفى في أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما[٣]».

وبهذا فإن هذا الصحابي الذي اختير من قبل الرسول «ﷺ» بناءً على قناعة من أنه سوف ينصح لله في عباده، لأن من استرعى شيئاً من أمور الناس ثم لم ينصح حرم الله عليه الجنة*، وبهذه التوجيهات الكريمة توجه «عمرو بن أمية الضمري» وسلم الكتاب إلى النجاشي وألقى أمامه البيان التالي:

«يا أصحمة، إن عليّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا وكأنا بالثقة بك منك لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه،

---

(١) الطبري محمد بن جرير الطبري، جـ٣، ص ٨٩.
الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلاف الراشد، ط٣، ١٣٨٩هـ، بيروت، ص ٧٥.
وصبح الأعشى، القلقشندي، جـ٦، ط١، عام ١٣٨٣هـ، المؤسسة المصرية العامة بالقاهرة، ص ٣٧٩، لم يذكر اسم الملك (الأصحم) ولا (سلم أنت) مع نقص وزيادة بعض الألفاظ.
والوفاء بأحوال المصطفى لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، جـ٢، ص ٧٣٤، مع زيادة ونقص في بعض الألفاظ وكذلك مخطوطة السيرة النبوية الشريفة للإمام الكازوني، ص ٢٣٣، وزاد المعاد لابن الجوزي، ص ٦٠ وأحمد زكي صفوت. جمهرة رسائل العرب ص ٤٠، وأسد الغابة، جـ١، ص ٦٢.

(٢) الدكتور أحمد عبدالرحمن عيسى، كتاب الوحي، ط١، ١٤٠٠هـ، دار اللواء بالرياض، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة، جـ٤، ص ٨٦.

* بديهية.

وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لايرد وقاض لايجور وفي ذلك وقع الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق النبي عليه الصلاة والسلام رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ماخافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر»[١] فأخذ النجاشي رسالة النبي «ﷺ» فوضعها على عينيه وهبط من سريره على الأرض تواضعاً ثم أسلم وشهد شهادة الحق.

وقال: لو كنت أتمكن من الوصول إليه لفعلت[٢]. ثم أدلى بالبيان الإعلامي التالي:

«أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأن العيان ليس بأشفى من الخبر[٣].

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٥]

وقال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٦].

وأجاب النجاشي على خطاب النبي «ﷺ» بتصديقه وإسلامه[٧] على يد جعفر بن أبي طالب.

جواب النجاشي إلى النبي «ﷺ»:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبحر.. سلام عليك يانبي الله

---

(١) السهيلي، الروض الأنف، جـ٦، ص ٣٨٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٥٨.

(٣) ابن الجوزي، زاد المعاد، المجلد الثالث، ص ٦٠.

(٤) سورة الأنعام ــ آية ١٢٥.

(٥) سورة الواقعة ــ الآيات ١٠؛ ١١؛ ١٢.

(٦) سورة المائدة ــ آية ٣٩.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٥٨.

ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام.. أما بعد فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض أن عيسى مايزيد على ماذكرت ثُفروقا[1]، وأنه كما قلت. وقد عرفنا مابعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأصحابه، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم ابن أبحر فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يارسول الله، فإني أشهد أن ماتقوله حق والسلام عليكم يارسول الله»[2].

وقيل إن النبي كتب له أكثر من كتاب حيث أمره في الكتاب الثاني أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وأمره أن يبعث إليه بمن قبله[3] من المسلمين المهاجرين وفعلاً لبى النجاشي النداء فزوجه أم حبيبة وأصدق عنه أربعمائة دينارٍ وأمر بجهاز المسلمين، ومايصلحهم وحملهم في السفن مع عمرو بن أمية الضمري ووضع كتابي النبي «ﷺ» في حق[4] من عاج وقال: لاتزال الحبشة بخير ماكان هذان الكتابان بين أظهرها[5].

والنجاشي كما نرى ذو إيمان قوي بحيث أعلن إسلامه ودعا قومه من ملأ وجنود للإسلام، ولم يجبرهم على الإيمان، واكتفى بالدعوة من غير ضغط أو إجبار[6]، انطلاقاً من تعاليم الله سبحانه وتعالى حيث قال: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾[8].

---

(١) الثفروق بضم الثاء وسكون الفاء: القمع الذي يلزق بالبسر وجمعه ثفاريق.

(٢) الدكتور محمد حميدالله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٧٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ط١، ص ٢٥٨.

(٤) حق بمعنى علبة.

(٥) نفس المرجع.

(٦) محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، جـ٣، ص ١٣٧.

(٧) سورة البقرة ــ آية ٢٥٦.

(٨) سورة هود ــ آية ٢٨.

وقال تعالى: ﴿**وما أنت عليهم بجبار**﴾[1].. لأن مواقف ملك الحبشة كلها مشرفة ابتداء من قبوله المهاجرين المسلمين، وإدارته العادلة لمناظرة التحدي بين المسلمين المهاجرين، وبين وفد قريش ومن ساندهم من أصحاب الملك نفسه، وفوز المسلمين بالانتصار الذي أيده وآزره النجاشي، وبذلك فهو عميق الإيمان بالإسلام لكنه غير مستعد لإكراه قومه على اعتناقه، وكأن لسان حاله يقول كما قال الله تعالى: ﴿**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾[2].

---

(١) سورة ق ــ آية ٤٥.

(٢) سورة يونس ــ آية ٩٩.

الآثار والدلالات الإعلامية في رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشي

١ ـ بدأ النبي الرسالة باسم اللّه الذي لا معبود سواه قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

٢ ـ وذكر النبي نفسه بالإفراد ووضح وظيفته أنه رسول الله والنجاشي على علم بذلك. قال جعفر بن أبي طالب في لقاء المناظرة برئاسة النجاشي وإشرافه «بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف، نسبه وصدقه وأمانته، فدعانا لتوحيد الله، وأن لانشرك به شيئا».

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ﴾[4].

٣ ـ ذكر النجاشي بما يجب وهو كونه ملك الحبشة ليوضح له عظم مسؤوليته تجاه قومه.

٤ ـ الثناء على النجاشي لا من موقف الضعف وإنما تقديراً لموقف الرجل من المسلمين بالحبشة ومؤازرتهم أثناء محنتهم ومناصرتهم بعدم طردهم من بلاده رغم نصح وهدايا قريش وأعوانه، وإيمانه أمام الملأ في مؤتمر التحدي الذي أقيم تحت رعايته بصدق تعاليم الإسلام، حيث قال: «إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة»[5].

---

(١) سورة آل عمران ــ آية ١٨.

(٢) سورة البقرة ــ آية ١٦٣.

(٣) سورة الأعراف ــ آية ١٥٧.

(٤) سورة آل عمران ــ آية ١٤٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ٨١.

٥ ــ أعلن الرسول «ﷺ» صدق رسالة عيسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[٣].

٦ ــ أثنى النبي «ﷺ» على أطهر النساء السيدة مريم أم المسيح عليه السلام بما هي أهل له. قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[٤].

٧ ــ دعوة النجاشي صراحة لتوحيد الخالق الذي لاشريك له، ومواصلة عبادة التوحيد، كما طلب منه أن يتبعه ويؤمن برسالته انطلاقاً من معرفة النبي «ﷺ» أن ذلك الملك لديه استعداد للإيمان بدعوة الرحمن الواحد الأحد لمواقفه الكريمة السابقة تجاه المسلمين، وعقيدة التوحيد. قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٧] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[٩].

---

(١) سورة آل عمران ــ آية ٥٩.

(٢) سورة مريم ــ آية ٣٤.

(٣) سورة النساء ــ آية ١٧١.

(٤) سورة التحريم ــ آية ١٢.

(٥) سورة النحل ــ آية ١٢٥.

(٦) سورة الحج ــ آية ٦٧.

(٧) سورة آل عمران ــ آية ١٩.

(٨) سورة النساء ــ آية ١١٦.

(٩) سورة الصف ــ آية ٦.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾(2).

٨ ــ طلب من النجاشي إكرام من استجاروا به من ظلم قريش وهم «جعفر بن أبي طالب والعصبة المسلمة، وذلك لقول الرسول «ﷺ» لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكاً لايظلم أحد عنده»(3).

٩ ــ أمره الرسول «ﷺ» بترك الطغيان بقوله: (ودع التجبر) قال تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾(4).

والنبي «ﷺ» يبصره بما هو عليه من تصرفات تتسم بالظلم. قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾(5) وتأكيداً لاكرام النجاشي كرر الرسول «ﷺ» دعوته في الرسالة، وكذلك جنوده لتوحيد وعبادة الله. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾(6).

١٠ ــ أعلم النبي «ﷺ» النجاشي وجنوده أنه «ﷺ» أدى ماعليه بدعوتهم ونصحهم باعتناق الإسلام واتباع الرسول «ﷺ» لما في ذلك من سلام وأمن لهم في الدنيا ونعيم الآخرة.

---

(١) سورة المائدة ــ الآيتان ١٥، ١٦.
(٢) سورة الصف ــ آية ٩.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ٧٦.
(٤) سورة المائدة ــ آية ٣٩.
(٥) سورة الغاشية ــ الآيتان ٢١، ٢٢.
(٦) سورة الشورى ــ آية ١٣.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

١١ ــ ختم الرسول «ﷺ» رسالته بالسلام على الذين يتبعون الهدى فقط. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾[3].

الإسلام ينقذ من يعتنقه من الخزي في الدنيا ومن العذاب في الآخرة وأما الذين ينتظرون مخلصاً آخر وهم اليهود والنصارى إنما هم واهمون لأن محمدًا خاتم الأنبياء، وأن المنقذ هو الله الواحد الأحد وليس البشر مهما ارتفعت منزلتهم.

١٢ ــ الإسلام أمانة شخصية في عنق من يتبعه، والنبي «ﷺ» بعد إبلاغه للدعوة غير مسؤول عن الذين لايقبلونها.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[6].

١٣ ــ رسالة موجزة (برقية) شرحت عصب العقيدة بصورة محببة (فن الدبلوماسية) قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[7].

---

(١) سورة آل عمران ــ آية ٥٢.

(٢) سورة الصف ــ آية ٩.

(٣) سورة غافر ــ آية ٢٨.

(٤) سورة الحج ــ آية ٤٩.

(٥) سورة المائدة ــ آية ٩٩.

(٦) سورة البقرة ــ آية ٢٥٦.

(٧) سورة النحل ــ آية ١٢٥.

(المبحث الرابع)

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط

بعث «ﷺ» حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط[٢] سنة ست من الهجرة وبعث معه كتاباً يدعوه إلى الإسلام[٣] وقبل الحديث عن رسالة النبي «ﷺ» الإعلامية بدين الإسلام إلى حاكم مصر وشعبها الذي يعد بالملايين في ذلك العصر، والذين سارعوا إلى اعتناق دين التوحيد بعد الفتح العربي الإسلامي بحيث أصبحوا قوة لها وزنها في كل الأمور ذات الأهمية في تاريخ الجهاد الإسلامي الواسع وفي حضارته التي لها فضل لا ينكر على الإنسانية. يجدر بنا أن نعرف ولو شيئاً موجزاً وواضحاً عن أوضاع ذلك الشعب العظيم وعقيدته وأرضه.

وكما جاء في معجم البلدان لياقوت أن مصر نسبة إلى مصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام وأرض مصر أربعون ليلة في مثلها، طولها من الشجرتين اللتين كانتا بين رفح والعريش إلى أسوان. وعرضها من برقة إلى أيلة، وكانت منازل الفراعنة[٤]

---

(١) وهو لقب جريج بن مينا القبطي كبير القبط على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)، دائرة المعارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، المجلد التاسع، ص ٣١٧.

وجريج بن مينا معين على مصر من قبل هرقل كما جاء في الحلبية، جـ٣، ص ٢٩٧، ويقول الشيخ علي بن حسين الأحمدي، ص ٩٨ المقوقس لقب لكل من ملك مصر والاسكندرية كفرعون وكسرى وكان الرجل نصرانياً وتابعاً لملك الروم، وفي معجم البلدان أن مصر فتحت في عهده وساعد المسلمين.

(٢) القبط : ورد في السيرة الحلبية أن القبط هم أهل مصر والاسكندرية، وورد في دائرة المعارف القرن العشرين، ص ٣١٣، ٦١٢ أن القبط اسم يطلق على مسيحيي مصر وهم ذرية المصريين القدماء ولم تطلق الكلمة على أهلها إلا عندما دخلوا في الديانة المسيحية وغلبت عليهم هذه التسمية يوم اعتبر في مصر سنة ٣٨١م الدين المسيحي ديناً رسمياً للأمة المصرية وكان عدد القبط عند دخول العرب إليها سنة ٦٤٠م بضعة ملايين وأخذ عددهم يتناقص لدخولهم الإسلام حتى لم يبقَ منهم اليوم إلا نسبة قليلة بالنسبة لعدد المسلمين.

(٣) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، جـ١، ص ٤٢.

(٤) الفراعنة: وفي عهد الملكة زالفا هي ثانية ملكة لمصر بعد الملكة حوربا ابنة طوطيس بن ماليا من نسل ولد نوح عليه السلام. في عهد تلك الملكة طمع العمالقة وهم الفراعنة في أرض مصر وكانوا أقوى الأمم وأعظمهم ملكاً وجسوماً، وهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح فقام الوليد بن دومز وهو أكبر الفراعنة بغزو مصر وانتصر عليها ورضوا بأن يملكوه عليهم، معجم البلدان، ص ١٣٩، جـ٥.

واسمها باليونانية مقدونية[1] وشعب مصر جزء من الأصل السامي الذي منه العرب وبربر المغرب وغيرهم[2].

وقال عنها عبدالرحمن بن عمرو بن العاص الفاتح الإسلامي المشهور لمصر وغيرها «هي اليوم أطيب الأرضين تراباً وأبعدها خراباً لن تزال فيها بركة مادام في الأرض إنسان». وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[4] وقال تعالى : ﴿وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[5].

وقال الصديق يوسف عليه السلام لملك مصر ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[6] ولم يذكر الله جل شأنه في القرآن الكريم مدينة بعينها بمدح غير مكة ومصر.

قال تعالى : ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾[7]. وقال : ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾[8]. وقال : ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[9].

وقال : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾[10].

وسمى الله ملك مصر العزيز حيث قال : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾[11] وقالوا ليوسف حين ملك مصر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾[12].

---

(١) معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، المجلد الخامس، بيروت عام ١٣٧٦هـ، بدار صادر ودار بيروت، ص ١٣٧.

(٢) محمد فريد وجدي، دائرة معارف ق٢٠، المجلد التاسع، الطبعة الثالثة عام ١٩٧١م، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان.

(٣) نفس المرجع السابق رقم ٢.

(٤) سورة البقرة ــ آية ٢٦٥.

(٥) سورة المؤمنين ــ آية ٥٠.

(٦) سورة يوسف ــ آية ٥٥.

(٧) سورة الزخرف ــ آية ٥١.

(٨) سورة البقرة ــ آية ٦١.

(٩) سورة يوسف ــ آية ٩٩.

(١٠) سورة يونس ــ آية ٨٧.

(١١) سورة يوسف ــ آية ٣٠.

(١٢) سورة يوسف ــ آية ٨٨.

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾[1]

ومن مفاخر مصر وشعبها على مر الزمان وكر العصور أن :

ــ مارية القبطية المصرية هي أم إبراهيم ولد الرسول «ﷺ».

ــ هاجر أم إسماعيل عليه السلام مصرية ومحمد «ﷺ» من نسل إسماعيل وهي بالتالي أم محمد «ﷺ».

قال النبي «ﷺ» موصياً بأهلها خيراً «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم صهراً».

قيل للخليفة العربي المسلم هارون الرشيد: مصر خزانة أمير المؤمنين التي يحمل عليها حمل مؤونة ثغوره وأطرافه، ويقوت به عامة جنده ورعيته مع اتصالها بالمغرب ومجاورتها أجناد الشام. مع العلم أنه هاجر إليها عدد من الأنبياء وولدوا ودفنوا بها منهم الصديق يوسف، وموسى وهارون، والأسباط وتوجد بها نخلة مريم عليها السلام، ووفد إليها عدد من صحابة رسول الله «ﷺ» ومات بها عدد منهم عمرو بن العاص، عبدالله بن الحارث الزبيري، وعبدالله بن حذافة السهمي، وعقبة بن عامر الجهني وغيرهم[2].

أما سكان مملكة المقوقس وقت استقباله لمبعوث النبي «ﷺ» فكانوا خليطاً من الأجناس : قبط وروم وعرب وبربر وأكراد وديلم وأرمن وحبشان إلا أن غالبيتهم قبط. والسبب في وجود هذه الأصناف من الناس المتعددة الأجناس تداول الدول عليها بعد حروب من العمالقة واليونانيين والفرس والروم والهكسوس ثم العرب[3] بعد ذلك.

وبالنسبة إلى عقائد القوم فقديماً كانوا عبّاد أصنام وكواكب وحيوانات وحتى فرعون ادّعى الألوهية فعبدوه.

قال تعالى : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾[4].

---

(١) سورة يوسف ــ آية ٢١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، ص ١٣٨.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، ص ١٤٠.

(٤) سورة الشعراء ــ الآيتان ١٠، ١١.

وبعد محاورة إعلامية أو مناظرة بين نبي مرسل، وهو موسى وإنسان متأله جبار هو فرعون : قال فرعون لموسى : ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1] فأدلى موسى عليه السلام بالبيان الالهي الآتي : قال تعالى : ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[2].

واستمرت الحرب الباردة وهي حرب الإعلام بين موسى عليه السلام وبين الطاغوت حتى أنه أحرجه أمام زبانيته. ولما لم يجد جواباً شافياً على بلاغات الله الموحى بها إلى موسى قال رداً على أحد البيانات التي أتى بها موسى عن الخالق جلت قدرته وهي ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3].

أجاب فرعون : ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[4].

أما عن ديانة المقوقس وشعبه عند وصول رسالة الدعوة الإسلامية إليهم فقد كانت المسيحية، علماً بأن النصرانية دخلت مصر عندما وفد إليها مرقس في منتصف القرن الأول الميلادي حيث بشر بالديانة المسيحية وتبعه نفر قليل وشيدوا لهم كنيسة عام ٩٨م، وكان مذهبهم الأرثوذكسية[5].

وفي القرن السابع الميلادي كان هؤلاء في حالة لا يحسدون عليها بسبب تحديات إخوانهم رجال الدين والأباطرة الرومان الذين يختلفون معهم في بعض الأمور المتعلقة بالدين.

يقول المؤرخ الكبير (السيرتوماس. و. أرنولد) ومن المرجح أن تأثير المسيحية في السواد الأعظم من أهل مصر كان قليلاً في القرن السابع، وأن التعليمات النظرية التي استغلها زعماؤهم في إثارة شعور الكراهية والمقاومة في وجه الحكومة البيزنطية، كان يمكن أن يدركها عدد قليل من الناس، كما أن سرعة انتشار الإسلام في الأيام الأولى من الفتح العربي قد تكون راجعة إلى عجز الديانة المسيحية، وعدم صلاحيتها للبقاء،

---

(١) سورة الشعراء ــ آية ٢٣.

(٢) سورة الشعراء ــ آية ٢٤.

(٣) سورة لشعراء ــ آية ٢٨.

(٤) سورة الشعراء ــ آية ٢٩.

(٥) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد التاسع، ص ٦١٧، ٦١٨. والأرثوذكية لفظة يونانية مركبة من (أرثو مستقيم وذكس) رأى ومعناها استقامة الرأي أي اتباع العقيدة المسيحية الصحيحة.

أكثر من أن تكون راجعة إلى الجهود الظاهرة التي قام بها الفاتحون لجذب الأهلين إلى الإسلام، وأن الأساس اللاهوتي[١]. لبقاء اليعقوبيين[٢] طائفة منفصلة، والشعائر التي جاهدوا في سبيل الاحتفاظ بها وقتاً طويلاً، ودفعوا ثمناً غالياً في هذا السبيل، قد اجتمعت في عقائد كانت صيغتها أشد ماتكون غموضاً وإبهاماً من الناحية الميتافيزيقية[٣].

ولاشك أن كثيراً من هؤلاء قد تحولوا إلى الإسلام، وقد أخذت الحيرة منهم كل مأخذ، وسيطر على نفوسهم الضجر والإعياء من ذلك الجدل السقيم الذي احتدم من حولهم إلى عقيدة تتلخص في وحدانية الله اليسيرة الواضحة ورسالة نبيه محمد[٤] «ﷺ».

وبسبب سوء تصرفات الرومان المتمثلة في الاضطهاد وحرق الكتب، وامتداد أيدي العبث والفساد إلى العقيدة.. كل هذه مجتمعة مع غيرها جعلت مصادر ديانة المسيحيين يعتريها الشك والريب، وتبعاً لذلك نفذت الأهواء والأساطير إلى القلوب.

قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٥]. وأخذت تشوه العقيدة من غير أن يعقب معقب بدليل ثابت أو سند معتمد، ولقد كان جمهور النصارى يقدس المسيح أعظم تقديس حيث كانت قوة المبشر البلاغية نتيجة لذلك فكلما يزيدون في تقديس المسيح يزيدون أحاديثهم قبولاً وتأثيراً لدى العامة، وبعد ذلك تحولوا من التقديس المعقول إلى الغلو المرذول فطغا غلوهم حتى جعلوه إلهاً[٦]. جاء على لسان عيسى عليه السلام موجهاً كلامه للشعب «يقترب إلي هذا الشعب بفمه ويقرب إلي بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس»[٧].

---

(١) اللاهوت: الله كما يقال الناسوت للإنسان، وعلم اللاهوت علم يبحث عن العقائد المتعلقة بالله. انظر معجم الوسيط، جـ٢، ص ٨٤٧.

(٢) اليعقوبيين.. نسبة إلى آل يعقوب البرادعي.

(٣) الميتافيزيقا: هي علم ماوراء الطبيعة.

(٤) السيرتوماس أرنولد، الدعوة الإسلامية، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٥) سورة البقرة — آية ٤٤.

(٦) محمد أبو زهرة، النصرانية، ط٤، ١٣٩٢هـ، دار الفكر العربي، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٧) إبراهيم خليل أحمد، ص ٤٥ (إنجيل متى ٥-٨-٩).

وطبقاً لما سبق وللخلافات المذهبية بين رجال الكنائس في الشرق والغرب فقد نزل بمصر القبطية العقيدة البلاء، ولم ينقذهم إلا الفتح الإسلامي[1].

وكما يلاحظ فإن التمادي الذي جنح إليه رجال الدين قد شوّه العقيدة، فبدلاً من اتباع العقيدة الصحيحة التي هي الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الناس من الظلمات إلى النور، ونشر السلام والأمن في ربوع العالم، أخذ معظم رجال الكنيسة يسعون إلى تحقيق مطالبهم الدنيوية باستدرار عواطف العامة، بأوهام رخيصة. وهذا بدوره يؤدي إلى الانحرافات المخزية التي وصمت تاريخ الكنائس، سواء في الغرب أو الشرق مما نفّر الناس واتجهوا بقلوبهم لترقب ظهور المخلص نبي آخر الزمان لإنقاذهم من الفراغ الروحي المطبق الذي حاق بهم نتيجة للغلو المفرط الذي فرضه رجال الكنيسة في تأليه عيسى المسيح وأمه. قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2]. وتقديس جماعات لا حصر لها من القديسين حتى وصل بهم إلى درجة التأليه قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3]. ولعن رجال الدين بعضهم بعضاً واضطهد بعضهم بعضاً، وحرم البعض منهم الآخرين من الكنيسة.

قال تعالى مصوراً غلوهم: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[4].

هذه حالة مصر وأقباطها قبل البعثة المحمدية لإنقاذ العالم كله من الوهدة التي وقع فيها بسبب انحراف العقائد، وما نتج عنه من الفراغات الروحية التي عانى منها إنسان ذلك الزمان.

قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ

---

(١) محمد أبو زهرة، النصرانية ط٤، ١٣٩٢هـ، دار الفكر العربي بالقاهرة، ص ١٨٢.

(٢) سورة الأنبياء ــ آية ٢٢.

(٣) سورة التوبة ــ آية ٣١.

(٤) سورة النساء ــ آية ١٧١.

بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١).

وقال جل شأنه: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾(٢).

وأنباء الرسالة المحمدية قد ملأت الدنيا بوحدانيتها لخالقها، ونبذها لكل عقائد الوثنية والشرك والمجوسية على مدار كفاح تسع عشرة سنة تخللها ملاحم بين الموحدين وأعداء التوحيد من وثنيين ومشركين وهجرة إلى الحبشة المسيحية، وهجرة واسعة إلى المدينة المنورة، وتجار ينقلون أخبارها، وأجناس شتى من روم وأحباش وعرب ومجوس وغيرهم يبثون معلوماتهم عنها، ورسائل ووفود يحملون تعاليمها إلى الآفاق. وكان المقوقس عظيم القبط من المترقبين الذين يستشفون الأخبار عن صاحب الدعوة وما أتى به، لكون المقوقس من أهل الكتاب الذين يترقبون المخلص الذي بشّر به رسولهم عيسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ ﴾(٣). وهذا مصداق لما جاء في كتب أهل الكتب المقدسة قال الملاك للسيدة هاجر أم إسماعيل عندما أخذها إبراهيم عليه السلام مع ولدها إلى أرض الحجاز: «لأني سأجعله أمة عظيمة»(٤) يعني إسماعيل عليه السلام جدّ رسول الله «ﷺ».

ثم تعزية الله جل شأنه لإبراهيم الخليل عليه السلام عندما رأى ابنه البكر إسماعيل في منأى عنه لحكمة أرادها الله ليبعث من صلبه خاتم الأنبياء والمرسلين.

وبشغف المترقب استقبل المقوقس جماعة من تجار العرب من ثقيف وفيهم المغيرة بن شعبة، وكان ذلك قبل إسلامه، فقال لهم عظيم القبط كيف خلصتم إليّ وبيني وبينكم محمد وأصحابه.. ؟ «قالوا لصقنا بالبحر، قال فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه ؟ قالوا ماتبعه منا رجل واحد، قال فكيف صنع قومه ؟ قالوا اتبعه أحداثهم، وقد لاقاه من خالفه من مواطن كثيرة.

---

(١) سورة البقرة ــ آية ٢١٣.

(٢) سورة البقرة ــ آية ٨٨.

(٣) سورة الصف ــ آية ٦.

(٤) إبراهيم خليل، محمد في التوراة والانجيل، ص ١٠١.

قال فإلام يدعو ؟ قالوا : إلى عبادة الله وحده، ونخلع ماكان يعبد آباؤنا ويدعو إلى الصلاة والزكاة ويأمر بصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر فقال المقوقس : هذا نبي مرسل إلى الناس كافة، ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه، وقد أمرهم بذلك عيسى، وهذا الذي تصفون منه بعث به الأنبياء من قبله، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه إلى منتهى الخف والحافر، فقال وفد ثقيف : لو دخل الناس كلهم مادخلنا معه فنغض[2] المقوقس رأسه وقال أنتم في اللعب[3][4].

وهكذا أصبح ملك القبط على علم وبيّنة بصاحب الدعوة «ﷺ» عندما قال : هذا نبي مرسل إلى الناس كافة ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى.

والمقوقس حينما وجّه بيانه هذا لوفد ثقيف ومن حضر من رجال دولته إنما كان على بينة من التعليمات والبشارات الموجودة في كتبهم المقدسة.

قال تعالى : ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[5].

ثم قال المقوقس لوفد ثقيف المتعنت «وهذا الذي تصفون منه، بعث به الأنبياء من قبله، وستكون له العاقبة، حتى لا ينازعه أحد إلى منتهى الخف والحافر. قال رسول الله «ﷺ» في رسالته إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وغيره من بعض أمراء قبائل العرب : «واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر»[6].

ووصل حامل رسالة الرسول «ﷺ» إلى الاسكندرية الواقعة على شاطىء بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) وحامل الرسالة هو : حاطب بن أبي بلتعة اللخمي.. وهو أحد الستة[7] الذين بعثهم الرسول «ﷺ» إلى ملوك وقادة العالم لاعلامهم بدين الإسلام. وحاطب رضي الله عنه هو الذي لبى نداء الرسول «ﷺ» عندما قال : «أيها

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٠١.

(٢) أنغض : هزّ رأسه.

(٣) اللعب : الاشتغال بشيء يفيد قليلاً ويضر كثيراً.

(٤) علي بن حسين الأحمدي، مكاتيب الرسول، ص ١٠٣.

(٥) سورة الأعراف — آية ١٥٧.

(٦) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، جـ١، ص ٤٨.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٦٠.

الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا إلى صاحب مصر وأجره على الله. فوثب إليه حاطب رضي الله عنه، وقال أنا يارسول الله، قال: بارك الله فيك ياحاطب»[1].

ورسول رسول الله «ﷺ» صحابي مشهور فقد شهد بدراً[2]، وهو ممن غرس فيهم الرسول قوة الإيمان، والجرأة في قول الحق، وكان حاطب ذكياً وفطناً حيث تمكن بقوة إيمانه وشجاعته ومعرفته لأبعاد العقيدة الإسلامية بإيجازه المقنع، من نقد عقيدة القوم وبيان بطلان ماهم عليه بالحجة المفحمة مما يدل دلالة واضحة على عمق فهم هذا الصحابي لواجبات المهمة التي بعثه من أجلها النبي «ﷺ» لتحقيقها.

قال حاطب رضي الله عنه: «فجئته بكتاب رسول الله «ﷺ» فأنزلني في منزل، فأقمت عنده ليالي ثم بعث إلي وقد جمع بطارقته»[3][4] فأدلى حاطب بالبيان الإعلامي الآتي موجهاً بلاغه للمقوقس بحضور رجاله.

قال: «إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك».

فقال المقوقس: «إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه». قال له حاطب: ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله فقد[5] ماسواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشد منهم عليه قريش وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى.

ولعمر الله ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل وكل نبي أدرك قوماً فهم أمته فالحق

---

(١) علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة النبوية، جـ٣، ص٢٩٥.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ١، ص ٣٦١، ٣٦٢.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام، جـ٤، ١٩٦.

(٤) البطريق: قائد من قواد الروم تحت امرته عشرة آلاف رجل جمعه بطاريق أو بطارقة. دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثاني، ص ٢٣٣.

(٥) فقد: أجمعت أمهات الكتب، الطبري، زاد المعاد أنها بهذه اللفظة وقد بحثت فلم أستدل على وجود لفظ غيرها.

الكاهن: كهن له يكهن كهانة ويكهن: قضى له بالغيب والكهانة هي استخدام الجن في معرفة الأمور الغيبية، وقد كانت هذه الصناعة معروفة عند العرب وأشهر كهان العرب سطيح الغساني. أكهن الناس، فقد أنذر بسيل العرم. انظر دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثالث، ص ٢٢٥.

عليهم أن يطيعوه وأنت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنّا نأمرك به».

فقال المقوقس : «إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن[1]. الكاذب، ووجدت معه آية[2] النبوة بإخراج الخبء[3] والإخبار بالنجوى[4]. سأنظر[5].

ثم قرأ رسالة الدعوة وإذ بها :

«بسم الله الرحمن الرحيم» من محمد بن عبدالله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط، ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»[6] آية ٦٤ـ آل عمران.

وقال حاطب رضي الله عنه فقال المقوقس : «إني سأكلمك بكلام فأحب أن تفهمه مني».. فقلت تكلم فقال :

«أخبرني عن صاحبك أليس هو نبياً.. ؟ فقلت : بلى وهو رسول الله «ﷺ». قال : فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده.. ؟ فقلت : عيسى

(١) الكاهن = كهن له يكهن كهانه ويكهن : قضى له بالغيب والكهانه هي استخدام الجن في الأمور الغيبية ، وأشهر كهان العرب : سطيح الغساني .

(٢) آية : علامة أو آية.

(٣) الخبء : ماخبيء، وخبء السماء القطر، وخبء الأرض النبات و (اختبأ) استتر كما جاء في مختار الصحاح، ص١٦٧ (المستور).

(٤) النجوى: تناجوا أي تساروا و(انتجاه) أي خصه بمناجاته والاسم النجوى.. مختار الصحاح، ٦٤٨.

(٥) ابن الجوزي، زاد المعاد، المجلد الثالث، ص ٦١، والسهيلي، ص ٥١٧، ٥١٨.

(٦) الإمام أحمد القسطلاني، مخطوطة المواهب اللدنية عام ١٠١٢، مكتبة الحرم النبوي الشريف، ص ٣٧٧.
ــ وصبح الأعشى للقلقشندي، جـ٦، ص ٣٧٨ ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ص ١٠٥ مع زيادة أو نقص في بعض الألفاظ لا تخل بالمعنى.
ــ أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي، فتوح الشام، جـ٢، ص ٣٩، وهناك اختلاف واضح في صيغة الرسالة كما في المراجع السابقة حيث فيه إيذان بالحرب والرسول لم يلجأ إلى ذلك الأسلوب في دعوته كما أن الألفاظ مختلفة عن كتب الرسول فقد جاء بالكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم من عند رسول الله إلى صاحب مصر أما بعد فإن الله أرسلني رسولاً، وأنزل عليَّ كتاباً قرآناً مبينا. وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني ويدخل الناس فيه، وقد دعوتك إلى الإقرار بوحدانيته تعالى، فإن فعلت سعدت، وإن أبيت شقيت والسلام».

بن مريم أليس هو نبياً ؟ قال : أشهد أنه رسول الله. قلت : حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله. قال : أنت حكيم جاء من عند حكيم هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد «ﷺ» وأبعث معك ببدرقة يبدرقونك إلى[1] مأمنك»[2].

يقول الإعلاميون يجب أن يتميز رجل الإعلام أو الدعاية بصفات خاصة منها :

١ ــ أن يكون محل ثقة الفرد أو الجماعة الذي توجه إليه المعلومة.

٢ ــ أن يتصف بالتقدير والتجربة والصدق.

٣ ــ أن يكون متخصصاً فيما يدعو إليه أو يريد تحقيقه بعلمه وتجاربه[3].

بالنسبة إلى الفقرة الأولى من هذه الشروط اللازمة لنجاح العملية الإعلامية فقد كان المقوقس يشعر نحو النبي محمد «ﷺ» بالثقة والصدق، انظر إلى محاورته مع وفد ثقيف وخلاصة رأيه حينما قال : «هذا نبي مرسل إلى الناس كافة ثم تعال معي وتمعن في ملاحظته على بيان رسول رسول الله «ﷺ» حيث أجاب بإخلاص (إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والأخبار بالنجوى سأنظر).

هذه الإجابات يستفاد منها أن الرجل قد عرف أن محمداً مرسل من عند الله، وأنه نبي آخر الزمان، ثم مع ذلك نجده لايزال يكابر لأنه عزّ عليه أن يكون النبي من العرب حيث قال : قد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام[4].

وهناك تخرج الأنبياء من قبله فأراه قد خرج من العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لو تطاوعني في اتباعه[5].

٢ ــ وحول الشرط الثاني فعلى الرغم من أن وفد ثقيف خصم لدود ضد تعاليم

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام، جـ٤، ص ٩٦.

(٢) بدرقة : فرقة من الجند مهمتها حماية من يوكل إليها حمايته، ويبدرقون بمعنى يحمونه من الأعداء.

(٣) دكتور محمد عبدالقادر حاتم، الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، ص ١٠٢.

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ط١، ص ٢٦٠.

(٥) أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكيم، فتوح مصر وأخبارها، إعادة طبعة بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد، ص ١٤٧.

الرسالة المحمدية حيث قال : «لو دخل الناس كلهم ما دخلنا معه». إلا أن ذلك لم يمنعهم أن يقولوا الحق فيما يدعو إليه محمد «ﷺ» حيث أنهم أجابوا المقوقس على استفساره (محمد يدعونا أن نعبد الله وحده ويدعو إلى الصلاة والزكاة). ونتيجة لمحاورة المقوقس مع مبعوث الرسول «ﷺ» أمام بطارقته (والتي استطاع مبعوث رسول الإسلام أن يحقق فيها كسباً (نصراً) إعلامياً لدين التوحيد في أرض الشرك عندما سلم المقوقس أمام أصحابه بقوة حجة رسول الرسول، وانتصاره عليه في الوقت الذي أراد المقوقس إحراجه). قال المقوقس معترفاً بصدق ما يدعو إليه محمد «ﷺ» مع أنه لم يعلن صراحة إعلان إسلامه ودعوة قومه واكتفى بقوله للمبعوث «أنت حكيم جاء من عند حكيم».

٣ ـــ أن يكون متخصصاً في مادته بعلمه وتجاربه، ومحمد «ﷺ» متخصص فهو مكلف من الخالق بنشر رسالة التوحيد.

قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾[١].

وقال جل شأنه : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٢].

وقال تعالى : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٣].

ومحمد «ﷺ» .. كما وصفه ربه ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾[٤]. ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[٥].

وكان حامل الرسالة على مستوى المسؤولية والمهمة التي بعث من أجلها، فقد كان طلق اللسان أثناء المحاورة، وترجمان سيده.. وقد أورد القلقشندي محاورة هي عبارة عن مناظرة تحد بين مبعوث الرسول وملك القبط حيث قال المقوقس لحامل الرسالة ما منعه (يقصد النبي) أن يدعو عليّ فيسلط عليّ !! قال له حاطب : مامنع عيسى أن يدعو على من أبى عليه أن يفعل ويفعل !!؟؟ فوجم ساعة ثم أعادها فأعادها عليه حاطب فسكت، ويروى أنه حين سأله

---

(١) سورة البقرة ـــ آية ١١٩.

(٢) سورة سبأ ـــ آية ٢٨.

(٣) سورة الفتح ـــ آية ٨.

(٤) سورة آل عمران ـــ آية ١٥٩.

(٥) سورة القلم ـــ آية ٤.

عن أمر النبي في حرب قومه، وذكر له أن الحرب تكون بينهم سجالاً. تارة له وتارة عليه قال له المقوقس : النبي يغلب ؟!! فقال له حاطب فالإله يصلب !! يشير بذلك إلى ما تزعمه النصارى أن المسيح عليه السلام صلب مع دعواهم فيه أنه إله[1].

والأمر يدعونا إلى الوقوف قليلاً عند بعض فقرات البيان الإعلامي التذكيري الذي ألقاه مبعوث الرسول بين يدي عظيم يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى.. فاعتبر بغيرك». قال تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[4] وكان الرجل الذي يزعم أنه إله هو فرعون مصر. قال تعالى على لسان موسى موضحاً لفرعون وملئه الرب الذي يعبدونه ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[5]. وانطلاقاً من الجبروت قال له فرعون ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾[6]. وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[7].

وقال الله سبحانه وتعالى مخاطباً موسى عليه السلام : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[8].

---

(١) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، جـ ٦ ط ١، عام ١٣٨٣هـ، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ص ٣٨٩.
(٢) سورة الأعلى ــ الآيتان ٩، ١٠.
(٣) سورة الغاشية ــ الآيات ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤.
(٤) سورة آل عمران ــ الآيتان ١٣٧، ١٣٨.
(٥) سورة الشعراء ــ آية ٢٨.
(٦) سورة الشعراء ــ آية ٢٩.
(٧) سورة الشعراء ــ آية ٤٤.
(٨) سورة طه ــ آية ٢٤.

وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾(١). وقال تعالى : ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾(٢). وقال تعالى : ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾(٣).

وقال جل شأنه : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾(٤).

وقال تعالى معللاً هلاك الأمم الفاسدة : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٥).

وقال مبعوث رسالة الإعلام مدعماً بلاغه بمصير الطاغية وفي نفس الوقت مبصراً المقوقس ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾(٦).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾(٧).

وكما يلاحظ فإن الفكرة (مضمون الرسالة الإعلامية) هي أساس العمل الإعلامي، والفكرة دينية وتخدم في ذات الوقت أغراضاً أخرى سياسية واقتصادية واجتماعية. ومن شروطها :

١ ـــ يجب اختيار أحسن وسيلة اتصال جماهيري لتوصيلها إلى المرسل إليه، واختار الرسول «ﷺ» الوسيلة وهي الكتاب وحامل الكتاب ومهمته الإجابة على كل نقطة وشرح كل ما تدعو إليه الدعوة وبذلك استخدم الرسول «ﷺ» وسيلتين إعلاميتين : إعلام تدويني.. وإعلام شفهي. ولاحظنا قوة نجاح الوسيلة الثانية حيث انتصرت بالإقناع والحجة على ملاحظات وتحديات المرسل إليه، والمرسل إليه سلّم بذلك. فضلاً عن نجاح الوسيلة الأولى وهي الكتاب.

---

(١) سورة البروج ـــ الآيتان ١٧، ١٨.

(٢) سورة الفجر ـــ آية ١٠.

(٣) سورة طه ـــ آية ٧٩.

(٤) سورة يونس ـــ آية ٧٥.

(٥) سورة الأنفال ـــ آية ٥٢، ٥٣.

(٦) سورة النازعات ـــ آية ٢٥.

(٧) سورة المزمل ـــ الآيتان ١٥، ١٦.

٢ ــ أن تكون الفكرة واضحة ومفهومة عند المرسل إليه. والمرسل إليه على علم تام بالفكرة قبل وصولها إليه عندما كان يتقصى أخبارها وهي في مهدها ومن خلال ما وصله من أخبارها عندما انتصرت على قريش في الحبشة وتأييد النجاشي لها.

والنجاشي ملك نصراني كما سلف ذكره وهو جار في الملك للمقوقس والرسالة واضحة للمرسل إليه أكثر عندما علم بها المقوقس من وفد ثقيف العربي حيث أيدها.

٣ ــ أن تتمكن من تحقيق التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب، وفعلاً حققت هذا المطلب من خلال مناقشة المقوقس لوفد ثقيف ومن خلال بيان مبعوث الرسول «ﷺ» حيث قال عظيم القبط : «أنت حكيم جاء من عند حكيم». وأن تكون الفكرة من الأمور التي يمكن تنفيذها. وهي تخدم مصالح المرسل إليه، وهو في حاجة إليها. وهذا الذي أكده المقوقس عندما طلب من حاطب مبعوث الرسول «ﷺ» أن يجتمع به على انفراد وليس عنده إلا الترجمان وسأله عن بعض الأمور المتعلقة بالدعوة وصاحبها «ﷺ» فقال خبرني عن أمور أسألك عنها فإني أعلم أن صاحبك قد خبرك حين بعثك قال لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال : إلام يدعو محمد.. ؟ قال إلى أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ونخلع ماسواه ويأمر بالصلاة. قال فكم تصلون.. ؟ قال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم. قال : من أتباعه.. ؟ قال : الفتيان من قومه وغيرهم. قال : فهل يقاتل قومه.. ؟ قال : نعم.

قال صفه لي.. قال : فوصفته بصفة من صفاته لم آت عليها قال : بقيت أشياء لم أرك ذكرتها في عينيه حمرة. قال : ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة، يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات. لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم، قلت هذه صفته ؟ قال : كنت أعلم أن نبياً قد بقي وقد كنت أظن أن مخرجه الشام وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني ولا أحب أن يعلم أحد بمحاورتي معك وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا هاهنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً فارجع إلى صاحبك»[1].

---

(١) أبو القاسم عبدالرحمن عبدالله بن الحكم، فتوح مصر وأخبارها، إعادة طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى ببغداد، ص ٤٦، ٤٧.

٤ ــ يجب أن تكون الدعوة المعروضة قد درست وناقشت الآراء المعارضة لها مقدماً مع تنفيذها وإظهار خطئها، وبذلك يتحصن المرسل إليه ضد أية فكرة[١] وهذا ما شرحه المبعوث بوضوح لا يلتبس عليه حيث ألزم المرسل إليه بالتسليم عندما قال المرسل إليه : النبي يغلب ؟!. فرد عليه المبعوث : الإله يُصلب !!، أي إذا كنتم لا تصدقون أن الأنبياء تهزم في بعض المعارك الجانبية فكيف تصدقون وتعتقدون أن إلهكم حسب زعمكم قد صلب.

ولاشك أن هذا الموقف قد جعل المقوقس يعيد حساباته ويطلب فوراً الاجتماع المغلق على انفراد بمبعوث الرسول ليستوضح الأمر بجلاء. والملاحظ أن نتائج تلك الجلسة المغلقة المتضمنة تأكده من نبوة محمد «ﷺ» وما أرسل إليه وأن دينه سيكون المسيطر المنتشر.

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[٢].

وقال جل شأنه : ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣].

ومن رأي الإعلاميين أنه من الأفضل أن تكون الفكرة متفقة مع المجتمع كله لأن المرسل إليه يحقق أفكاراً بشرط أن يسلك السلوك الذي ترضى عنه جماهير أمته التي يتولى أمرها. والمعروف أن الجماهير كانت على الديانة المسيحية إلا أنها ذاقت صنوفاً من الاضطهاد والتشريد وخسارة في الأموال والأرواح نتيجة لتعسف وتجبر إخوانهم في الدين من الرومان الذين حاولوا بكل الجهود أن يجبروهم على اعتناق مذهبهم، وهم رغم هذا في معظمهم سذج وروح الإيمان عندهم ليست عميقة ولا تقوم على أساس من الاعتقاد المتين نظراً لافتراءات رجال الكنيسة وما أدخلوه على العقيدة من أساطير وطقوس شوهت الدين أكثر مما قوته في القلوب والنفوس لتحقيق أغراضهم الدنيوية.

---

(١) دكتور عبدالقادر حاتم، الإعلام والدعاية، نظريات وتجارب، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢) سورة التوبة ــ آية ٣٣.

(٣) سورة النحل ــ آية ٦٤.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(١).

لذلك فقد كانوا ينتظرون المخلص الذي ينقذهم مما هم فيه من عذاب ويخرجهم من دائرة مفرغة جعلتهم في دوامة من أمرهم فنزلت بهم، وبما يعتقدون من شرك، أسفل سافلين.

قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٤).

ويبدو أن المقوقس قد اقتنع شخصياً بشكل ظاهري بالدعوة إلى الوحدانية وأن محمداً «صلى الله عليه وسلم» هو الرسول المنتظر الذي بشرت به الكتب المقدسة من قبل التوراة والإنجيل.

قال تعالى : ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾(٥).

وقال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا

---

(١) سورة التوبة ــ آية ٣٤.

(٢) سورة الأعراف ــ آية ١٤٦.

(٣) سورة النحل ــ آية ٦٤.

(٤) سورة التوبة ــ الآيتان ٣٠، ٣١.

(٥) سورة النساء ــ آية ١٦٢.

﴿بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[1].

ورغم تصديق الرجل الظاهري إلا أنه كتب إلى الرسول «ﷺ» متلطفاً دون أن يعلن إسلامه فلننظر إلى إجابته :

كتب «لمحمد بن عبدالله من المقوقس سلام، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت وماتدعو إليه. وقد علمت أن نبياً قد بقي، وقد أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها. والسلام»[2].

وكان المقوقس يعتقد أن النبوة لا تظهر إلا في بلاد الشام حسب قوله (وقد أظن أنه يخرج بالشام) وكأن الشام مكان مخصص لظهور الأنبياء وأن النبوة من نسل إسحاق. قال تعالى : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾[3].

---

(١) سورة الشورى ــ آية ١٣.

(٢) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، الطبعة الثالثة، عام ١٣٩٩هـ، ص ١٠٧ وجمهرة رسائل العرب للدكتور أحمد صفوت، جـ١، ص ٤٣، والسيرة الحلبية، جـ٣، ص ٢٩٦، ٢٩٧، والواقدي، فتوح الشام، حـ٢، ص ٤٣ حيث جاء فيها «باسمك اللهم من المقوقس إلى محمد أما بعد فقد وصل لي كتابك وفهمته وأنت تقول إن الله أرسلك رسولا وفضلك تفضيلا، وأنزل عليك قرآنا مبينا، فكشفنا يامحمد خبرك فوجدناك أقرب داعٍ إلى الله وأصدق من تكلم بالصدق ولولا أني ملكت ملكاً عظيماً لكنت أول من آمن بك لعلمي أنك خاتم النبيين وإمام المرسلين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته إلى يوم الدين». قال وسلم الكتاب والهدية إلى حاطب وقبّله بين عينيه، وأنه قال لحاطب بالله عليك قبّل بين عيني محمد عني هكذا».

ــ الجاريتان : مارية بنت شمعون اختارها الرسول «ﷺ» لنفسه وولدت له ابنه إبراهيم وأختها سيرين حيث أهداها إلى حسان بن ثابت الشاعر المشهور وأنجبت له عبدالرحمن بن حسان، والجاريتان من أهل حصين من كورة أنصنا، وقيل إن عدد الجواري أكثر من أربع كما جاء في الكامل لابن الأثير، جـ٢، ص ٢١١.

ــ وأهدى له بغلة شهباء سمّوها الدلدل وحماراً أشهب سمّوه يعفور وثياباً من قباطي مصر. وعسلاً من عسل بنها. كما جاء في فتوح مصر وأخبارها لابن عبدالحكيم، ص ٤٨.

وأضاف السهيلي أن من ضمن الهدايا غلاماً اسمه مأبور، وقدحاً من قوارير كان يشرب به النبي «ﷺ» وأرسل مع الهدية طبيباً فقال له النبي: ارجع إلى أهلك «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع». انظر: الجمهرة، جـ١، ص ٤٣.

(٣) سورة يونس ــ آية ٢.

وذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى أن المقوقس أخذ كتاب رسول الله «ﷺ» فقرأه وقال خيراً فجعله في حُق[1] من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته وكتب إلى النبي : «قد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وقد أهديت لك كسوة وبغلة تركبها». ولم يزد على هذا ولم يسلم.

فتقبل رسول الله هديته وقال النبي «ﷺ» : «ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه»[2]. والمقوقس كما يلاحظ من إشارة النبي «ﷺ» خبيث ماكر مراوغ تأكد من ظهور النبي وأن مادعا إليه هو مذكور عندهم في كتبهم المقدسة ولا يوجد شك في أن متابعة الرجل للأحداث في شبه جزيرة العرب بخصوص الدعوة الإسلامية والنبي «ﷺ» من خلال سؤاله لوفد ثقيف أو من محاوراته مع مبعوث الرسول «ﷺ» ومن إجاباته لتدل كلها على أن الرجل عالم بما تحتويه كتبهم المقدسة من بشارات بظهور دين التوحيد الذي بشر به موسى وعيسى عليهما السلام.

فقد جاء على لسان موسى عليه السلام «يقيم الرب إلهك من وسطك، من إخوتك مثلي له تسمعون»[3].

وقال عيسى عليه السلام للحواريين : «:إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم لكن لا تستطيعون الآن أن تتحملوا وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية»[4].

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[5].

وقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[6]. وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

---

(١) حُق : علبة.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) إبراهيم خليل أحمد، محمد في التوراة والانجيل والقرآن، ص ٣٨.

(٤) نفس المرجع، ص ٤٤.

(٥) سورة البقرة ــ آية ١٤٦.

(٦) سورة الأنعام ــ آية ٢٠.

﴿وَٱلْإِنجِيلِ﴾[1].

وتصرف المقوقس يدل على سوء عمله وعدم إعلام شعبه صراحة بصدق الدعوة المحمدية وقبولها واعتناق الإسلام دينا والاعتراف بمحمد نبياً ليكون قدوة لقومه من الأقباط، ولكنه أخفى هذا خشية على سلطانة الدنيوي الزائل، وينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾[2]. قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]. وقال جل شأنه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4].

والمقوقس غالط نفسه ولم يسلم ولم يشرح لعامة الناس صدق الدعوة الإسلامية وأنها خاتمة. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[5].

ومقوقس الأقباط عالم بما أحدثه فرعون مصر وبنهايته السيئة وكذلك الأمم الأخرى ويعلم أن محمداً هو خاتم الأنبياء ومع ذلك تناسى هذا كله. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[6].

ورئيس الأقباط سأل عن الدين الإسلامي وعن النبي محمد «عليه الصلاة والسلام» ورغم تأكده من صدق نبوة محمد «ﷺ» إلا أنه لم يؤمن بها قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[7]. وقال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[8].

والمقوقس خبيث ماكر خداع عندما أرسل الهدايا ولم يسلم وقال تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[9].

---

(١) سورة الأعراف ــ آية ١٥٧.
(٢) سورة طه ــ آية ٧٩.
(٣) سورة القصص ــ آية ٨٣.
(٤) سورة الزمر ــ آية ٢٢.
(٥) سورة الزمر ــ آية ٦٠.
(٦) سورة الحج ــ آية ٤٦.
(٧) سورة المدثر ــ الآيات ١٨، ١٩، ٢٠.
(٨) سورة عبس ــ آية ١٧.
(٩) سورة الرعد ــ آية ٣٣.

الآثار والدلالات الإعلامية المستفادة من رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط

١ ــ بدأها صلوات الله وسلامه عليه بالإعلام برسالة التوحيد بدليل (بسم الله الرحمن الرحيم) فالله سبحانه وتعالى عدل كله ولا ظلم في رحابه أبداً (إنه الرحمن الرحيم) ورحمته أحاطت بكل شيء، فالاندفاع إلى الله بالرجاء وقت الضراء، والشكر وقت السراء من صفات من يعتنق الإسلام، لأن دين التوحيد يحرر معتنقه من خوف الفقر، وعبودية المناصب، ورهبة السلطان، وأن الحياة الفانية متصلة بالله القادر الرحيم.

وقد أثبت القرآن الكريم والمبعوث الأمين وحدانية الخالق المطلقة لأن طريقة انتظام المخلوقات في طابع واحد سيؤكد أن موجدها واحد[١] قال تعالى: ﴿**شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ... إلى قوله لآيات لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[٣].

حكمة منه «صلى الله عليه وسلم» ذكر اسمه مجرداً وأنه عبدالله قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «الناس سواسية كأسنان المشط»[٤] لأن الإسلام ينهى عن تعظيم الشخص لذاته ويبين أن الكل من ذرية آدم وحواء. قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[٥]. وقال

---

(١) الدكتور أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية .. أصولها ووسائلها، دار الكتاب المصري بالقاهرة، ودار الكتاب اللبناني ببيروت، ص ٣٢، ٣٨.

(٢) سورة آل عمران ــ آية ١٨.

(٣) سورة البقرة ــ الآيتان ١٦٣، ١٦٤.

(٤) حديث شريف.

(٥) سورة الحجرات ــ آية ١٣.

تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[1]. وقال تعالى :﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾[2].

٢ ــ (الإعلام بأن محمداً رسول الله) :

قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾[3]. وقال جل شأنه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[4]. وهو سبحانه يصطفي من الملائكة ومن البشر رسلاً كما قال : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[5].

وهو جل شأنه يعلم حيث يجعل رسالته كما قال تعالى :﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[6].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴾[7] وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[8].

ذكر وظيفة المرسل إليه بصورتها الدنيوية الرفيعة دون ممالأة بدليل «سلام على من اتبع الهدى». وذلك لإظهار حجم المسؤولية الكبيرة الموكولة إلى المقوقس فهو عظيم القبط وأنه ملك قومه وهو مسؤول عنهم إذا اتبع الهدى اتبعوه وإذا استمر على شركه فلن يكون عرضة للعذاب عن نفسه فقط وإنما يتحمل إثم أتباعه من الأقباط.

قال تعالى : ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[9] . وقال

---

(١) سورة الفرقان ــ آية ١.
(٢) سورة فصلت ــ آية ٦.
(٣) سورة الفتح ــ آية ٢٩.
(٤) سورة الأعراف ــ آية ١٥٨.
(٥) سورة الحج ــ آية ٧٥.
(٦) سورة الأنعام ــ آية ١٢٤.
(٧) سورة المائدة ــ آية ٦٧.
(٨) سورة الفتح ــ آية ٨.
(٩) سورة طه ــ آية ٤٧.

تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1]. وقال جل شأنه : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[2].

ومسؤوليته عن أتباعه أمر مفروغ منه لأن معظم الناس يسيرون في معتقداتهم على ما ينتهجه ملوكهم وبذلك فالناس كما يقال : (الناس على دين ملوكهم) قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[3].

التحية في الرسالة السلام على من اتبع الهدى.. وفيها تحفظ واحتياط فاقتصرت على من يتبع الهدى.

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[4].

وأن الإسلام ينجي من يعتنقه في الدنيا والآخرة، بخلاف من يعتقدون أن المخلص هو المسيح عند اليهود والنصارى الذي سوف يقوم بمهمة تحقيق السلام في الدنيا ويضمن لهم النعيم في الآخرة، ومحمد «ﷺ» هو المخلص الذي جاء بدين الإسلام الذي لو اتبعوه لأنقذهم من غلوائهم وعدم اطمئنانهم في الدنيا ومن العذاب في الآخرة قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[5].

وقال جل من قائل : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[6].

وبهذا فإن السلامة في الدنيا والنعيم في الآخرة لمن يسلم (أسلم تسلم).

بشرى بالثواب المضاعف أولهما لنفسه وثانيهما لهداية قومه عندما يدخلون في

---

(١) سورة طه ــ آية ٥٠.

(٢) سورة طه ــ آية ١٢٢.

(٣) سورة الأحزاب ــ آية ٦٧، ٦٨.

(٤) سورة الصف ــ آية ٩.

(٥) سورة آل عمران ــ آية ٨٥.

(٦) سورة المائدة ــ آية ٣.

الإسلام تبعاً له. قال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1].

٣ ــ (التحـذيـر) :

وهو يبدأ من قوله «ﷺ» فإن توليت.. والرسول «ﷺ» يحمِّله إثم قومه ثم يشرح صلب العقيدة الإسلامية وهو تحريم الشرك بالله سبحانه وتعالى (أن لا نعبد إلا الله) قال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾[2]. وقال سبحانه : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴾[3]. وقال جل من قائل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ ﴾[5].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[6].

٤ ــ (إعلام بأن الإسلام أمانة شخصية في عنق من يعتنقه) :

والرسول «ﷺ» بعد إبلاغ الدعوة لا يتحمل مسؤولية من يرفضها.

قال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة يونس ــ الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة الشعراء ــ آية ٢١٣.

(٣) سورة الأنبياء ــ آية ٢٢.

(٤) سورة النساء ــ آية ١١٦.

(٥) سورة المائدة ــ آية ١٧.

(٦) سورة الأنعام ــ آية ١٤.

(٧) سورة العنكبوت ــ آية ٤٦.

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾(١). وقال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾(٢).

وقال سبحانه : ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾(٣).
وقال جل شأنه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(٤).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾(٥). وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ ﴾(٦).

ورسالة الرسول «ﷺ» الموجزة تتضمن مدخلاً إعلامياً دولياً موفقاً ثم بيان عصب دعوة التوحيد بالدين وتحذير وإنذار وإيضاح لأهم ما تهدف إليه العقيدة الإسلامية وهو عدم الإشراك بالله.

---

(١) سورة المائدة ــ آية ٦٧.
(٢) سورة الغاشية ــ الآيتان ٢١، ٢٢.
(٣) سورة المائدة ــ آية ٩٩.
(٤) سورة يونس ــ آية ٩٩.
(٥) سورة الأنعام ــ آية ١٠٧.
(٦) سورة يونس ــ آية ٢٣.

المبحث الخامس

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى الحارث[1] بن أبي شمر الغساني حاكم بصرى[2]

كان مبعوث الرسول «ﷺ» «شجاع بن وهب الأسدي» من المسلمين الأولين وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة، وبعدها إلى المدينة المنورة، وشهد بدراً كما أنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله «ﷺ» واستشهد يوم اليمامة[3]. وحياته بذلك حياة الرجال الأفذاذ الذين تخرجوا من مدرسة النبوة، وأهم مادة فيها توحيد الله والإخلاص في عبادته متمثلة في هجراته بدينه إلى الحبشة والمدينة واشتراكه في معارك الإسلام الكبرى ببدر وغيرها، ولقد اكتسب من هجراته بدينه وجهاده لإعلاء كلمة الإسلام التجارب التي أهلته للقيام بالمهمة المنوطة به، لإيصال رسالة التوحيد إلى الحارث بن أبي شمر الغساني وغيرها، قال شجاع رضي الله عنه. فأتيته وهو بغوطة[4] دمشق «يعني الحارث» وهو مشغول بتهيئة الانزال[5] والألطاف لقيصر[6] فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة[7] وأنه ذكر

---

(١) كان الحارث أو الحرث الغساني ملكاً على تخوم الشام حسب رواية ابن هشام، جـ٤، ص ٢٧٩، ويفيد الطبري أن شجاع بن وهب أرسل للمنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق، م٣، ص ٨٨ وابن كثير، ص ٢٨٨.

(٢) بصرى في الشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب (انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، م١، ص ٤٤١) وقال الواقدي : «كانت بصرى آهلة بالسكان والعرب يقصدونها ببضائعهم وتجارتهم من أقصى اليمن وبلاد الحجاز» وأثناء حصار بصرى من قبل المجاهدين العرب. قال خالد بن الوليد إلى شرحبيل بن حسنة رضي الله عنهما» أما علمت أن هذه ميناء الشام والعراق، ص ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠. علماً بأن الرسول «ﷺ» قد مرّ ببصرى وبها دير بحيري الراهب. انظر : الدكتور علي أبا حسين، ص ٩٧.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ٢، ص ٣٨٦.

(٤) غوطة : بالضم هي الكورة التي منها دمشق، وهو محل معروف بكثرة المياه والشجر.

(٥) الإنزال : جمع نزل مكان النزول.

(٦) الألطاف : وسائل الراحة.

(٧) قيصر : قيصر الروم الذي نذر إذا انتصر على الفرس أن يسير على قدميه من حمص إلى ايليا لوضع الصليب الكبير الذي سبق وأن أخذه الفرس. انظر : النويري نهاية الأرب، جـ١٨، نسخة مصورة، دار الثقافة والإرشاد بالقاهرة، ص ١٦٥.

لحاجب الحارث أنه رسول رسول الله إليه وأفهمه الحاجب أنه لا يصل إليه في وقت معين، كما أن الحاجب واسمه مري كان رومياً وأخذ يسأل عن صفة النبي «صلى الله عليه وسلم» وما يدعو إليه وكان يحدثه عنه فيرق قلبه ويبكي. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[2] ويقول إني قرأت الإنجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه، فأنا أؤمن به وأصدقه ولكن أخاف من الحارث أن يقتلني، ولقد وجد شجاع إكراماً من الحاجب المذكور، وفهم منه شجاع أن الحارث يخاف القيصر[3] وفي يوم خرج الحارث ووضع تاجه على رأسه وسمح لشجاع بالدخول فدفع إليه كتاب النبي «صلى الله عليه وسلم» فقرأه وإذ به:

«بسم الله الرحمن الرحيم» من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق. وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك[4][5] وبعد قراءة رسالة الدعوة رمى بها الحارث وهدد قائلاً بكل عتو ونفور، وصدق الله إذ يصف حالة هذا المتكبر الصلف ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[7].

ولم يتريث الحارث ويتأكد من الرسالة وماجاءت به من سلام وخير قال تعالى: ﴿ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[8].

والحارث كان عربياً، فكان الأولى به أن يستمع إلى دعوة النبي «صلى الله عليه وسلم» العربي الذي

---

(١) سورة الحج ــ آية ٣٥.

(٢) سورة الأعراف ــ آية ١٥٧.

(٣) الشيخ علي بن حسين الأحمدي، مكاتيب الرسول، جـ١، ص ١٣٥.

(٤) السيرة الحلبية، جـ٣، ص ٣٠٤ والطبري، جـ٣، ص ٨٨.

(٥) يبقى لك ملكك: وعد له بأن يبقى على مملكته ولا يؤخذ منه. خالي من البسملة ومن (من رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر» مع بعض الاختلافات، انظر: محمد صالح البنداق في صحبة النبي، ص ١٣٥ كما في الحلبية، وعون الشريف دبلوماسية محمد، ص ٢٥٨ (فاني بدل) وإني ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ص ٩٧.

(٦) سورة الحشر ــ آية ١٩.

(٧) سورة الانفطار ــ الآيتان ٦، ٨.

(٨) سورة النحل ــ آية ٧٢.

سوف يشرح له أبعاد العقيدة الإسلامية وصاحبها «ﷺ»، وما يأمر به ويدعو إليه ولكنه تولى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1] فقال: «من ينزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن لجئته عليَّ بالناس فلم يزل جالساً يعرض عليه حتى الليل وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى، وكتب لقيصر يخبره الخبر، وفي ذلك الوقت كان قيصر يتداول أمر رسالة النبي مع دحية الكلبي مبعوث الرسول «ﷺ» ولقد أفهم قيصر الحارث بعدم المسير للرسول وأمره أن يشتغل بايليا[2] ليهيء لقيصر الإنزال ببيت المقدس[3] وبعد ذلك دعا الحارث شجاعاً وبعد أن عرف منه وقت عودته أمر له بمائة مثقال من ذهب ووصله الحاجب الرومي بنفقة وكسوة، وأوصاه الحاجب أن يقرأ منه على رسول الله «ﷺ» السلام ويخبره أنه متبع دينه.

وبعد عودة شجاع أعلم الرسول «ﷺ» بما جرى مع الحارث فقال الرسول «ﷺ» باد: أي هلك ملكه[4] ويقال إن شجاعاً بن وهب أرسل إلى الحارث والي جبلة بن الأيهم وأنه عند مقابلته جبله ألقى أمامه البيان الإعلامي الإسلامي التالي:

«فقال له ياجبلة إن قومك نقلوا هذا النبي من داره إلى دارهم يعني الأنصار فآووه ومنعوه ونصروه، **وأن هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام** وجاورت الروم، ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس، فإن أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة. وكنت قد استبدلت المساجد بالبيع والأذان بالناقوس والجمع بالشعانين، وكان ماعند الله خير وأبقى».

قال جبله: «إني والله لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السموات والأرض وقد سرني اجتماع قومي له وقد دعاني قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤته فأبيت عليه ولكني لست أرى حقاً ولا أبالي وسأنظر». وقيل إنه كتب لرسول الله بإسلامه وأرسل الهديه وبقي ثابتاً على إسلامه حتى خلافة عمر بن الخطاب[5] وهذا بيان واضح وغني عن الشرح أو التوضيح، لأنه بلغة من أرسل إليه قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ

---

(١) سورة محمد ـــ آية ٣٣.

(٢) ايليا : بيت المقدس، ومعنى ايليا بالعبرانية بيت الله.

(٣) السيرة الحلبية، جـ٣، ص ٣٠٥.

(٤) السيرة الحلبية، جـ٣، ص ٣٠٥.

(٥) السيرة الحلبية ـــ جـ٣، ص ٣٠٦.

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] ولأن من أرسله نبي عربي صادق الدعوة فقد فهم جبله بن الأيهم اقتنع، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[2] ولكن طلب مهلة للتفكير وفعلاً انتهى به التفكير إلى اعتناق الاسلام.

والمقارنة بين موقفي جبله بن الأيهم المتعقل، وموقف الحارث بن أبي شمر المتغطرس توضح لنا مدى فائدة التريث والاستماع إلى كلام الله وفهم أهداف الرسالة وماتدعو إليه قال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[4].

وأما موقف الحارث بن أبي شمر الغساني فينم عن العصيان والتجبر الذي تكون نهايته الوبال والدمار على صاحبه.

قال تعالى: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[6].

والحارث عندما هدد وأعد العدة للتوجه لمحاربة الرسول «ﷺ» وأعلم هرقل بمخططه واستئذانه إياه للسماح له بذلك (لأنه تابع وعميل لدولة الشرك) إنما يؤكد سوء كفره بعدم التصديق، ونفاقه المذل المخزي لقيصر، وصدق الله حيث يقول: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[7].

---

(١) سورة يوسف ـ آية ٢.

(٢) قوماً لدا : شديدي الخصومة بالباطل.. سورة مريم ـ آية ٩٧.

(٣) سورة الاسراء ـ آية ١٥.

(٤) سورة الأنعام ـ آية ١٢٥.

(٥) سورة المدثر ـ الآيتان ١٦، ١٧.

(٦) سورة البينة ـ آية ٦.

(٧) سورة التوبة ـ الآيتان ٦٧، ٦٨.

الآثار والدلالات الإعلامية المستفادة من الرسالة النبوية لإبلاغ الحارث الغساني وغيره من أمراء الغساسنة ومن هم تحت حكمه بدعوة الإسلام

١ ــ الاعلام بظهور الإسلام (بسم الله الرحمن الرحيم) قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾[3].

٢ ــ إن المكلف بالدعوة إلى دين التوحيد هو الرسول محمد بن عبدالله قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[4] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾[5].

٣ ــ ذكر الحارث باسمه مجرداً ودون ألقاب وذلك لكونه «ﷺ» يخاطب رجلاً عربياً يفهم مايقال ولأن الكتاب باللغة العربية موجه إلى عربي مدعو لاعتناق الإسلام. لأن العرب مدعوون جميعاً لاعتناق دين الوحدانية وهم مكلفون بنشره قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ﴾[7].

---

(١) سورة الاخلاص ــ الآيات ١، ٢، ٣، ٤.

(٢) سورة طه ــ آية ٨.

(٣) سورة الشعراء ــ آية ٢١٣.

(٤) سورة الجمعة ــ آية ٢.

(٥) سورة فصلت ــ آية ٦.

(٦) سورة البقرة ــ آية ١٤٣.

(٧) سورة آل عمران ــ آية ١١٠.

٤ ــ التحية (السلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق) السلام هو تحية الإسلام فمن يتبع الهدى وهو هدى الله ويؤمن بوحدانية الخالق، ويصدق بالدعوة الإسلامية فعليه السلام، وبذلك اشترطت التحية لمن يؤمن ويصدق بالله الواحد الأحد وبدعوة الاسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[2].

٥ ــ دعوة الحارث بن أبي شمر الغساني إلى نبذ عبادة الشرك وصرف العبادة للواحد الأحد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[3].

وقال جل شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[4] وقال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[5].

٦ ــ اعتناق الإسلام سبيل لضمان السلامة والسعادة في الدنيا والنعيم الدائم في الآخرة، وبذلك فإن الاعتماد على غير الله سبيل إلى الهاويه والضلال والشقاء في الدنيا والآخرة.

٧ ــ تحذير بأن بقاء سلطانه مرهون باعتناقه لديانة التوحيد واتباع تعاليم الإسلام.

٨ ــ الرسالة مع أنها موجزة إلا أنها واضحة تماماً ومفرداتها محدودة ومعانيها تعطي الغرض المطلوب منها وهي بلغة يفهمها المرسل إليه وحاملها قوي الإيمان بما فيها وعلى استعداد للاجابة على كل نقطة فيها بما يؤيده من كلام الله وتعاليم رسوله الأمين «ﷺ».

---

(١) سورة طه ــ آية ١٤.

(٢) سورة الصف ــ آية ٩.

(٣) سورة البينة ــ آية ٦.

(٤) سورة الحج ــ آية ٦٢.

(٥) سورة المائدة ــ آية ٧٥.

المبحث السادس

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى أحد أمراء الغساسنة

قيل إنه قائد قلعة بصرى يدعوه فيها إلى اعتناق الإسلام ديناً والاعتراف بمحمد رسولاً وحامل الكتاب هو الصحابي الحارث بن عمير الأزدي، ولم يرو نص الكتاب النبوي وتفيد بعض الروايات أن النبي «صلى الله عليه وسلم» قد أرسل مبعوثه الحامل لرسالته إلى أمير بصرى[1]، فلما بلغ مؤته[2] تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فاستوقفه وسأله أين يريد.؟ فقال سفير الرسول «صلى الله عليه وسلم» إلى الشام. فقال له لعلك من رسل محمد قال نعم[3] فأوثقه رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه.. قال تعالى في حق من يقفون في طريق الدعوة.. ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[4] وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5] ولم يقتل لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» غيره من السفراء[6].

ومن الواضح أن الجريمة التي اقترفها المدعو شرحبيل الغساني في حق مبعوث رسمي لتعتبر تعدياً صارخاً على أحد دعاة التوحيد وهو يعني الوقوف بصورة سافرة في طريق إبلاغ الاسلام كما أراده الله ونفذه الرسول «صلى الله عليه وسلم». قال تعالى موبخاً من يعتدي على الموحدين والمؤمنين بالله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾[7].

---

(١) الشيخ علي بن حسين الأحمدي، مكاتيب الرسول، ط١، ص ٣٧.

(٢) مؤتة : إحدى قرى البلقاء على حدود الشام وقيل إنها من قرى الكرك التي تقع على الحدود بين شبه الجزيرة العربية والأراضي التي تسيطر عليها دولة الروم.

(٣) الرائد «محمد مهدي عامر» قصة كبيرة في تاريخ السيرة ـــ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م، ص ٢٥٥.

(٤) سورة الرعد ـــ الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٥) سورة يونس ـــ آية ٦٢.

(٦) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ١، ص ٣٤٢.

(٧) سورة غافر ـــ آية ٢٨.

إضافة إلى أنه يتنافى تماماً مع كل التقاليد الدولية وحماية السفراء داخل أراضيها ثم إن سكوت السلطات الرومانية على الموضوع وعدم محاكمة وتأديب المعتدي والاعتذار في نفس الوقت عما حدث ليعتبر في حكم العرف الدولي: إما استهتاراً وتهاوناً أو تواطؤاً من السلطات الإدارية والعسكرية الرومانية مع عملائها الغساسنة قال تعالى: مبيناً سوء صنعهم وكيف أن الله سوف يحاسبهم ويذلهم على مثل هذه التصرفات: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾(١).

وإن سكوت الدولة الرومانية ليدل أيضاً على أنها اتخذت موقفاً عدائياً لامبرر له ضد الإسلام ودولته.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(٢) والذي يدل على ذلك الموقف العدواني، ماقاله المستشرق بروكلمان كما جاء في كتاب ظهور الإسلام وسيادة مبادئه.

«إن علاقات المسلمين بالبيزنطيين في سورية تطورت على عكس علاقتهم بالمقوقس تطوراً يؤذن بصدام قريب. ذلك أن رسالة محمد «ﷺ» كانت تغزو قبائل البدو شمال بلاد العرب فكان لابد من الاحتكاك بالمواقع البيزنطية على الحدود»(٣)

ورداً على التصرفات غير المسؤولة من قبائل الغساسنة عملاء الروم أعد الرسول «ﷺ» قوة حربية للتوجه إلى ميدان حادث الاعتداء على المبعوث لتأديب المعتدين ووضع حد للتعديات على دعاة الخير والسلام، وإفهام الروم والعرب المتنصرة من الغساسنة وغيرهم بقوة المسلمين وشجاعتهم، وكذلك قدر محمد ودينه واتباعه. والجهاد واجب مفروض وهو الدعوة إلى الله تعالى، وقتال من يعترض الدعوة أو يقف في سبيلها، وتحريك القوة الاسلامية هدفه رد الظلم ودفع العدوان وحماية الدعاة المبشرين بدين الإسلام في حياتهم وعملهم، قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ

---

(١) سورة يونس ــ آية ٢٧.

(٢) سورة الأنعام ــ آية ١٢٩.

(٣) الدكتور عبدالحميد بخيت : ظهور الإسلام وسيادة مبادئه، ط٣ سنة ١٩٧٧م، دار المعارف، مصر، ص ٢٣٢.

﴿عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وقال «صلى الله عليه وسلم» في خطبته في الجهاد «أيها الناس لاتتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية[2] فإذا لقيتموهم فاصبروا»[3].

وقال «صلى الله عليه وسلم» في خطبة له في فضل الجهاد: «إذا صف الناس للصلاة وصفوا للقتال فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة وأبواب النار وزين الحور العين واطلعن فإذا أقبل الرجل قلن اللهم انصره، وإذا أدبر احتجبن منه وقلن اللهم اغفر له فأنهكوا[4] وجوه القوم فدى لكم أبي وأمي ولاتخزوا الحور العين فإن أول قطرة تنضح تكفر عنه كل شيء عمله»[5].

لأنه لابد من وضع حد للجريمة التي اقترفها عدو الإسلام شرحبيل الغساني، وذلك لأن الظلم لو بقي لعم الفساد وأصبحت الأمور في يد الطغاة، ورد الظلم كذلك من أسرار البقاء.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[6]

ومما قاله «صلى الله عليه وسلم» في خطبته يوم اعتداء الأحزاب: «اللهم اضرب وجوههم وأكِلّ سلاحهم[7] ولا تبارك لهم في مقامهم، اللهم مزقهم في الأرض تمزيق الرياح الجراد[8]» وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[9].

---

(١) سورة البقرة ــ آية ١٩٤.

(٢) العافية : السلامة.

(٣) محمد خليل الخطيب، اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام، ط١ سنة ١٣٧٣هـ، مطبعة شعراوي طنطا مصر، ص ١٥.

(٤) أنهكوا وجوه القوم : بالغوا في أذاهم.

(٥) محمد خليل الخطيب، اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام، ص ١٥، ١٦.

(٦) سورة البقرة ــ آية ٢٥١.

(٧) وأكل سلاحهم : اجعله غير قاطع.

(٨) محمد خليل الخطيب، اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام، ص ٦.

(٩) سورة الشورى ــ الآيات ٣٩، ٤٠، ٤١.

وتقدم جيش الجهاد المكون من ثلاثة آلاف مجاهد، وعلى رأسه زيد بن حارثه والتقت في البداية على الحدود بجيش الغساسنة وانتهت المعركة بانتصار المسلمين: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[1] ثم اندفعت السرية الإسلامية داخل الحدود الشمالية حتى بلغوا مؤته قرب الطريق الجنوبي من البحر الميت، والتقى المسلمون بجيش كثيف جداً تقدره بعض الروايات بمائة[2] ألف رجل بقيادة البطريق[3] تيودوروس[4]، ورغم ذلك خاض المسلمون المعركة وهم على ثقة كبرى من النصر أو الشهادة وهي في نظر كل المسلمين وعلى رأسهم رسولنا محمد «ﷺ» أمل يراود نفوس المؤمنين قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾[5].

وقال النبي «ﷺ» في خطبة له حول مامنحه الله للمجاهدين وبما يفوز به الشهيد في جنات الخلد، حتى أنه «ﷺ» تمنى الشهادة. قال: «والذي نفس محمد بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل»[6].

واستشهد القادة الثلاثة الذين عينهم رسول الله «ﷺ» وهم زيد بن حارثه وجعفر ابن أبي طالب وعبدالله بن رواحه، ومعهم بعض الصحابة في معركة مع الطغاة، وبعد أن تسلم خالد بن الوليد قيادة الجيش استطاع بشجاعته، وحسن قيادته، أن ينقذ الجيش. قام النبي خطيباً في الناس: «ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي إنهم انطلقوا فلقوا العدو فأصيب زيد شهيداً فاستغفروا له. ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو آمر نفسه ثم رفع رسول الله «ﷺ» أصبعه فقال اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره. فمن يؤمئذٍ سمي خالد سيف الله ثم قال: «انفروا فأمدوا إخوانكم» قال فنفر الناس في حر شديد مشاة وركباناً»[7] وبعد مدة وجيزة وجه سرية بقيادة عمرو بن

---

(١) سورة محمد ــ آية ٧.

(٢) ابن الأثير : أسد الغابة، جـ١، ص ٣٤٢.

(٣) البطريق : القائد.

(٤) الدكتور عبدالحميد بخيت، ظهور الإسلام وسيادة مبادئه، ص ٢٣٢.

(٥) سورة آل عمران ــ آية ١٦٩.

(٦) محمد خليل الخطيب، إتحاف الأنام، ص ١٦، ١٧.

(٧) محمد خليل الخطيب، إتحاف الأنام، ص٩.

العاص فسار بها حتى دخل البلقاء ولقن الروم درساً لم ينسوه، وكانت هذه المعارك سبباً لذيوع اسم عمرو بن العاص في ربوع الشام حتى بدأت الفتوح[1].

والله سبحانه وتعالى أمر المجاهدين بالثبات في الحروب: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[4] والفتنة معناها الكفر والشرك.

وعلى المسلمين أن يرهبوا أعداءهم بالاستعدادات الحربية ليحققوا أهداف الدعوة في الأمن والسلام وعبادة الرحمن قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[5].

إن السرايا والغزوات والمعارك التي خاضها المجاهدون كانت لنصرة الإسلام فأدت وظيفتها الاعلامية كوسيلة إعلامية ناجحة للاتصال بالجماهير العريضة الغفيرة المتعددة المشارب من العرب والعجم والروم وأثرت فيهم ونبهت عقولهم للحق الذي بشر به وهو الإسلام ذلك الدين الذي اختاره الله واختار رسوله للعالمين لإنقاذ البشرية مما تعانيه من ظلم وعدم استقرار قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[6] ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[7] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[8] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[9] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[10]

---

(١) دكتور عبدالحميد بخيت، ظهور الإسلام وسيادة مبادئه، ص ٢٣٣.
(٢) سورة الأنفال ــ آية ١٥.
(٣) سورة التوبة ــ آية ٢٩.
(٤) سورة البقرة ــ آية ١٩٣.
(٥) سورة الأنفال ــ آية ٦٠.
(٦) سورة التكوير ــ آية ٢٧.
(٧) سورة القلم ــ آية ٥٢.
(٨) سورة الفتح ــ آية ٨.
(٩) سورة سبأ ــ آية ٢٨.
(١٠) سورة الأنبياء ــ آية ١٠٧.

وتحركت جيوش الجهاد لمنع ظلم الطغاة وإلزام المتغطرسين بوجوب احترام الحق والحرية وضمان الأمان لمن يرغب أن يفكر في العقيدة التي يرغبها[1].

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾[3].

ولاشك أن تقدم المجاهدين داخل الحدود المسيطر عليها من قبل الروم لتأديب الغادرين وما أسفرت عنه المعارك الطاحنة من تضحيات نادرة بذلها المجاهدون في ساحة نصرة الإسلام والسلام قد جعلت الناس وخاصة القبائل العربية، سواء منها المتنصرة أو التي على وثنيتها يعيدون حساباتهم فيما هم عليه من معتقدات باطلة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[4]. فالمجاهدون عرب مثلهم، ولهم قوة تجابه روما المذلة لهم، فلماذا لا يفكرون أكثر في العقيدة الجديدة وهي عقيدة إخوانهم الذين كان لإقدامهم وبذلهم أنفسهم رخيصة في المعركة بصور لم يعهدوها من قبل الأمر الذي يدعو إلى عميق النظر والتعقل فإن دين المسلمين هو الذي كان وراء إقدامهم للقتال ببسالة أدهشت الرومان أولاً، والعرب ثانياً قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[5].

وكان من أولى ثمار هذا التفكير إسلام قائد إحدى فرق جيش العرب المتنصرة وهو القائد العربي فروة بن عمرو الجذامي وقد كان لإسلامه أثر بالغ على أتباعه وأبناء جلدته.

---

(1) الدكتور أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، ص ٢٧٠.

(2) سورة آل عمران ــ آية ١٩.

(3) سورة الكهف ــ الآيتان ٢٨، ٢٩.

(4) سورة يونس ــ آية ١٠٦.

(5) سورة الأنفال ــ آية ٦٥.

المبحث السابع

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى فروة بن عمرو الجذامي

وفروة بن عمرو الجذامي كان حاكماً عربياً من قبل الروم على عمّان[1] من أرض البلقاء أو على معان[2]، ولم يكتب إليه الرسول «ﷺ» يدعوه للاسلام[3] واسلامه كان من نتائج الحملة الاعلامية الاسلامية الواسعة التي بثها النبي «ﷺ» لاعلام العالم بعالمية الاسلام ولانقاذ البشرية مما هي فيه من شرك وظلم وتدهور فقد قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[5] وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[6].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[7] وقال جل شأنه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[8].

وفروة بن عمرو الجذامي أمير عربي، علم وسمع عن الدين الإسلامي، حيث كان من متنصرة العرب وقد غزا قلوبهم نور الإسلام والرجل (رحمه الله) يبدو أنه من المطلعين على الديانات والكتب المقدسة فهو من أهل الكتاب الذي بشر برسالة محمد «ﷺ» فإن الله سبحانه وتعالى يوضح للرسول ولأهل الكتاب هذا الأمر الذي حاول

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٤، ١٧٨ وذكر أن فروة عامر وقيل فروة بن عمرو وقيل فروة بن نفاثه وقيل ابن نباتة وقيل ابن تعامة الجذامي ومنزله معان وما حولها من أرض الشام.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٦٢.

(٣) نفس المرجع.

(٤) سورة التكوير ـــ آية ٢٧.

(٥) سورة سبأ ـــ آية ٢٨.

(٦) سورة يس ـــ الآيتان ٦٩، ٧٠.

(٧) سورة الحجرات ـــ آية ١٣.

(٨) سورة فصلت ـــ آية ٥٣.

أهل الكتاب إخفاءه فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾(١) وقال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾(٢)..

وفروة بن عمرو الجذامي ممن عرف الحق فاتبعه فآمن برسالة الإسلام وبالنبي «ﷺ» رسولاً. ونبذ عبادة الشرك لعقمها كما أنه رأى بثاقب بصيرته أن النصرانية التي كان يعتنقها قد بطل مفعولها بالصورة التي تمارس عليها قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾(٣) ولأنها بشرت بالنبي «ﷺ» الذي سوف يدعو لعقيدة التوحيد الذي يجب أن يتبع لنشر السلام والسعادة في ربوع العالم.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾(٤).

وقد صور الله سبحانه وتعالى مدى سعة الخير والأمن الذي سوف ينعم به أهل الكتاب وغيرهم فيما لو اتبعوا النبي محمداً وصدقوا ماجاء به من تعاليم إلهية منها السلام والعفو عما اقترفوه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(٥).

وهذه نعمة لم يألفوها من قبل، فقد منَّ الله عليهم بها فشرح الله صدور المتعقلين الذين هداهم رب العالمين، ومنهم فروه بن عمرو الجذامي.

---

(١) سورة الأنعام ــ آية ٢٠.

(٢) سورة البقرة ــ آية ١٤٦.

(٣) سورة المائدة ــ آية ١٧.

(٤) سورة الصف ــ آية ٩.

(٥) سورة المائدة ــ الآيتان ١٥، ١٦.

قال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾(٢) وحال تمكن الإيمان من قلب حاكم معان العربي فروة بن عمرو الجذامي، بعث برسالة إلى النبي «ﷺ» يبشره بإسلامه فكتب «لمحمد رسول الله: إني مقر بالإسلام مصدق به أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. أنت الذي بشر بك عيسى بن مريم عليه السلام»(٣) وفروة (رحمه الله) صدق عندما قال لرسول الله: أنت بشر بك عيسى بن مريم فقد قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾(٤).

وأرسل رسالة بإسلامه مع رسوله مسعود بن سعد(٥) وأهدى الرسول بعض الهدايا تعبيراً عن إخلاصه وحبه وتأييده للنبي الكريم منها بغلة بيضاء(٦).

وأجابه الرسول صلوات الله وسلامه عليه بقوله: إلى فروة بن عمرو الجذامي أما بعد: فقد قدم علينا رسولك وبلغ ماأرسلت به وخبر عما قبلكم خيراً وأتانا بإسلامك وأن الله هداك بهداه(٧).

---

(١) سورة الاسراء ــ آية ١٥.

(٢) سورة الرعد ــ الآيتان ٢٨، ٢٩.

(٣) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، جـ١، ص ٩٦، والوثائق اليمنية للشيخ محمد علي الأكوع، ص ٥٧.

(٤) سورة الصف ــ آية ٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٦٢.

(٦) محمد بن عبدالملك بن هشام، سيرة النبي، جـ٤، ٢٦١، وزاد في الوفا بأحوال المصطفى لأبي الفرج ابن الجوزي أن من الهدايا فرس وحمار وأثواب وغطاء سندس، ص ٧٤٠.

(٧) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، جـ٦ عام ١٣٨٣هـ، القاهرة، (المؤسسة المصرية العامة، ص ٣٦٨، وجمهرة رسائل العرب للأستاذ أحمد زكي صفوت، جـ١، ص ٦٢، والوفا بأحوال المصطفى لعبد الرحمن الجوزي، جـ٢، ص ٧٤١ مع اختلاف يكاد لا يذكر (قبلك بدلاً من قبلكم) (ولم يذكر كلمة خيراً) وفي الطبقات لابن سعد، جـ١ (زاد : إن أصلحت وأطعت الله ورسوله وأقمت الصلاة وآتيت الزكاة) ص ٢٨١.

وأمر النبي «ﷺ» بلالاً فأعطى رسوله مسعود بن سعد اثنتي عشرة أوقية من فضة ونش[1].

وإجابة النبي هذه لفروة بن عمرو الجذامي تعتبر مفخرة له ولكل من يسلك هذا المسلك الذي ارتضاه الله لعباده الصالحين وهو الأخذ بيد فروة وتشجيعاً وتأييداً وتهنئة في نفس الوقت على حسن إسلامه وأعلمه بوصول الهدايا وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي هداه إلى الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[3].

ولما علم ملك الروم بإسلام فروة الجذامي استدعاه وطلب منه الرجوع عن دين محمد «ﷺ» في نظير أن يعيده إلى ملكه.

فقال فروة: (لا أفارق دين محمد وإنك تعلم أن عيسى قد بشر به ولكنك تضن بملكك فحبسه ثم أخرجه فقتله وصلبه)[4].

والخالق سبحانه وتعالى بلغ رسوله الكريم بأن المشركين من أهل الكتاب يحاولون في مقابل رضاهم عن الرسول «ﷺ» وأتباعه من المسلمين أن يتبعوا ملتهم قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾[5].

---

(١) ونش بالفتح نصف أوقية عشرون درهماً.

(٢) سورة القصص ـ آية ٥٦.

(٣) سورة الصف ـ آية ٩.

(٤) ابن سعد الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٨١. وانظر: الشيخ الأحمدي، جـ١، ص ١٥٤ وجمهورة رسائل العرب، جـ١، ص ٦٢.

(٥) سورة البقرة ـ آية ١٢٠.

١ ــ إن الإسلام نور وضياء يصل إلى الأبصار والقلوب فيعمرها بإرادة الله لأن الله هو الهادي، وفروة الجذامي لم ترسل إليه رسالة أو مبعوث لدعوته للإسلام ولكن بمجرد أن قرع سمعه نداء الإسلام وإنه دين التوحيد الذي بشرت به الرسل، توجه بقلبه وروحه لاعتناقه دون واسطة، ولأن الإيمان قد تمكن من قلبه، فقد ضحى بماله وروحه في سبيل إيمانه بالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً.

٢ ــ ليس من الضروري إبلاغ كل إنسان رسالة خاصة مهما علا مركزه أو بمبعوث لدخول الإسلام لأن الله هو الهادي إلى سواء السبيل كما في قول الرسول: (إن الله هداك بهداه).

٣ ــ تقدير بذل الإنسان من قبل رسول الله «ﷺ» مهما كان بسيطاً للتعبير عن المحبة والمودة والإخلاص في صورة هدية وهذا يعني أن الرسول يقبل الهدية، إذا كانت خالية من كل شك أو ريب، وكما تعلم فالرسول «ﷺ» لايقبل الصدقة ويقبل الهدية.

٤ ــ إن الإسلام يقدر لمعتنقه كل عمل طيب يقوم به، كما أنه سبب لسعادته في الدنيا والآخرة كما في (وأتانا بإسلامك).

المبحث الثامن

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى امبراطور الصين[1]

اختلف الرواة حول كيفية بدء توجيه الدعوة الإسلامية إلى الصين فأحد الباحثين يفيد أن واحداً من الصحابة ويدعى (رهاب بن رعشة)[3]. قد توجه إلى بلاد الصين بعد هجرة الرسول «ﷺ» إلى المدينة حيث وصل إلى تلك البلاد بعد مشقة وعناء، وأنه بعد أن تعلم لغة وعادات أهل البلاد وأخلاقهم بدأ في نشر الدين الحنيف، وبعد أن قوي شأنه التف حوله خلق كثير وقابله الإمبراطور (تاي تنج) ٦٢٨م حيث لقي من الإمبراطور الرعاية والتلطف وبعد موته أقام له أهل الصين تذكاراً تخليداً لذكراه[4].

بينما يفيد المؤرخ هـ.ج.ولز أن بعثة أدعى إلى العجب قد وصلت إلى بلاد (تاي تنج) عام ٦٢٨ م أي قبل مجيء النساطرة[5] (وهم نصارى) بسبعة أعوام والبعثة مكونة من جماعة من العرب كان انطلاقهم من ينبع ميناء المدينة المنورة ببلاد العرب في فلك[6] تجاري.

---

(١) بلاد واسعة مترامية الأطراف وعاصمتها في ذلك الوقت مدينة سندابل وهي قصبة الصين وبها دار المملكة وهي مدينة عظيمة ولها ستون شارعاً وارتفاع سورها تسعين ذراعاً وعرضة تسعين ذراعاً وكان لهم بيت عبادة عظيم، كما أن سياستهم متقنة، ويوجد ببيت العبادة تماثيل وتصاوير وأصنام وأهل البلاد لا يذبحون ولا يأكلون اللحوم أصلاً. معجم البلدان، جـ٣، ص ٤٤٤، ٤٤٥.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين، م٥، ص ٦١٦.

(٣) رهاب بن رعشة : لقد تعذر معرفة هذا الصحابي بعد الرجوع إلى المصادر الآتية : الإعلام للزركلي، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، الطبقات الكبرى لابن سعد، وفيات الأعيان لابن خلكان، المنجد، أسد الغابة لابن الأثير.

(٤) دائرة المعارف القرن العشرين، م٥، دار المعرفة، بيروت، ص ٦١٦.

(٥) النسطورية : بدعة ظهرت في القرن الخامس الميلادي، قال بهذا نسطوريوس بطريك القسطنطينية حين اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله، وقد عارضه كيرسى الإسكندري وانعقدت بسبب هذه المشكلة ثلاثة مجامع متلاحقة وقررت كلها أن للمسيح طبيعتين : إلهية وإنسانية وناصرت كنيسة أنطاكية مذهب نسطوريوس، انظر : الموسوعة العربية الميسرة، جـ٢، ص ١٨٣٢.

(٦) الفلك : سفينة. انظر : لسان العرب، جـ٤، ص ٥١١.

وأن الذي أرسل تلك البعثة هو النبي محمد «ﷺ»، وحملت البعثة الرسالة الإسلامية النبوية إلى الإمبراطور تاي تينج، ويرجح ذلك المؤرخ أنها نفس الدعوة التي أرسلت وفي السنة نفسها إلى هرقل وإلى كسرى ويضيف المؤرخ الغربي (المتعصب ضد الإسلام) المذكور أن امبراطور الصين لم يهمل رسالة النبوة كما فعل هرقل ولا أهان رسل الرسول كما فعل امبراطور الفرس، بل إن إمبراطور الصين أحسن استقبالهم وأظهر نوعاً من الاغتباط والسعادة لآراء البعثة العقائدية كما أنه ساعدهم على بناء مسجد من أجل التجار العرب في كنتون(١) وهو مسجد باق إلى اليوم ومن أقدم مساجد الدنيا(٢) ويبدو من النشاط الفكري لعاهل الصين أنه كان مسلماً(٣).

ومهما اختلف الرواة في كيفية وصول نور الإسلام إلى الصين فالمؤكد أنه وصل بوساطة بعثة أرسلها النبي «ﷺ» كما اعترف بذلك أحد خصوم عالمية الدعوة الاسلامية وهو المؤرخ الغربي هـ.ج.ولز الذي اعترف أيضاً بأن نتائج لقاءات ومباحثات البعثة المحمدية بإمبراطور الصين أن أسلم الإمبراطور الصيني كما أن المسلمين أقاموا مسجداً في كانتون ولايزال شاهداً على صدق ماذكر.

ويعترف ذلك المؤرح أن الإسلام قد سبق المسيحية في دخول الصين بسبعة أعوام مع أن المسيحية سبقت ظهور الإسلام بسبعة قرون تقريباً. ولا غرابة في ذلك فقد كانت المسيحية محتكرة لبني إسرائيل ثم توسعت واضطرها توسعها إلى أن تبتعد عن الدين الخالص الذي نادى به رسل وأنبياء بني اسرائيل وهو توحيد الله فنجد أن أحد علماء اليهود سأل عيسى عليه السلام عن الوحدانية، فأجابه بأن الله واحد كما قال في توراة موسى عليه السلام يقول مرقس: (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا

(١) كانتون : مدينة وهي عاصمة مقاطعة كوانتونج بالصين وميناء على نهر كانتون ومركز تجاري كبير وزارها الرحالة العرب في القرن العاشر الميلادي، انظر : الموسوعة العربية الميسرة، جـ٢، ص ١٤٣٦.
(٢) هـ.ج. ولز معالم تأريخ الإنسانية، ط٣، ١٩٧٢، القاهرة، جـ٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص ٧٦٣.
(٣) نفس المرجع، ص ٧٧٩.

هي: اسمع ياإسرائيل: الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب. إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هي الوصية الأولى:[1]

وقال جاء في الإصحاح الأول من إنجيله أن: «الله لم يره أحد قط»[2] وقد سبب توسعها دون تركيز أو قيود عقائدية خالصة إلى اختلال ظاهر في المفاهيم وتبع ذلك أنها أخذت ماكانت عليه الأقوام من عبادات وصبغتها بصبغة دينية متوهمة أن ذلك من الدين وأنه حب في الإخلاص للخالق، والحقيقة أنه كان وبالا على العقيدة الملفقة وسخرية لرجالها وآرائهم المتناقضة المشوهة «اختلفوا فيما بينهم اختلافاً شديداً وتجادلوا جدالاً عنيفاً، ولعن بعضهم بعضاً وكفر بعضهم بعضاً»[3] وفي البداية اندفع بعض الأقوام لاعتناقها ولكن نظراً لخلو العقيدة من روحها وهو توحيد الخالق أدى إلى ما أدى إليه من مشكلات لا حصر لها بين رجال الدين الواحد حيث كفَّر بعضهم بعضاً مما جعل الشعوب تقبل على اعتناق الإسلام وتدخل فيه زرافات ووحداناً وخاصة أهل الكتاب.

ودين الإسلام دين التوحيد انتشر بسرعة أذهلت أهل الكتاب، وأصحاب العقائد الأخرى، لأنه دين الخالق المعبود، الفرد الصمد، لاتعقيد ولا طقوس ولا واسطة بين العبد وربه والعبادة ميسرة وعلى طاقة البشر.

ووصول الإسلام إلى الصين سابقاً المسيحية لكونه دين البشرية هو مصداق لقول رسولنا الكريم «ﷺ»: «واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر»[4].

والخالق سبحانه وتعالى أكد عالمية الاسلام وأنه للبشر كافة قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5].

---

(١) الإمام القرطبي : تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد «ﷺ» صور بالميكروفيلم دار التراث العربي بالقاهرة، جـ١، ص١٢، ١٣.

(٢) نفس المرجع، ص ١٣.

(٣) الإمام القرطبي، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي الإعلام، جـ١، ص ٢٢.

(٤) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق، جـ١، ص ١١٣.

(٥) سورة يس ــ الآيتان ٦٩، ٧٠.

وقال جل شأنه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[2] ورغم أن نص رسالة الرسول «ﷺ» لم تأت علينا المراجع والمصادر المتوفرة إلا أنها كما قال المؤرخ هـ.ج.ولز هي رسالة شبيهة برسائله «ﷺ» إلى كل من هرقل وكسرى، وأما الفارق فقد كان في نتائج تلك الرسائل، فالمعلومات توضح ترحيب إمبراطور الصين بالبعثة الإسلامية التبشيرية، وأنه أسلم كما أقيم مسجد إسلامي في كانتون.

وهذا يعني دخول الكثير من الشعب الصيني في العقيدة الإسلامية وتخليهم عن عقائدهم البالية[3].

---

(١) سورة سبأ ـــ آية ٢٨.

(٢) سورة الصف ـــ آية ٩.

(٣) انظر الشهرستاني، الملل والنحل : كانت ديانة الصين تقوم على عبادة السماء باعتبارها الاله الأعظم ثم عبادة الأرض لأن الأرض إله ثم عبادة أرواح الأجداد والجبال والأنهار وبعد قرون طويلة استقرت عبادتهم على أديان ثلاثة هي :

١ ـــ الكنفوشية ٢ ـــ البوذية ٣ ـــ التاوزميه، فهرس ذيل الملل والنحل، جـ٢، ص ١٩.

الدلالات الإعلامية في رسالة الدعوة الإسلامية لإمبراطور الصين[1]

١ ــ الإعلام بدين الإسلام وأنه للعالمين. وأن البشير النذير بالدين هو النبي محمد «ﷺ»: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[3].

٢ ــ إفهام إمبراطور الصين بصورة تناسب مركزه الدنيوي بأنه في حالة إيمانه بدين التوحيد سوف ينال الثواب مرتين: مرة بسبب تصديقه وإيمانه والأخرى لإيمان قومه واتباعهم له.

٣ ــ شرح عصب العقيدة وخلوها من الشرك وعدم صرف العبادة إلا لله الواحد الأحد.

٤ ــ أن من يدخل الإسلام يتوب الله عليه ويغفر له ماتقدم من ذنبه كما أنه بدخوله الاسلام سوف يضمن السلام له ولشعبه في الدنيا والنعيم له ولهم في الآخرة.

قال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

٥ ــ إنه بعد إبلاغ الإسلام للناس وهي مهمة الرسل فلا يكون بعد ذلك مسؤولاً عن اعتناقهم إياه من عدمه. قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[5].

---

(١) لم يعثر على نص الرسالة طوال بحثي والله أعلم.

(٢) سورة الأنبياء ــ آية ١٠٧.

(٣) سورة الحج ــ آية ٤٩.

(٤) سورة المائدة ــ آي ٣٩.

(٥) سورة الكهف ــ الآيتان ٢٨، ٢٩.

المبحث التاسع

الآثار والدلالات الإعلامية في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأسقف ضغاطر[1]

ذكر الطبري أن هرقل عندما قرأ رسالة دعوته إلى الإسلام وقال لدحية الكلبي مبعوث الرسول «ﷺ» إليه: «ويحك والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل وأنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته فاذهب إلى ضغاطر الأسقف فاذكر له أمر صاحبكم فهو والله أعظم في الروم مني وأجوز قولاً عندهم مني فانظر مايقول»[2].

ويقول الشيخ الأحمدي إن كتاب الرسول «ﷺ» إلى ضغاطر كان مع كتاب هرقل في نفس الوقت ومع مبعوثه إلى هرقل الصحابي دحية بن خليفة الكلبي وأنه عندما قرأ الأسقف ضغاطر كتاب النبي وإذ فيه: «إلى ضغاطر الأسقف سلام على من آمن ــ أما على أثر ذلك فإن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الزكية، وأني أؤمن بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، والسلام على من اتبع الهدى»[4].

ومن هذا نعلم أن الله قد أضاء قلب ضغاطر بالإيمان وبالإسلام وقال لدحية إن صاحبك والله نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه[5]. ولم يكتفُ بذلك بل

---

(١) هو الأسقف الأعظم في الروم يحسب له ملك الروم كل حساب وذلك لمركزه الروحاني ونفوذه المتمكن من قلوب المسيحيين. الأساقف : جمع أسقف وهم رؤساء النصارى. انظر : معجم البلدان، ص ٤٩٨.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩ ــ ١٩٧٩ جـ٣، ص ٨٨.

(٣) الدكتور محمد حميد الله مجموعة الوثائق السياسية، جـ١، ص ٨٦، ٨٧، والأحمدي مكاتيب الرسول، ص ١٦٩.

(٤) الشيخ علي الأحمدي مكاتيب الرسول، جـ١، ص ١٦٩.

(٥) الشيخ علي الأحمدي، مكاتيب الرسول، جـ١، ص ١٦٩.

خلع ملابسه السوداء ولبس ثياباً بيضاء وأخذ عصاه ودخل على الروم وهم في الكنيسة فقال: «يامعشر الروم إنه قد جاءنا كتاب أحمد يدعونا فيه إلى الله وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن أحمد رسول الله فوثبوا عليه وضربوه وقتلوه. قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(1) وأعلم دحية هرقل بما حدث فقال له: «قد قلت لك إننا نخافهم أنفسنا وضغاطر كان والله أعظم عندهم مني»(2).

وهكذا فإن الإيمان بالله الواحد إذا تمكن من قلب إنسان وخاصة إذا كان عالماً كضغاطر الأسقف فإنه يدفعه دفعاً إلى إعلانه على الملأ لإشهادهم على إسلامه ولدعوتهم لاتباعه.

قال تعالى: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(3).

وقال جل شأنه: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(4).

وبعد إسلام وإيمان ضغاطر بوحدانية الله واتباع نبيه الكريم أصبح لزاماً عليه وهو العالم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(5) ذو الكلمة المسموعة لدى النصارى أن يبصرهم بصدق الرسول محمد فيما يدعو إليه وأنه النبي الذي هو مكتوب عندهم في الكتاب قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(6).

وقال جل شأنه: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾(7).

---

(1) سورة الفرقان ــ آية ٤٤.

(2) ابن الأثير : أسد الغابة، جـ٣، ص ٤١.

(3) سورة الاسراء ــ آية ١٥.

(4) سورة الأنعام ــ آية ١٢٥.

(5) سورة فاطر ــ آية ٢٨.

(6) سورة البقرة ــ آية ١٤٦.

(7) سورة الأعراف ــ آية ١٥٧.

فالأسقف مطالب بدعوة النصارى لاتباع النبي «ﷺ» ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾[١].

لأنه الدين الذي بشر به الأنبياء والرسل والداعية إليه هو النبي الأمي محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه الذي بشر بمقدمه الأنبياء لخلاص العالم من الويلات والدمار وخاصة موسى وعيسى عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[٢]وقد ورد في التواريخ «أن أولاد اسماعيل كانوا يسمون آل الله، وأهل الله»[٣] وأجاب الرب تعالى إبراهيم عليه السلام: «إني باركت على إسماعيل وأولاده وجعلت فيهم الخير كله. وسأظهرهم على الأمم كلها» قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[٤].

---

(١) سورة الأعلى ــ الآيتان ٩، ١٠.

(٢) سورة الصف ــ آية ٦.

(٣) الإمام القرطبي، تقديم وتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، الإعلام، ص ٣٣، ٣٤ وتكوين ١٧، ٢٠.

(٤) سورة البقرة ــ آية ١٢٩.

رسالته صلى الله عليه وسلم الى الأسقف ضغاطر

١ ــ مخاطبة أهل العلم والمعرفة بالدين بمراكزهم الدينية دون إضفاء أية ألقاب دنيوية بغرض النفاق والدليل (إلى ضغاطر الأسقف) لأن العلماء وهم في الأغلب فى تلك الأزمنة رجال الدين أعرف الناس بحق الخالق وخشيته قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾.

٢ ــ التحية: سلام على من آمن وفيها تحفظ مقصود لئلا تكون حقاً للمشرك على الموحد فجعلها لمن آمن.

قال تعالى : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[١].

٣ ــ الإعلام بأن الإسلام يعترف برسالة عيسى عليه السلام، والتي تدعو لعبادة الله وحده كما قال عيسى نفسه عندما سأله العالم عن أول العهود ان السيد الهك الله واحد[٢].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٣].

وليس كما يقول النصارى حيث نادت فرقة منهم وهم الكاثوليك بتعدد الآلهة ونادت فرقة ثانية وهم الأرثوذكس بعقيدة تجسيد الآلهة[٤] وقد رد الخالق سبحانه وتعالى على فرق النصارى المتنازعة الضالة بقوله ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ﴾[٥]

---

(١) سورة آل عمران ــ آية ٨٤.

(٢) الإمام القرطبي، الإعلام، جـ١، ص ٥١.

(٣) سورة آل عمران ــ آية ٥٢.

(٤) الإمام القرطبي، الإعلام، جـ١، ص ٢٧.

(٥) سورة النساء ــ آية ١٧١.

وقال جل شأنه للذين قالوا ثلاث مراحل للإله الواحد المتجسد كما في الآية السابقة. وردّ على فرقة الكاثوليك بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[1] كما رد على الأرثوذكس ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[2].

٤ ـــ الشهادة للمسيح بصدق دعوته وأنه كلمة الله ألقاها إلى مريم الزكية قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[3].

والله سبحانه وتعالى شهد للسيدة العذراء أم عيسى بالعفاف ودحض افتراءات اليهود عليها، وعلى ابنها عيسى، حيث قال في كتابه العزيز: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[4].

وقال تعالى مؤكداً عفاف وطهر مريم الصديقة: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

٥ ـــ الإعلام بأن رسول الإسلام محمد بن عبد الله «صلى الله عليه وسلم» يؤمن برسالات الأنبياء والرسل وما أنزل عليهم.

قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[6].

٦ ـــ إن من ثمار الرسالة إسلام الأسقف وإعلانه دخول الإسلام أمام الملأ من النصارى الذين أصروا على كفرهم فوثبوا عليه وقتلوه.

---

(١) سورة المائدة ـــ آية ٧٣.

(٢) سورة المائدة ـــ آية ١٧.

(٣) سورة النساء ـــ آية ١٧١.

(٤) سورة آل عمران ـــ آية ٤٥.

(٥) سورة الأنبياء ـــ آية ٩١.

(٦) سورة البقرة ـــ آية ١٣٦.

قال تعالى واصفاً نكرانهم وطغيانهم عن بصرهم بالدين الحق الذي يجب أن يتبع: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾(٣).

٧ ــ إن إسلام ضغاطر وقتله ليس بالأمر السهل بل لابد وأن تكون هناك مناقشات وندوات بين مؤيد للإسلام ومعارض وبين متعاطف يرجو معرفة الحقيقة وبين جاحد لئيم، ولاسيما وأن امبراطورهم هرقل قد أشعرهم بصدق نبوة محمد «ﷺ»، ولكنهم تمردوا، ومع هذا فقد كان للرسالة أثرها العظيم في نفوس الشعب التواق للخلاص من العقائد التي لاتملأ القلب نوراً. وإيماناً. وإنما عبارات ناتجة عن منازعات بين فرق همها تحقيق مصلحتها الدنيوية على حساب العقيدة.

---

(١) سورة عبس ــ آية ١٧.

(٢) سورة غافر ــ آية ٢٨.

(٣) سورة الحج ــ آية ٤٦.

المبحث العاشر

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى ملك الهند سرباتك

(ذكر ابن الأثير) أن رسول الله قد بعث إلى ملك الهند سرباتك برسالة التوحيد يدعوه للإسلام مع بعثة من الصحابة[١].

فالرسول «عليه» مكلف بإبلاغ وإعلام كل الأمم برسالة الإسلام لأنها الرسالة الخاتمة وهو خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[٢] وقال جل شأنه: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[١].

نص الرسالة النبوية غير متوفر لأنه لم يرو[٢]، إلا أن هدف الرسالة هو دعوة ملك الهند إلى الإسلام هو وأتباعه الذين كانت عقائدهم كثيرة مع أن الغالبية تتبع الهندوسية

---

(١) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ٢، ص ٢٦٦ (حيث روى مكي بن أحمد البردعي عن إسحاق ابن ابراهيم الطوس قال: رأيت سرباتك ملك الهند في بلدة تسمى تنوج وهو مسلم وزعم أن النبي «عليه» أنفذ إليه عشرة من أصحابه منهم حذيفة بن اليمان وعمرو بن العاص وأسامة بن زيد وأبو موسى الأشعري ومهيب وسفينة وغيرهم يدعوه إلى الإسلام فأجاب وأسلم وقبل كتاب النبي ولم أجد في تراجم هؤلاء الصحابة ذكراً عن بعثتهم إلى ملك الهند. انظر. الأحمدي مكاتيب الرسول، ص ٣٨.

(٢) سورة ص ــ الآيتان ٨٧، ٨٨.

(٣) سورة يس ــ الآيتان ٦٩، ٧٠.

(٤) سورة الصف ــ آية ٩.

(٥) سورة الأنبياء ــ آية ١٠٧.

(٦) المصادر والمراجع التي تيسرت لنا لم تذكر النص ومنها مجموعة الوثائق للدكتور محمد حميد الله ومكاتيب الرسول للأحمدي: وأسد الغابة لابن الأثير، وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام والسيرة الحلبية.

وهذه ليس لها مؤسس وتجمع بين الوثنية البسيطة والآراء الفلسفية والزهد في مزيج يتعذر معه الإحاطة بالعقيدة ككل[1].

ولذلك أنذرهم الرسول «ﷺ» بترك هذه العقائد الفاسدة وبشرهم بعقيدة التوحيد الصافية التي تضمن لمعتقدها الأخوة الإنسانية دون تفريق لأن المجتمع الهندي مقسم إلى عدة طبقات وهي:

(١) طبقة الكهنة. (٢) طبقة المحاربين. (٣) طبقة الخدم وهناك المنبوذون وهم فريق من السكان يعتبرون أقل من طبقة الخدم لدرجة أن مجرد لمس المنبوذ يعتبر نجاسة[2] وعدل الإسلام ألغى هذه الفوارق ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[3] فالأمن والسلامة والسعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة لمن يعمل عملاً طيباً قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[5].

وقال جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[6].

وملك الهند أسلم كما ذكر ومن المرجح أن كثيراً من أتباعه قد اتبعوه في اعتناق الإسلام والله أعلم.

---

(١) الشهرستاني ذيل الملل والنحل، جـ٢، ص ٩.

(٢) الشهرستاني الملل والنحل، جـ٢، ذيل الملل والنحل، ص١٣.

(٣) سورة الحجرات ــ آية ١٣.

(٤) سورة الزلزلة ــ الآيتان ٧، ٨.

(٥) سورة الزمر ــ آية ٥٣.

(٦) سورة الحجرات ــ آية ١٣.

الدلالات الإعلامية في دعوة ملك الهند للإسلام

١ ـــ إن الدعوة الإسلامية عامة حيث إنها للبشر كافة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[١] وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[٢].

٢ ـــ إن المكلف بالرسالة الإسلامية ودعوة العالم لاعتناقها هو النبي العربي محمد بن عبدالله «ﷺ» قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣].

وقال جل شأنه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾[٤] وقال جل من قائل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٥].

٣ ـــ إن أمانة إبلاغ الدعوة للبشر قد أوجبت على نبي الدعوة أن يبلغ الرسالة إلى كل الشعوب مهما كانت المشقة بعيدة والوصول عسير فالمبعوث لاشك أنه واجه الكثير من المشاق والعقبات لأداء الرسالة.

٤ ـــ إن من ثمار الرسالة اسلام ملك الهند الذي وجد في الدعوة الخلاص من كل العقائد الكثيرة الفاسدة.

ومن المؤكد أن كثيراً من أتباعه قد آمنوا بالدعوة ولابد من حدوث مناقشات بين طبقات الشعب الهندي حيال الدين الجديد ومايدعو إليه لأن دين الإسلام دين اليسر والصفاء، وعلاقة العبد بربه مباشرة دون حواجز من رجال الدين والمعابد وغيرها.

---

(١) سورة الأحزاب ـــ الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٢) سورة آل عمران ـــ آية ١٩.

(٣) سورة الصف ـــ آية ٩.

(٤) سور الفتح ـــ آية ٢٩.

(٥) سورة الأعراف ـــ آية ١٥٨.

صدى رسالته صلى الله عليه وسلم في الداخل والخارج

١ ـــ إن ديانة التوحيد التي دعا النبي «ﷺ» الأمم لاعتناقها، إنما هي يهودية كليم الله موسى، ونصرانية كلمة الله عيسى، وهداية من كلفوا من قبلهما من الرسل المكرمين على مر الأزمان وكر السنين لهداية الناس أجمعين إلى عبادة رب العالمين قال الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1].

فالرسالة المحمدية نبذت إله القبيلة المصطنع ونفت أن يكون الإله لشعب مختار أو وجود إله لشعائر الوثنية ووجود الإله الذي يحاسب الناس بحساب الكفارات والقرابين، وقالت إنما يجب أن يعبد الإله الذي يحاسب الناس بالتبعة والتكليف، فقد جاء الاسلام بأسمى العقائد الإلهيه فعلم الفرد أن يؤمن برب العالمين رب البشرية جمعاء رب الانسان الذي لافضل له بغير عمله ولا خلاص له بغير ضميره وعقله[2] والرسول محمد «ﷺ» كلف من قبل الإله الخالق لإبلاغ العالم دين التوحيد الذي نادى به النبي العربي الأمين لكيلا يكون للناس حجة يوم القيامة. قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[3].

وقال جل شأنه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران ـــ آية ٨٤.

(٢) الأستاذ عباس محمود العقاد، الإسلاميات، ط١، ١٩٧٤م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، م٦ ،ص ٥١١.

(٣) سورة النساء ـــ آية ١٦٥.

(٤) سورة المائدة ـــ آية ٦٧.

(٥) سورة الكهف ـــ الآيتان ٢٨، ٢٩.

وقال تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[1].

إن عدالة الإسلام تطمس عصبية العرق وبغي أية فئة مهما كانت والقرآن الكريم خاطب الرسول الكريم بما هو حجة ماضية إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2] . وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[3].

والرسول «صلى الله عليه وسلم» بلغ عالم ذلك الزمان دعوة الإسلام بوساطة مبعوثين ومبشرين يحملون رسائله الداعية إلى عقيدة التوحيد، وبذلك غطى البث الإعلامي الإسلامي العالم كله من عرب وروما وفرس ومجوس وأقباط وأحباش وهنود وصينيين وغيرهم من أجناس مختلفة، وكان صدى تلك الحملة الإعلامية الموجهة مايأتي:

١ ــ على الصعيد الداخلي.. أسلم باذان والأبناء في اليمن عندما تأكد لهم صدق نبوة الرسول «صلى الله عليه وسلم» عندما بلغهم قتل إمبراطورهم الطاغية كسرى قبل أن تصلهم أخباره.. وكان لذلك أثره البعيد في إسلام قبائل من العرب إضافة إلى أن قريشاً كانت سعيدة عندما علمت أن كسرى أراد استدعاء النبي ولكن الذي حدث هو العكس إذْ أن قتل ربُّ محمد «صلى الله عليه وسلم» (ربَّ باذان) وهو كسرى أدى إلى نتائج عكسية بالنسبة لقريش وهو إسلام باذان والأبناء وهو أمر ليس في مصلحة المتعنتين من قريش.

٢ ــ إسلام النجاشي ملك الحبشة وإسلام الكثيرين من أتباعه وانتصار المهاجرين في المناظرة التي أدارها النجاشي وتأييد النجاشي لهم ولعقيدتهم وعودة وفد قريش خائباً ثم اقناع النجاشي لعمرو بن العاص بالإسلام حيث أنه الدين الحق الذي سوف ينتشر وبعث النجاشي الهدايا للرسول الكريم.

المكسب الذي حققته الرسالة النبوية لدى عظيم الأقباط عندما انتصر الإسلام في المناظرة بين مبعوث محمد «صلى الله عليه وسلم» حاطب بن أبي بلتعه والمقوقس والتي كان من نتائجها تأكد القوقس من صدق نبوة محمد «صلى الله عليه وسلم» مع عدم إسلامه وبعثه الهدايا للرسول تعبيراً عن تقديره واحترامه للرسول «صلى الله عليه وسلم». وهذا كان له أثره لدى الشعب

---

(١) سورة المائدة ــ آية ٩٩.

(٢) سورة الغاشية ــ الآيتان ٢١، ٢٢.

(٣) سورة ق ــ آية ٤٥.

المصري الذي كان يعاني الويلات من إخوانه في الدين (الرومان) والذي لم يملأ القلوب بالإيمان نتيجة لما أضيف إليه من الأساطير التي جردته من صفاته وصدقه، ولاشك أنهم كعظيمهم المقوقس قد تأكدوا من نبوة النبي العربي بأنه خاتم الأنبياء ولذلك ساعدوا المجاهدين المسلمين عند دخولهم مصر ضد الرومان ثم أقبلوا بشكل واسع جداً على اعتناق الإسلام[1].

وكان لمقابلة المقوقس لوفد من ثقيف وسؤاله إياهم عن الدين الإسلامي والرسول الكريم وإفهامهم أن الرسول هو الذي بشرت به الكتب المقدسة وأنه النبي المنتظر[2] لمن الأمور التي تركت في نفوسهم الأثر الكبير بحيث لابد وأن أعلموا قومهم بتصريحات ملك القبط عن محمد ودعوته الصحيحة. أضف إلى ذلك أن الهدايا التي أرسلها ملك القبط إلى رسول الله «ﷺ» لابد وأن جعلت القبائل العربية وخاصة قريشاً تتساءل عن الأسباب الموجبة لأن يقوم ملك مصر بإرسال مثل تلك الهدايا وأنه لابد وأن ملوك العجم أصبحت تحسب الحساب لمحمد ودعوته وهم الأكثر عدداً والأقوى قوة في ذلك الزمن، وهذا بدوره جعل قريشاً ومن لف لفها يعيدون حساباتها وموقفهم من الدعوة والداعية الأول، وهذا بدوره أضعف من مركز قريش ومن حالفها أيضاً.

٤ ــ خلاصة معلومات هرقل الناتجة عن دراسة ديانات الأمم والملاحم ودراسة الكتب المقدسة في الفترة التي استقبل فيها مبعوث الرسول واستلامه لرسالة الدعوة الإسلامية وإحضاره لمجموعة من العرب للاستفسار منهم عن حقيقة الدعوة وصاحب الدعوة قد أكدت له صدق الدعوة المحمدية وصدق محمد «ﷺ» وأعلم رئيس المجموعة العربية وهو أبا سفيان خصم الدعوة بتلك النتيجة مما جعل أبا سفيان يتأكد منذ ذلك الوقت أن الإسلام هو الأعلى. قال أبو سفيان فخرجت وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول أيْ عباد الله، لقد ظهر أمر ابن أبي كبشة، أصبح ملوك الروم يهابونه في سلطانهم[3] ولاشك أن هذه النتائج الباهرة التي فاجأت أبا سفيان ومن كان معه من تجار وسراة قريش قد جعلتهم يعلمون أن محمداً «ﷺ» هو المنتصر وأن الإسلام هو المنتصر عقيدة تطمس كل العقائد الباطلة وهذه المعلومات

---

(١) السيرتوماس و.ا. أرنولد، الدعوة الإسلامية، ص ١٢٥، ص ١٢٦.

(٢) علي بن حسين الأحمدي، مكاتيب الرسول، ص ١٠٣.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التأريخ، م٢، ص ٢١٢.

لابد وأنها قد نقلت إلى نوادي قريش ومجالسهم فكانت قوة لمن أخفوا اسلامهم وبقوا في مكة وحافزاً لإسلام المترددين وإضعافاً لموقف ومركز المتعنتين.

أما عن الرومان فإن إلقاء المبعوث ببيانه أمام الملأ منهم ونتيجة المحاورة بين امبراطورهم هرقل وتجار قريش عامة وعلى رأسهم أبو سفيان، وما أعلمهم هرقل قبل وصول الرسالة بظهور ملك الختان ثم في النهاية طلبه منهم أن يدخلوا في دين محمد ولكنهم كابروا ورفضوا رغم تكرار نصائح امبراطورهم الذي تأكد له صحة الدين وصدق محمد «ﷺ» وليثبت حسن النية للإسلام أرسل الهدايا للنبي العربي الأمين(٢) ومن ثمار الدعوة إسلام الأسقف ضغاطر الذي خرج على النصارى وهم في الكنيسة وأعلن إسلامه وصدق دعوة محمد حيث أنه النبي الذي بشرت به الكتب المقدسة فوثبوا عليه وقتلوه حيث تأثر بذلك الكثير. ومن ثمارها أيضاً إسلام الحاكم العربي وهو فروة بن عمرو الجذامي الذي قبض عليه وقتل رغم الإغراءات حيث أكد لهم عدم تركه لدين محمد «ﷺ»(٣) كذلك الحارث بن أبي شمر الغساني الذي أظهر نوعاً من العصبية الجاهلية عند استلامه لرسالة الدعوة إلا أنه أرسل الهدايا أيضاً، وإسلام سكرتيره الرومي (مري) كما أسلم جبلة بن الأيهم وكذلك القبائل العربية المتنصّره على الحدود خاصة بعد غزوة مؤتة.

---

(١) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص ٨٥، ٨٦.

(٢) ابن الأثير : أسد الغابة، جـ٣، ص ٤١.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٨١.

الفصل الثالث

الآثار الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمّاله وولاته



بعد وصول الرسول «ﷺ» إلى المدينة عمل على توحيد المسلمين كأمة واحدة حيث آخى بين المهاجرين والأنصار وامتدت سلطته لتشمل اليهود المقيمين في المدينة وبذلك أصبح نبياً وحاكماً ومشرعاً وقاضياً وقائداً عسكرياً لجميع الأمة وقد وضع «ﷺ» دستوراً محكماً لشعبه. وهدفه «ﷺ» توحيد كل الجماعات في شبكة محكمة الاتصال، وكان على هذه الأمة أن يناصر بعضها بعضاً ضد كل الأخطار، وعلى الجميع الالتزام بالتشريع الالهي كما تلقاه النبي الكريم، وبذلك أصبحت سلطة الرسول «ﷺ» شاملة حيث جمع بين السلطتين: الدينية والدنيوية[1].

وانطلاقاً من كونه «ﷺ» نبياً مرسلاً من الله وحاكماً فقد أصبح مسؤولاً أمام الله وأمام كل الناس عن تدبير شؤون الأمة وحمايتها، فأدار الشؤون السياسية وقاد العمليات العسكرية[2] بكفاءة منقطعة النظير.. وذلك لأن الجماعات المتفرقة بالمدينة وجدت أنها بحاجة إلى من يسوس أمرها ويحمل عنها عبء تخطيط ماتريد، وتبعاً لذلك تدين له بالطاعة، ولقد عبر الشاعر العربي عن حاجة الناس إلى العظيم الذي يلتفون حوله لقيادتهم إلى مايصبون إليه بقوله:

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ... ولا حياة إذا جهَّالهم سادوا.

قال رسول الله «ﷺ» : «أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن من العشرة أفضل ممن استعمل. فقد غش الله وغش رسوله وجماعة المسلمين».

والرسول «ﷺ» في توزيعه العمل وتوجيهه لعماله يتحرى القدرات والكفاءات[3] ولتسهيل مهمة إدارة الدولة الإسلامية من النواحي الإدارية والعسكرية فقد قسم الرسول «ﷺ» البلاد إلى مقاطعات إدارية جعل على كل منها والياً وعاملاً وقاضياً[4]:

١ ـــ المدينة المنورة وما جاورها. كانت إدارة خاضعة لسلطة النبي «ﷺ» مباشرة.

---

(١) د. أكرم رسلان ديرانية : الحكم والادارة في الإسلام، طبعة أولى عام ١٣٩٩هـ بجدة، دار الشروق، ص ٥١، ٥٢.

(٢) نفس المرجع ـــ ص ٥٣.

(٣) د. أحمد ماهر البقري : القيادة وتعاليمها في ضوء الإسلام، طبعة أولى عام ١٤٠١هـ بالمنيا بمصر، مؤسسة شباب الجامعة، ص ٢٣، ٣١.

(٤) د. أكرم رسلان ديرانية : الحكم والإدارة في الإسلام، ص ٧٠.

٢ ـ أما الأقاليم الأخرى فكانت عبارة عن مقاطعات: تيماء والجند وبني كنده ومكة ونجران وحضرموت وعمان والبحرين[١]. وجعل لكل عامل اختصاصات منوطة به:

١ ـ وظيفة الوالي: المحافظة على الأمن والنظام باقامة الحدود وإنفاذ الأحكام.

٢ ـ العامل: كان الرسول «ﷺ» ينيب عنه العمال على القبائل وعلى المدينة فيعين من قبله على كل مدينة كبيرة بالحجاز واليمن، وعلى كل قبيلة كبيرة في جميع أرجاء الدولة عاملاً. ومهمته جمع الزكاة والصدقات والإمامة في الصلاة[٢].

وكان الرسول يحسن اختيار عماله وخاصة من وصفوا بالصلاح والأمانة فكان يختار أيضاً المنظور-إليهم بين العرب لسمعتهم ومراكزهم وهذا لم يمنعه «ﷺ» من متابعة أخبارهم ومحاسبتهم.

قال الرسول الكريم «ﷺ»: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله».

ولايقدم الرجل لكونه طلب الولاية أو سبق في الطلب بل كان من أسباب الرفض. فقد ورد في الصحيحين[٣] عن النبي «ﷺ»: «أن قوماً دخلوا عليه فسألوه ولاية فقال: إنا لا نولي أمرنا هذا من طلبه» وقال لعبد الرحمن بن سمرة[٤]: «ياعبد الرحمن لاتسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها» وقال الرسول «ﷺ» لأبي ذر في الإمارة: «إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلاَّ من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» رواه مسلم، وذلك لأن الوالي راع بمنزلة راعي الغنم قال النبي «ﷺ»: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام المسؤول عن الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها والولد راع في بيت أبيه وهو مسؤول عن رعيته والعبد راع

(١) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٢) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٣) الصحيحين هما صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم.

(٤) هو عبدالرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي أسلم يوم الفتح وسكن البصرة وغزا خراسان في زمن عثمان وفتح سجستان وكابل وغيرها. انظر : حاشية السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية، ص ١١، نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته،ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» رواه الشيخان.

وظيفة القضاء: كان النبي «ﷺ» هو القاضي الأعلى في المدينة المنورة ويعين القضاة للولايات أو يشير للولاة بتعيين من يرشحهم، وأول قاض في المدينة[1] هو عبدالله بن نوفل.

وللولاية ركنان: القوة والأمانة قال تعالى:على لسان ابنة نبي الله شعيب﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[2] وقال صاحب مصر ليوسف عليه السلام﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[3].

وقال تعالى في صفة جبريل عليه السلام: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[4].

والقوة لكل ولاية بحسب اختصاصها. فالقوة التي لها إمارة وقيادة الجيش تعود إلى شجاعة القلب والخبرة في الحروب والمخادعة فيها ومعرفة أنواع القتال من طعن وضرب ورمي وكر وفر كما قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[5]وكذلك القوة في الحكم وبين الأفراد: ترجع إلى العلم بالعدل الذي أقره الكتاب والسنة. والقدرة على تنفيذ الأحكام. وأما الأمانة فترجع إلى خشية الخالق كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾[6]ويعين في منصب القضاء الأعلم الورع الأكفأ مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل عند حلول الشبهات».

وكان الرسول يقدم في إمارة الحرب الرجل القوي الشجاع، ولهذا كان «ﷺ»

(١) د. أكرم رسلان ديرانية : الحكم والادارة في الإسلام، ص ٧١.
(٢) سورة القصص ــ آية ٢٦.
(٣) سورة يوسف ــ آية ٥٤.
(٤) سورة التكوير ــ الآيات ١٩، ٢٠، ٢١.
(٥) سورة الأنفال ــ آية ٦٠.
(٦) سورة فاطر ــ آية ٢٨.

يستعمل خالد بن الوليد في الحرب منذ أسلم وقال: «إن خالداً سيف سله الله على المشركين»، في الوقت الذي كان أبو ذر (رضي الله عنه) أصلح منه في أمور أخرى ومع هذا فقد قال الرسول «ﷺ»: «يأبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي لاتأمُرنَّ على اثنين ولا تولين مال اليتيم» رواه مسلم. وكان نهي النبي لأبي ذر عن الإمارة والولاية لأنه رآه ضعيفاً مع أنه «ﷺ» قد روي عنه: «ماأظلت الخضراء[1] ولا أقلت الغبراء[2] أصدق لهجة[3] من أبي ذر» وأمَّر الرسول «ﷺ» عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل استعطافاً لمن تربطه بهم صلة رحم وهم (الذين بعثه الرسول إليهم) على من هم أفضل منه. وعين أسامة بن زيد قائداً لإحدى الغزوات لأجل ثأر أبيه (الذي استشهد في غزوة مؤته).

هذا أسلوب الرسول «ﷺ» في تعيين القادة والولاة والعمال والقضاه حيث كان يستعمل الرجل لمصلحة معينة في الوقت الذي يوجد فيه من هو أفضل منه في العلم والإيمان أو يستعمل شخصاً نيابة عنه على ناحية، كما استعمل عتاب بن أسيد على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، وعلياً ومعاذاً وأبا موسى الأشعري على اليمن، وعمرو بن حزم على نجران.[4]

وكان الرسول «ﷺ» يوجه قادة السرايا والجيوش والعمال والولاة توجيهاً نافعاً يدفعهم إلى البذل والتضحية والإخلاص في المهام المكلفين بها مراعياً (صلوات الله وسلامه عليه) تحقيق الهدف الأسمى الذي ينشده وهو نشر عقيدة التوحيد، وهذا الأمر الأسمى هو الذي حدا به (عليه الصلاة والسلام) أن يكتب إلى أصحابه ورجاله موضحاً لهم الطريق السوية التي يسلكونها سواء في السلم أو الحرب.

---

(١) الخضراء : السماء.

(٢) الغبراء : الأرض.

(٣) اللهجة : اللسان.

(٤) ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ١٨.

المبحث الأول

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير في المدينة المنورة[1]

كتب رسول الله «ﷺ» إلى مصعب بن عمير(٢) لإقامة صلاة الجمعة في المدينة المنورة النص التالي : «أما بعد : فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة، فتقربوا إلى الله بركعتين[3]. وهكذا فإن الرسول الكريم «ﷺ» يوجه الدعاة إلى ما يجب أن يتبعوه للقيام بالأركان الإسلامية جهرة وبصورة جماعية لما في ذلك من إظهار الألفة وتضامن المسلمين وتوجيه عبادتهم لخالقهم الواحد الأحد والقيام بذلك علانية أمام أصحاب العقائد الأخرى. ويستفاد من الرسالة النبوية الآثار والدلالات الإعلامية التالية :

١ ـ إن الإسلام أصبح حقيقة له وجوده وله أتباعه من المسلمين في المدينة المنورة.

٢ ـ اختيار وقت حدده الرسول وهو يوم الجمعة لاقامة الصلاة جماعة وجهرة وبحضور المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً للتقرب إلى رب العالمين وشكره على نعمائه التي لا تحصى، واجتماع المسلمين في الصلاة يوم الجمعة يؤكد وحدتهم وقوة إيمانهم بعقيدتهم.

---

(١) ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، طبعة أولى، دار المعارف، ص ٢١.

(٢) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي، كان من فضلاء الصحابة وخيارهم ومن السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة مرتين. ومن أوائل المهاجرين إلى المدينة المنورة وكان داعياً للإسلام في المدينة حيث بعثه رسول الله إليهم ليفقههم في أمور الدين ويعلمهم القرآن وكتب إلى الرسول «ﷺ» يستأذنه في أن يجمع بالمسلمين في المدينة فأذن له وكتب رسالته وبذلك يعتبر مصعب أول من جمع في الإسلام جمعة، حضر غزوة بدر وأحد واستشهد في الأخيرة (انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، جـ٤، ص ٣٦٨، ٣٦٩ وصور من الجهاد للشيخ زيد بن فياض، ص ٢٨-٢٩ والروض الأنف للسهيلي، جـ٢، ص ١٨٦-١٨٧).

(٣) د. محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط١ عام ١٣٨٩هـ بدار الإرشاد، بيروت، ص ٣٥.

الصلاة : لما افترضت الصلاة على رسول الله «ﷺ» أتاه جبريل عليه السلام فصلى به الظهر حين مالت الشمس. انظر : سيرة النبي لابن هشام، جـ١، ص ٢٦٣.

٣ ــ أصبحت العقيدة الإسلامية هي الأساس في التجمع والتوجه إلى الخالق بقلوب خاشعة بعد أن كان العرب متفرقين. لا عقيدة صحيحة لهم كما يقول تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾(١).

٤ ــ إن اليهودية المنحرفة ليست العقيدة الوحيدة في الميدان في المدينة المنورة والتي كان اليهود يتباهون بها على العرب فقد ظهرت عقيدة الإسلام وهي عقيدة التوحيد التي تنزه الخالق عن الشريك والند والولد.

٥ ــ كثرة أتباع العقيدة الإسلامية، مما استدعى قيامهم بالصلاة جماعة وجهرة في مكان متسع لأداء صلاة الجمعة. قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

ويدل ذلك دلالة واضحة على انتشار الإسلام بصورة واسعة في المدينة كما يؤكد قوة ايمان المسلمين الذين حرصوا على آداء الصلاة جهرة وبشكل جماعي لم يألفه العرب ولم يتوقعه اليهود.

---

(١) سورة آل عمران ــ آية ١٠٣.

(٢) سورة الجمعة ــ آية ٩.

المبحث الثاني

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى عبدالله بن جحش[1]

١ ــ هو عبدالله بن جحش بن رئاب الأسدي أبو محمد، أسلم قبل دخول النبي «ﷺ» دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة بأهله وهو أول أمير في سرية وغنيمته أول غنيمة غنمها المسلمون وخمَّس الغنيمة فكان أول مخمِّس في الإسلام وشهد غزوة بدر وغزوة أحد واستشهد في الأخيرة، وقاتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي، وكان عمر عبدالله بن جحش أربعين سنة ونيفاً.

بعث رسول الله «ﷺ» عبدالله بن جحش ليرصد تحركات قريش وكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر في الكتاب إلا بعد مسيرة يومين وبعد ذلك ينظر فيه فيمضي لما أمره بشرط عدم الضغط على من معه للسير معه في المهمة المكلفين بها.

وهذا نص الرسالة النبوية الشريفة :

«إذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم»[2].

والرسول صلوات الله وسلامه عليه يعلم نوايا قريش العدوانية ضد الإسلام والمسلمين رغم هجرتهم بدينهم إلى يثرب، ولذلك فهو «ﷺ» حريص أشد الحرص على رصد حركاتهم وتحركاتهم وهو في قاعدته الأمنية في المدينة، وليكون على بينة من الأمر، وكذلك ليعد العدة لمواجهة كل التطورات المحتملة، وليدحض الإشاعات والأراجيف الي تبثها قريش عن ضعف المسلمين بوساطة عملائها من اليهود والمنافقين وغيرهم. وليؤكد محمد «ﷺ» للمؤمنين عدم الالتفات للاشاعات المغرضة انطلاقاً

---

(١) انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، جـ٣، ص ١٣٣. وانظر : سيرة النبي لابن هشام، جـ٢، ص ٢٣٨.

(٢) محمد عبدالملك بن هشام : سيرة النبي، دار الفكر، جـ٢، ص ٢٣٩. وانظر : عيون الأثر لابن سيد الناس، دار المعارف، بيروت، م١، ص ٢٢٧.

من قول الله تعالى : ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١].

وقال جل شأنه : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[٢]. وفي ذات الوقت أراد الرسول القائد «صلى الله عليه وسلم» أن يرهب المشركين من الأعراب والذين يتربصون بالمسلمين الدوائر عند أول فرصة، وكذلك جمع المعلومات الكاملة عن العدو وتحركاته، بإرسال هذه المفرزة كدورية[٣] استطلاعية، وكان يهدف أيضاً من وراء ذلك إلى إعلام أعداء الإسلام بقوة المسلمين وليثبت لهم قدرتهم على نشر عقيدتهم والدفاع عنها ضد أي معتد[٤].

وبإمعان النظر في الأمر النبوي العسكري لقائد السرية والهدف منها يمكن استخلاص الدلالات الإعلامية التالية :

أولاً : إشعار أعداء الإسلام بقوة المسلمين. قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٥].

ثانياً : كتمان الهدف الأساسي من القوة الاستطلاعية لكي لا يستطيع أحد من أهل المدينة على اختلاف ميولهم وأهوائهم أن يعرف نيات النبي، ولا المطلوب من سرية عبدالله بن جحش، لأن هذا الأسلوب يعتبر من الأسرار العسكرية، حيث حذّر الإسلام

---

(١) سورة الأحزاب ــ آية ٦٠.

(٢) سورة النساء ــ آية ٨٣.

(٣) الدوريات هي مفارز واجبها جمع المعلومات عن قوة العدو وتسليحه وعن الأرض وهي نوعان :
أ ــ دوريات استطلاع وهي المفارز التي تحصل على المعلومات دون قتال لذلك تكون صغيرة العدد سريعة الحركة.
ب ــ دوريات قتال وهي المفارز التي تحصل على المعلومات بالقتال لذلك تكون قوية في عددها وعدتها.
انظر : حاشية الرسول القائد لمحمود شيت خطاب، ص ٩٣.

(٤) محمود شيت خطاب : الرسول القائد، ط٤ عام ١٣٩١هـ، دار الفكر، بيروت، ص ٨٥.

(٥) سورة الأنفال ــ آية ٦٠.

من إشاعة الأسرار الحربية. قال تعالى : ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].
وهو أمر عسكري موجز ببلاغة حيث فيه المعاني الكبيرة في الألفاظ القليلة.

ثالثاً : عدم إجبار أي مجاهد على المضي مع السرية وفي نفس الوقت نفذ القائد المهمة قائلاً : «سمعاً وطاعة»[2] وفي هذا منتهى نبل القصد حيث أن العملية اجتهادية اختيارية لتحقيق أهدافها دون ضغط أو إكراه، ولقوة إيمان أفراد السرية لم يتخلف منهم أحد بل مضوا في سبيلهم.

رابعاً : الوصول إلى موقع ذي أهمية وقريب من موطن العدو وهو نخلة[3] الذي حدده الرسول «ﷺ» لاستطلاع أخبار قريش العسكرية والتجارية وجمع المعلومات عنها ولقد حققت السرية أهدافها إلا أنها قامت بقتال الأعداء رغم عدم صدور الأمر بذلك من الرسول القائد، لذلك استغلت قريش ومن لف لفها واليهود هذه الحادثة لوقوعها في الشهر الحرام للتشهير بأفعال المسلمين، ولكن الله تعالى ردّ كيدهم في نحورهم حيث قال سبحانه مبرراً اندفاع المجاهدين لقتال العدو : « يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[4].

كما أنها أول حادثة يقتل فيها شخص من المشركين، وأول غنيمة وأول أسيرين[5] أحدهما : الحكم بن كيسان[6] إضافة إلى أنها أثارت انتباه الأعداء والقبائل العربية المجاورة وغيرهم إلى القوة الإسلامية الفتية في المدينة وأنه يجب أن يحسب حسابها.

---

(١) سورة الأحزاب ــ آية ٦٠.

(٢) عبدالملك بن هشام، سيرة النبي، جـ٣، ص ٢٣٩.

(٣) نخلة : بين مكة والطائف واد يوجد به مسجد للرسول «ﷺ» وبه عسكرت هوازن يوم حنين وبينه وبين مكة مسيرة ليلتين يجتمع بها حجاج أهل نجد. انظر : معجم البلدان لياقوت، جـ٥، ص ٢٧٧، ٢٧٨.

(٤) سورة البقرة ــ آية ٢١٧.

(٥) سيرة النبي لابن هشام، جـ٢، ص ٢٤٢.

(٦) الحكم بن كيسان : أسلم فحسن إسلامه وجاهد في سبيل الله حتى قتل شهيداً يوم بئر معونة ورسول الله راضٍ عنه. انظر : كتاب المغازي للواقدي، جـ١، ص ١٥.

المبحث الثالث

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد (١)

بعث الرسول «ﷺ» خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم وأن يعطيهم فرصة ثلاثة أيام فإذا دخلوا في الإسلام يقبل منهم، وإن رفضوا يحاربهم.

ولما قدم عليهم خالد بجيشه بعث رجاله في كل اتجاه داعياً القوم للإسلام «أيها الناس أسلموا تسلموا» فأسلم الناس ولذلك أقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة رسوله حسب تعليمات الرسول «ﷺ» ثم كتب خالد إلى الرسول «ﷺ» «بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد النبي رسول الله من خالد بن الوليد السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله هو أما بعد :

فيارسول الله صلى الله عليك فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه وإن لم يسلموا قاتلتهم وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرتني يارسول الله وبعثت فيهم ركباناً (يابني الحارث أسلموا تسلموا) فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي «ﷺ» حتى

---

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي. وفد مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة بعد الحديبية على الرسول «ﷺ» في المدينة، وتولى قيادة المسلمين في معركة مؤتة بعد موت الثلاثة الكبار الذين عينهم رسول الله «ﷺ» ونعته رسول الله سيف الله المسلول، وبعثه الرسول «ﷺ» إلى أكيدر بدومة الجندل حيث أسره وقتل أخاه حسان وكان خالد من قادة فتح مكة وقاد كذلك عدة معارك إسلامية ظافرة وهو من أبطال حروب الردّة في عهد أبي بكر الصديق واشترك في فتوح العراق والشام وانتصر على البيزنطيين انتصاراً مؤزراً في موقعة اليرموك عام ٦٣٦م. انظر : الموسوعة العربية الميسرة، جـ١، ص ٧٤٩، محمد شفيق غربال.

يكتب إليّ الرسول «ﷺ» والسلام عليكم يارسول الله ورحمته وبركاته»[1].

وقد ردّ عليه رسول الله «ﷺ» موجهاً إياه إلى مايجب اتباعه وكتب إليه :

نص الرسالة النبوية الشريفة لخالد بن الوليد :

«من محمد رسول الله إلى خالد بن الوليد : سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[2].

وهكذا وبفضل من الله، ثم بتوجيهات رسوله الكريم لقائده خالد بن الوليد المكلف بمهمة دعوة إحدى القبائل العربية (قبيلة كعب بن الحارث) للإسلام وترك عبادة الشرك والأوثان هذه المهمة قد أتت ثمارها وذلك بالأسلوب المقنع وإعطاء الفرصة للقوم ثلاثة أيام للتفكير حيث انتهى بهم تفكيرهم ومشاورتهم إلى الاقتناع باتباع الإسلام ديناً وبمحمد رسولاً دون إراقة دماء عن قناعة وبصيرة، والقائد المسلم خالد بن الوليد بعد أن حقق الهدف هو بحاجة إلى توجيهات الرسول الكريم وإجابة الرسول عليه الصلاة والسلام فوراً.. أن يبشرهم بخير الدنيا ونعيم الآخرة.

وأمره الرسول بالحضور برفقة وفد منهم.

ومن يطلع على الرسالة النبوية الشريفة الموجهة إلى قائد المجاهدين الدعاة يخلص إلى الدلالات الإعلامية التالية :

---

(١) محمد يوسف الكاندهلوي : حياة الصحابة، ط١ عام ١٣٧٩هـ، بيروت، دار المعرفة، جـ١، ص ٩٥، المرجع السابق، ص ٩٥، ٩٦. وانظر : مخطوطة السيرة النبوية للإمام الكازوني، م١، ص ٢٦٦ ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي للدكتور محمد حميد الله، جـ١، ص ١٣١، مع ملاحظة وجود نقص في بعض العبارات في المخطوطة والمجموعة المنوه عنها إلا أن النقص في الكلمات لا يخل بالمعنى العام للرسالة.

(٢) أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا، ط١ عام ١٣٨٣هـ بالقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، جـ٦، ص ٣٦٧، وانظر : مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، حـ١، ص ١٣٢ مع زيادة من النبي والروض الأنف للسهيلي، جـ٧، ص٤١٨ مع زيادة من (محمد النبي) وبني الحارث (بن كعب). وانظر : مخطوطة سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للشيخ محمد بن علي الشامي الصالحي، جـ٢، ص ٤٣١.

أولاً : الأمر الواضح الدلالة بعدم القتال والبدء به والاتجاه أولاً إلى الدعوة إلى قبول الإسلام مع إعطاء الفرصة للتفكير ثلاثة أيام لمن يدعوهم. وهذا يعني عدم العدوان والاغتصاب والاستغلال وقد نفذ خالد أوامر رسوله لأنها أساس الانضباط والنظام بالنسبة للجيوش في الدرجة الأولى قال تعالى :﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2].

ثانياً : إرسال الدعاة (الركبان) لدعوة الناس للإسلام (أسلموا تسلموا) دلالة إعلامية توضح سماحة الدين الإسلامي المتمثلة في إعطاء المدعوين فرصة التفكير فيما هم عليه من عقائد وما يدعو إليه دين التوحيد وحرية الاختيار وهذه الفرصة الطيبة نتج عنها اقتناع المدعوين بصحة دعوة المجاهدين وبطلان عقيدة الشرك لذلك أسلموا، ولا غرابة فهم عرب يعرفون نسب صاحب الدعوة وما أحرزه دينه من انتصارات على ملوك الشرك والعقائد الأخرى الباطلة وذلك لصدق الدعوة وسماحة وكرم صاحب الدعوة. قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[3].

ثالثاً : مكافأة من هداهم الله بهداه ﴿**وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله**﴾ بأن يبشرهم بالأمن والسلام وجنة النعيم قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة ــ آية ٢٨٥.

(٢) سورة المائدة ــ آية ٩٢.

(٣) سورة آل عمران ــ آية ١٥٩.

(٤) سورة إبراهيم ــ آية ٤.

(٥) سورة الأحزاب ــ الآيتان ٤٥، ٤٦.

رابعاً : عودة القائد ومعه وفد من القوم الذين أسلموا للتشرف بمقابلة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام لمبايعته على الإسلام وليتأكد الرسول «ﷺ» من حسن إسلامهم، وليزودهم بتعاليمه النبوية الشريفة وفي نفس الوقت وقف العمليات والمظاهر العسكرية، لأنه لا لزوم لها وعودة قائد المجاهدين لتطمئن القبائل الأخرى أن هدف الرسول هو الإسلام وتحقيق السلام والأمن في ربوع البلاد قال تعالى : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢)

ولقد حققت الحملة النبوية بالدعوة الإسلامية المزودة بتوجيهات المصطفى عليه الصلاة والسلام لقائد المجاهدين خالد بن الوليد أهدافها ونجحت في مهمتها نجاحاً مؤزراً. قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

وتوج نجاح حملة الرسالة النبوية الشريفة والتي تتسم بالتشجيع والتهنئة لقائد جيش الدعاة ولمن هداهم الله بهداه والتي تضمنت طلب حضور وفد ممن أسلموا هذا الطلب زادهم ثقة بأنفسهم وبعقيدتهم وأن السلام والأمن سوف يحلان في ربوعهم. قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾(٤).

وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾(٥).

وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة ــ آية ١٢٨.

(٢) سورة يونس ــ آية ٢٥.

(٣) سورة آل عمران ــ آية ١٠٤.

(٤) سورة البقرة ــ آية ١١٩.

(٥) سورة مريم ــ آية ٩٧.

(٦) سورة الفتح ــ آية ٨.

لدا : ذوو جدل وشدة خصومة، والمفرد لد.

المبحث الرابع

كتب «ﷺ» لعامله العلاء بن الحضرمي على البحرين :

النص :

«أما بعد فإني قد بعثت إلى المنذر بن ساوى من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية، فعجله بها. وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور والسلام»[1].

هذا وقد سبق للنبي الكريم أن كتب للمنذر بن ساوى بصفته والي البحرين من قبل الرسول «ﷺ» ووجهه فيها إلى فرض الجزية على بعض أهل البحرين : «افرض على كل رجل ليس له أرض أربعة دراهم وعباءة»[2].

وكتب أيضاً إلى المنذر «أما بعد : فإني قد بعثت إليك قدامة وأبا هريرة فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك والسلام»[3].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «أخذ رسول الله «ﷺ» الخراج من المجوس لأجل كتابهم وحرم مناكحتهم وذبائحهم لشركهم»[4].

وهذا مصداق لأوامر الرسول «ﷺ» للمنذر «أعرض عليهم الإسلام فإن أسلموا فلهم مالنا وعليهم ماعلينا ومن أبى فعليه الجزية في غير أكل لذبائحهم ولا نكاح لنسائهم»[5].

والرسول قد قبل من المجوس (أهل البحرين) الجزية وأقرهم على مجوسيتهم، وكان عامل الرسول «ﷺ» العلاء بن الحضرمي، واتبع أبوبكر وعمر وعثمان سنة الرسول في معاملتهم»[6].

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ١، ص ٢٧٦. وانظر : مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، جـ١، ص ١١٩.

(٢) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، جـ١، ص ١١٩.

(٣) علي بن حسين الأحمدي، مكاتيب الرسول، جـ١، ص ٢٢٢ والمجموعة السياسة، جـ١، ص ١١٩.

(٤) القاضي أبو يوسف بن إبراهيم : كتاب الخراج، ط٥ عام ١٣٩٦هـ بالقاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ص ١٤١.

(٥) د. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق، جـ١، ص ١١٨.

(٦) القاضي أبو يوسف : كتاب الخراج، ص ١٤١.

والرسول «ﷺ» يعامل المستسلمين من المشركين وغيرهم بهذا الأسلوب التسامحي ليؤكد يسر وسماحة الإسلام المتضمنة عدم إجبار أحد على اعتناق الإسلام حيث تترك الحرية لغير العرب من يهود ونصارى ومجوس لاعتناق الإسلام. أو البقاء على عقائدهم نظير جزية بسيطة من المال، وأوامر الرسول «ﷺ» نابعة من سماحة هذا الدين القيم لأن الله بعث محمداً «ﷺ» هادياً ولم يبعثه جابياً، وفي ذلك ذكر الله جل جلاله موجهاً رسوله إلى هذا السلوك القويم.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(١).

هذه الأساليب الكريمة والمعاملة البناءة من قبل الرسول تجاه هؤلاء الذميين تمت في الوقت الذي كان فيه الفرس والروم في مثل هذه الحالة يقتلون ويسبون ذراري مخالفيهم. وفي أغلب الأوقات يفرضون عقائدهم على المغلوبين. وقصة أصحاب الأخدود التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مؤشر صادق على تصرفات دول تلك الفترة. وهدف الإسلام أساساً هو إخلاص العبادة لله وحده وعدم الشرك به، وفي الوقت نفسه إنقاذ الضعفاء والبر بالإنسان ومقاومة الجبروت والطغيان وأسباب الشر والفساد(٢).

وفرضت الجزية نظير حماية المغلوبين في عقائدهم وأموالهم وأعراضهم وإتاحة الفرصة لهم للتمتع بحقوق الرعاية مع المسلمين سواء بسواء وبذلك فإن فرض الجزية بعيد عن الاستغلال والطمع في أموال المستسلمين، وكانت على ثلاث درجات: أعلاها (ثمان وأربعون) درهماً في السنة على الأغنياء. وأوسطها (أربعة وعشرون) درهماً في السنة على المتوسطين من تجار وزراع، وأدناها وهو (اثنا عشر) درهماً في السنة على العمال المحترفين. وهذه المبالغ تعتبر بسيطة إذا ماقيست بما يدفعه المسلم من زكاة ماله وهو بنسبة (اثنان ونصف) في المائة وهو فريضة الزكاة(٣).

كما أن المسلمين أسقطوا الجزية عن الفقير والصبي والراهب والمرأة والأعمى

---

(١) سورة الاسراء ــ آية ١٥.

(٢) محمود شيت خطاب: الرسول القائد، ص ٤٧.

(٣) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: كتاب الخراج، ص ١٣٢.

وذوي العاهات وهذا دليل واضح على أن الجزية قد روعي فيها قدرة المكلفين وقد أعفى الإسلام دافع الجزية من الخدمة في الجيش، وضمن الإسلام أيضاً إعالة البائسين وذوي الحاجة من الذميين[1].

وبذلك فإن فرض الجزية لا يعتبر تعسفاً لمن فرضت عليهم وفرضها أمر رباني قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2].

ونص دستور الإسلام المقدس على كيفية معاملة المسلمين لغير المسلمين فقد قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[3].

وقال أبو يوسف: أنه قد روي عن رسول الله «ﷺ» أنه: «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه»[4].

ومن خلال دراسة رسائل النبي «ﷺ» إلى عماله والمتعلقة بكيفية معاملة أهل الذمة والذين يبقون على عقائدهم نستطيع أن نستخلص الدلالات الإعلامية التالية:

أولاً: حرية العبادة لمن لايريدون اعتناق الدين الاسلامي اتباعاً لقول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ﴾[6].

وهذه المبادىء لها دلالتها الاعلامية السامية في نفوس الناس مما جعلهم يفكرون في مبادىء الاسلام وسماحته وأنه دين البشرية الذي سيسعدهم لو اتبعوه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[7].

---

(١) محمود شيت خطاب: الرسول القائد، ص ٤٥.
(٢) سورة التوبة ــ آية ٢٩.
(٣) سورة الممتحنة ــ آية ٨.
(٤) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: كتاب الخراج، ص ١٣٥.
(٥) سورة الغاشية ــ الآيتان ٢١، ٢٢.
(٦) سورة البقرة ــ آية ٢٥٦.
(٧) سورة الحجرات ــ آية ١٣.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

ثانياً: دفع جزية بسيطة مقابل الحفاظ على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم لهي دلالة واضحة على نظرة الإسلام المتضمنة عدم البحث عن المكاسب المادية الدنيوية وإنما غرضها الأمن والسلامة اللذان يتحققان بعبادة الواحد الأحد.

وكانت المبادىء المذكورة مجهولة قبل الإسلام وبها ظهرت سماحة وسلامة مبادئه كدين يرعى الحقوق والواجبات في وقت لم تكن فيه للشعب حرية أو كرامة في حالة استعمارها، ومن ثم حركت هذه المبادىء السامية العالم من أقصاه إلى أقصاه. قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٢).

ثالثاً: تحريم أشياء ذات أثر فعال على نفسية من لم يعتنق الإسلام وهو يعيش بين المسلمين ومنها: عدم أكل ذبائحهم وعدم نكاح نسائهم كما في قوله «في غير أكل لذبائحهم ولانكاح لنسائهم» وذلك لان المجوس ومن على شاكلتهم من أهل العقائد الباطلة يوجهون ذبائحهم إلى الشيطان لا إلى الرحمن قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣).

وهذا أمر له خطورته على اقتصاديات وعلاقات أصحاب العقائد والنحل المغايرة لعقيدة الإسلام لما فيها من مقاطعة اقتصادية واجتماعية لهم حيث عبد المجوس النار وأجازوا الزواج من المحرمات(٤).

وهذه مقاطعة سوف تنبههم إلى فساد عقائدهم وسوء تصرفاتهم وبالتالي إعادة النظر فيها. ولننظر إلى الفقرة التالية من البيان الذي ألقاه مبعوث الرسول «ﷺ» العلاء بن الحضرمي بين يدي المنذر بن ساوى وهو يعظه قال العلاء للمنذر: «إن هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب ينكحون مايستحيى من نكاح ويأكلون مايتكره على أكله ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة».

---

(١) سورة الأنعام ــ آية ٧١.

(٢) سورة آل عمران ــ آية ٨٥.

(٣) سورة الأنعام ــ آية ١٦٢.

(٤) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، ص ١٤٠، ١٤١.

رابعاً: سرعة ارسال ماجمع من الأموال «جزية وصدقات» لصرفها لمستحقيها من المجاهدين على ضوء ماجاء في الآيه الكريمة من سورة التوبة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾[١].

وذلك لاقامة وبناء المجتمع بصورة قوية، والانفاق على المجاهدين لأن المفروض على الجندي أن يكون قوياً قادراً على حمل السلاح واستخدامه وفي نفس الوقت أن يطمئن على مصير من يعول.

ولقد أثبت المجاهدون والدعاة الذين رعاهم الاسلام أنهم مخلصون لعقيدتهم وتعاليم نبيهم لهم عليه الصلاة والسلام مع ملاحظة أن الفضل في انتشار الاسلام ليس بسيوف أهله ورماحه ولو كان لزال سلطانه من القلوب بزوال سلطان دولته، فالمجاهدون والدعاة همهم حماية نشر العقيدة الاسلامية وتأمين حرية انتشارها قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٢] ولقد نتج عن رسائل النبي «ﷺ» لعماله في اقليم البحرين وغيره الآثار الاعلامية التالية:

١ ــ تحول الغالبية العظمى من أهالي البحرين إلى الاسلام حيث حضر وفدهم المكون من عشرين رجلاً بزعامة عبدالله بن عوف بن الأشج، وقد رحب بهم رسول الله «ﷺ» حيث قال: «مرحباً بكم نعم القوم عبدالقيس» وأمر لهم بجوائز. وحضر وفد آخر من البحرين بزعامة الجارود وكان شريفاً في الجاهلية وعلى دين النصارى[٣].

٢ ــ أسلم سكان وقبائل المناطق المحلية بالبحرين من أهل هجر وغيرها حيث حضر وفد مرسل من سيبخت والمرسل هو الأقرع بن حابس وقد شفعه الرسول في قومه حيث قال له رسول الله «ﷺ» انه قد جاءني الأقرع بكتابك وشفاعتك لقومك،

---

(١) سورة التوبة ــ آية ٦٠.

(٢) سورة البقرة ــ آية ١٩٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٥، ص ٥٥٧ وص ٥٥٩، وانظر : عبدالرحمن عبدالكريم النجم، البحرين في صدر الإسلام، ص ١٠٦.

وأني قد شفعتك وصدقت رسولك الأقرع في قومك فابشر فيما سألتني[1] وطلبتني بالذي تحب ولكني نظرت أن أعلمه وتلقاني، فإن تجئنا أكرمك وأن تقعد أكرمك. أما بعد فإني لا أستهدي أحداً، فإن تهد إلى أقبل هديتك. وقد حمد عمالي مكانك وأوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة والزكاة وقرابة المؤمنين، وأني قد سميت قومك «بني عبدالله» فمرهم بالصلاة وبأحسن العمل وأبشر، والسلام عليك وعلى قومك.

فالرسول يحسن التوجيه والتشجيع لمن يظهر إخلاصاً وصدقاً قال تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ** ﴾[2].

---

(1) د. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق، جـ١، ص ١١٨، ص ١٢٠.

(2) سورة الأنعام ــ آية ٨٢.

المبحث الخامس

رسالته «ﷺ» إلى عمرو بن حزم[1] حين استعمله على نجران[2] بعد أن أسلم بنو الحارث بن كعب على يد قائد المجاهدين الدعاة خالد بن الوليد الذي بعثه الرسول «ﷺ» إلى هناك وأسلموا وأقبل وفد منهم برفقة خالد بن الوليد بناء على أمر النبي، وجرى حوار لاهب بين الرسول الكريم «ﷺ» وبينهم[3] وانتهى النقاش باقتناع رسول الله «ﷺ» بحسن إسلامهم وثباتهم على الإيمان ثم أمَّر عليهم[4] قيس بن الحصين وبعد أن انصرفوا بعث إليهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنّة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم الصدقات المفروضة، وقد زوده الرسول «ﷺ» بكتاب عهد إليه فيه عهده[5] وجاء في الكتاب:

---

(١) هو عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي. حضر غزوة الأحزاب، واستعمله الرسول «ﷺ» على أهل نجران وهم بنو الحارث بن كعب، وكان عمره عند توليته سبع عشرة سنة، وذلك بعد إسلامهم على يد خالد بن الوليد، وتوفي عمرو بن حزم بالمدينة (انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، جـ٤، ص ٩٨، ٩٩).

(٢) نجران : بالفتح ثم السكون وآخره نون والنجران في كلامهم : خشبة يدور عليها رتاج الباب وقالوا سمي نجران بن زيدان بن سلم بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمّرها ونزلها وقد كان أهل نجران مشركين يعبدون الأصنام وقد دخلتها النصرانية على يد أحد المبشرين النصارى واسمه فيميون وتلميذه النجراني عبدالله بن الثامر وقد سار إليهم ذو نواس، الملك العربي اليمني الذي اعتنق اليهودية ديناً فدعى أهل نجران لاعتناق عقيدته ولكنهم رفضوا، وخيّرهم بين القتل أو اتباع عقيدته فاختار معظمهم القتل فخد لهم الأخدود وحرق من حرق وقتل من قتل ومثّل بهم. وفي ذي نواس أنزل الله تعالى : **﴿قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود﴾** إلى آخر السورة.

وفتحت نجران في زمن النبي «ﷺ» في سنة عشر صلحاً ووفد على النبي وفد نجران وفيهم السيد واسمه وهب والعاقب اسمه عبدالمسيح والأسقف وهو أبوحارثة، وأراد الرسول «ﷺ» مباهلتهم فامتنعوا وصالحوا النبي فكتب لهم كتاباً بذلك. انظر : معجم البلدان لياقوت، جـ٥، ص ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩.

(٣) قال أحد أفراد وفدهم وهو زيد بن عبدالله المدان مجيباً رسول الله «ﷺ» على أحد الأسئلة الفذة الموجهة للوفد. أما والله ماحمدناك ولا حمدنا خالداً قال : فمن حمدتم ؟ قالوا حمدنا الله الذي هدانا بك يارسول الله. فقال رسول الله «ﷺ» : «صدقتم»(١) الامام أبو الفداء إسماعيل بن كثير : السيرة النبوية، ط٢ عام ١٣٩٨هـ، بيروت، دار الفكر، جـ٢، ص ١٩٠.

(٤) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٥) نفس المرجع السابق.

نص الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله ورسوله ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهداً من رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين وأن ينهى الناس فلا يمسَّ أحد القرآن إلا وهو طاهر، وأن يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ويلين للناس في الحق ويشتد عليهم في الظلم، فإن الله كره الظلم ونهى عنه وقال: «ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله». وأن يبشر الناس بالجنة وبعملها، وينذر الناس النار وعملها ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسنه وفريضته وما أمره الله به، (والحج الأكبر والحج الأصغر «العمرة»).

وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير إلا أن يكون واسعاً فيخالف بين طرفيه على عاتقه وينهى أن يحتبي الرجل في ثوب واحد ويفضي بفرجه إلى السماء ولا يعقص شعر رأسه في قفاه وينهى الناس إن كان بينهم هيج أن يدعوا القبائل والعشائر ولكن دعاؤهم إلى الله وحده لاشريك له، فمن لم يدع الله ودعا العشائر والقبائل فليقطفوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لاشريك له ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وغسل وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين وأن يمسحوا رؤوسهم كما أمرهم الله عز وجل.

وأمروا بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود وأن يغلس بالصبح وأن يهجر بالهاجرة حتى تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لاتؤخر حتى لاتبدو النجوم في السماء والعشاء أول الليل وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله وماكتب على المؤمنين من الصدقة فمن العقار وفيما سقى العين وفيما سقت السماء العشر وماسقى الغرب نصف العشر وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي عشرين أربع شياه وفي أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعه جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله افترضها على المؤمنين فمن زاد فهو خير له ومن أسلم من اليهود أو النصارى إسلاماً خالصاً من نفسه فدان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مالهم وعليه ماعليهم، ومن بقي على يهوديته أو نصرانيته فإنه لايغير عنها وعلى كل حالم ذكر وأنثى حر أو عبد دينار واف أو عوضه من الثياب، فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله ورسوله ومن منع ذلك فإنه عدو

الله ورسوله والمؤمنين جميعاً، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته[1].

ولقد تابع الرسول «ﷺ» بعث عماله ورجاله وبعض قادة المجاهدين **معلمين** وفقهاء للأقاليم التي دخلها الإسلام لإعلام الناس بما أفاء الله عليهم بدخولهم الإسلام من السلام والأمن وكذلك لتعليمهم أصول دينهم وتنظيم حياتهم اليومية وواجباتهم نحو دولة الإسلام، ومن النواحي التي شملتها عناية وحرص النبي «ﷺ» اليمن التي بعث إليها كبار الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد وأبو موسى الأشعري وغيرهم. وقد بعث رسالة مماثلة لصحابي جليل من طبقة عمرو بن حزم عندما عينه عاملاً على اليمن وأميراً على عمالها.

---

(١) الامام أبو الفداء إسماعيل بن كثير : السيرة النبوية، ط٢ عام ١٣٩٨هـ، بيروت، دار الفكر، جـ٢، ص ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩. وانظر : سيرة النبي لابن هشام، جـ٤، ص ٢٦٥. وانظر : مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، جـ١، ص ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥. وانظر : كتاب الخراج لأبي يوسف حيث ذكر العهد لعمرو بن حزم مختصراً وجاء فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم» هذا أمان من الله ورسوله ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهد من محمد النبي لعمرو بن حزم حيث بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله وأن يفعل ويفعل ويأخذ من المغانم خمس الله جل ثناؤه وماكتب على المؤمنين في الصدقة من الثمار : الخراج لأبي يوسف، ص ٧٧ وهناك اختلافات في بعض الألفاظ كما ورد في المجموعة مثل هذا بيان، وعهد من النبي، وكره بدل حرم وزيادات مثل (الذين يصدون عن سبيل الله) وكذلك (وأمره بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها والغسل عند الرواح إليها) وغيرها من ألفاظ ولا تخل بالغرض والمقصود من العهد.

المبحث السادس

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل[1]

فبعد أن كتب الرسول الكريم كتاباً باقرار أهل اليمن على ماأسلموا عليه من أموالهم وأملاكهم وجه إليهم رسله وعماله لتعريفهم بشرائع الاسلام وسننه وقبض صدقاتهم، وقتال الكفار[2] ولقد أعلم الرسول «ﷺ» زعماء اليمن أن أمير رسله هو معاذ بن جبل وأنه «من صالحي أهلي ومن ذوي دينهم فآمركم به خيراً فإنه منظور إليه»[3].

وكتب رسول الله «ﷺ» إلى معاذ وهو باليمن أن فيما سقت السماء أو سقى غيلا العشر. وفيما سقى بالغرب نصف العشر وفي الحالم أو الحالمة ديناراً أو عدله من المعافر ولا يفتن يهودي عن يهوديته[4] هذا وقد كان رسول الله «ﷺ» قد بعث

---

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري خزرجي وينسب إلى بني سلمة ويكنى أبا عبدالرحمن وكان أحد السبعين في العقبة مع الأنصار، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي «ﷺ» وآخى الرسول بينه وبين الصحابي عبدالله ابن مسعود وكان معاذ من أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً. انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، جـ٤، ص ٣٧٦، ٣٧٧ وأوعز إليه ابن سعد في الطبقات الكبرى، جـ٢، ص ٣٤٧، ٣٤٨ وأشار إليه البلاذري في فتوح البلدان ص ٨١، ٨٢ وانظر : الشيخ محمد بن علي الأكوع في الوثائق السياسية اليمنية ص ١٢٥ حيث قال : «كان معاذ جهير الصوت شاباً من أفضل شباب قومه حليماً صبياً ذا وسامة ووضاءة وذكاء وفهم وثقة. غزا الشام ومات في طاعون عمواس سنة ١٦هـ وكانت مكانته عند النبي «ﷺ» محفوظة حيث يعتبر من كبار الصحابة وفضلائهم فقد أردفه الرسول «ﷺ» خلفه وقال فيه : معاذ أعلم أمتي بالحلال والحرام، معاذ إمام العلماء وغير ذلك».

(٢) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري : فتوح البلدان، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص ٧٩، ٨٠.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري، ص ٨١.

(٤) أبو عبيدالقاسم بن سلام : الأموال، ط٢ عام ١٣٩٥ بالقاهرة، دار الفكر، ص ٣٠. وأوعز إليه الامام إسماعيل ابن كثير في السيرة النبوية، جـ٤، ص ١٩٦ حيث زاد فيه (أمرني أن آخذ من كل أربعين بقرة مسنّة ومن كل ثلاثين بقرة تبيعاً، ص ١٩٦. وانظر : البداية والنهاية للحافظ بن كثير، جـ٥، ص ١٠١ وص ١٠٢.

أبا موسى الأشعري[١] ومعاذا بن جبل إلى اليمن وقد بعث كلاً منهما إلى مخلاف[٢] لأن اليمن كانت مخلافين وقال لهما الرسول الكريم «يسِّرا ولا تعسِّرا وبشِّرا ولا تنفِّرا» فانطلق كل واحد منهما إلى عمله وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريباً منه أحدث به عهد زاره فسلم عليه[٣] ولقد شيع الرسول الكريم «ﷺ» أمير رسله على اليمن معاذاً بن جبل مودعاً إياه بنفسه حيث نادى بلالاً وبحضور جمع من الصحابة أن يأتيه بعمامة فعمم معاذاً بها وشد له على راحلته وهي ناقة النبي «ﷺ» وخرج بجمع من المهاجرين والأنصار ومعاذ راكب والرسول «ﷺ» يسير إلى جنبه يوصيه فقال معاذ : يارسول الله أنا راكب وأنت تماشيني أنزل لأمشي معك ومع أصحابك. فقال المصطفى «ﷺ» (إنما أحتسب خطاي في سبيل الله)[٤].

ولقد زود رسول الله «ﷺ» معاذاً بتوجيهاته النبوية الشريفة وإرشاداته فأوصاه قائلاً: «يامعاذ أوصيك بتقوى الله العظيم وصدق الحديث وأداء الأمانة، وترك الخيانة وحفظ الجار، وخفض الجناح، ولين الكلام، ورحمة اليتيم، والتفقه في القرآن، والجزع من الحساب، وحب الآخرة، يامعاذ لاتفسدن أرضاً ولاتشتم مسلماً ولاتصدق كاذباً ولاتكذب صادقاً ولاتعصي إماماً عادلاً، يامعاذ أوصيك بذكر الله عند كل حجر وشجر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية يامعاذ إني أحب لك ماأحب لنفسي وأكره لك ما أكره لها. يامعاذ.. إني لو أعلم أننا نلتقي إلى يوم القيامة لأقصرن عليك من الوصية ولكنني لا أدري أنلتقي إلى يوم القيامة.؟ يامعاذ إن أحبكم إلي لمن لقيني يوم القيامة، على مثل هذه الحالة التي فارقني عليها وكتب له في عهده أن لاطلاق لامريء فيما لاعليه ولاعتق فيما لاعليه ولانذر في معصية ولا في

---

(١) أبو موسى الأشعري هو عبدالله بن قيس من الأشعريين من اليمن قدم على النبي «ﷺ» في جماعة من الأشعريين فأسلموا وأول مشاهده خيبر وكان له أخوة أسلموا وأبو موسى خفيف الجسم قصيراً، حسن الصوت، وتوفي سنة ٥٢هـ وقيل عام ٤٢. انظر : المعارف لابن قتيبة ص ٢٦٦.

(٢) المخلاف بلغة اليمن الكوره، والجمع المخاليف. انظر: البخاري، جـ ٤، ص ١٠٨.

(٣) الامام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برد البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ط١، جـ٥، ص ١٠٧، ص ١١٧.

(٤) محمد بن علي الأكوع الحولاني، الوثائق السياسية اليمنية، الطبعة الأولى عام ١٣٩٦هـ، بغداد، درار المرية، ص ١٢٦، ١٢٧.

قطيعة رحم ولافيما لايملك ابن آدم وعلى أن تأخذ من كل حالم ديناراً أو عدل معافر، وعلى أن لاتمس القرآن إلا طاهراً وانك إذا أتيت اليمن يسألك نصاراها عن مفتاح الجنة فقل مفتاح الجنة لا إله إلا الله وحده لاشريك له.

يامعاذ إنك تقدم على أهل الكتاب وانهم يسألونك عن مفاتيح الجنة فأخبرهم أن مفاتيح الجنة لا إله إلا الله وانها تحرق كل شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل لايحجب دونه من جاء بها يوم القيامة مخلصاً رجحت بكل ذنب. يامعاذ تواضع لله عز وجل يرفعك الله، واستدق الدنيا (احتقرها واستصغرها) يؤتك الله الحكمة، فإن من تواضع لله واستدق الدنيا أظهر الله تعالى الحكمة من قلبه على لسانه، ولاتغضبن ولاتقولن إلا بعلم، فإن أشكل عليك أمر فاسأل ولا تستح واستشر فإن المستشير معان والمستشار مؤتمن ثم اجتهد فإن الله عز وجل ان يعلم منك يؤتك وان التبس عليك فقف، وامسك حتى تبينه أو تكتب إلي فيه ولا تفت فيما لم تجد في كتاب الله ولا في سنتي على قضاء إلا عن ملأ واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار، وإذا قدمت عليهم فأقم فيهم كتاب الله وأحسن أدبهم وأقرئهم القرآن يحملهم القرآن على الحق، وعلى الأخلاق الجميلة وأنزل الناس منازلهم فانهم لايستوون إلا في الحدود لا في خير ولا في شر على قدر ماهم عليه من ذلك، ولاتحابينَّ في أمر الله، وأد إليهم الأمانة في الصغير والكبير، وخذ مما لاسبيل عليه العفو وعليك بالرفق، وإذا سألت فاعتذر إلى الناس فعاجل التوبة وإذا أسروا عليك من الجهالة فبيّن لهم حتى يعرفوا، ولا تحاقدهم وأمت أمر الجاهلية إلا ما حسنه الاسلام، وأعرض الأخلاق على أخلاق الاسلام ولاتعرضها على شيء من الأمور. وتعاهد الناس في المواعظ القصد القصد والصلاة الصلاة فإنها قوام هذا الأمر اجعلوها همكم، وآثروا شغلها على الأشغال وترفقوا بالناس في كل ماعليهم ولاتفتنوهم وانظر في وقت كل صلاة فإن كان أرفق بهم فصلوا بهم أوله وأوسطه وآخره صلوا الفجر في الشتاء وغلسوا بها، وأطل في القراءة على قدر مايطيقون لايملون أمر الله ولايكرهونه ويصلون الظهر في الشتاء مع أول الزوال والعصر أول وقتها والشمس حية، والمغرب حيث يحجب القرص صلها في الشتاء والصيف على ميقات واحد إلا من عذر وأخر العشاء شيئاً ما فإن الليل طويل إلا أن يكون غير ذلك، أرفق بهم وإذا كان الصيف فاسفر بالفجر فإن الليل قصير فيدركها النوام وصل الظهر بعد مايتنفس الظل وتبرد الرياح وصل العصر في وسط وقتها وصل

المغرب إذا سقط القرص، والعشاء إذا غاب الشفق إلا أن يكون غير ذلك أرفق بهم. وتعاهدوا الناس بالتذكير وأتبعوا الموعظة بالموعظة فإنه أقوى للعاملين على العمل بما يحب الله. ولا تخافوا في الله لومة لائم واتقوا الله الذي إليه ترجعون.

يامعاذ إني عرفت بلاءك في الدين والذي ذهب به من مالك وركبك في الدين وقد طيبت لك الهدية وإن أهدى الله إليك شيئاً فاقبل»[1].

وتابع رسول الله «ﷺ» بعث العمال والولاة لليمن فقد بعث خالد بن الوليد ثم **علي** بن أبي طالب كما بعث غيرهم من كبار الصحابة إلى اليمن[2].

ومن دراسة رسائل النبي «ﷺ» ووصاياه إلى عماله على نجران واليمن: عمرو بن حزم معاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وأبي موسى الأشعري وغيرهم نستطيع أن تستخلص الحقائق التالية:

أولاً: دخول اليمن في الإسلام واليمن يشكل موقعاً هاماً من عدة نواح مثل كثافة السكان الذين كان لهم ماضٍ حضاري مرموق وفيهم نسبة كبيرة من اليهود والنصارى وتوجد باليمن ثروة واسعة يستفاد منها إضافة إلى موقعه العسكري الاستراتيجي لسيطرته على قوافل التجارة القادمة من الهند وغيرها لإمداد شرق أفريقيا وكذلك مناطق شرق البحر الأبيض المتوسط.

ثانياً: اهتمام الرسول «ﷺ» باليمن والدليل على ذلك إرساله لأكابر أصحابه ورجاله الذين لعبوا دوراً ذا شأن في الدعوة الإسلامية ونصرتها.

ثالثاً: اهتمامه بتوجيه عماله توجيهاً شاملاً من جميع النواحي.. وخاصة كيفية بث الدعوة في أقوام أصحاب عقائد مختلفة كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، وذلك لكي يضمن النبي «ﷺ» وقوف دين الإسلام من تلك العقائد موقف القوة التي تدعمها الحجة كما في قوله: «يامعاذ ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك عن

---

(١) علاء الدين الهندي: كنز العمال، جـ١٠، ص ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧. وأعز إلى هذه الوصية العظيمة كل من الإمام إسماعيل بن كثير في السيرة النبوية، جـ٤، ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦. وصحيح البخاري، جـ٥، ص ١٠٨، ١٠٩ والوثائق السياسية اليمنية للشيخ محمد الأكوع، ص ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩.

(٢) الإمام محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، جـ٥، ص ١١٠.

مفاتيح الجنة فقل شهادة أن لا إله لا الله وحده لاشريك له»[1].

رابعاً: اقناع القوم بصدق وسلامة عقيدة الاسلام بالتدرج كما في قوله «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جئتهم فأدعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[2]. ويمكننا أن نخلص من رسائل ووصايا النبي الكريم إلى عماله على اليمن الدلالات الاعلامية التالية:

أولاً: الاهتمام الزائد الذي أولاه صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه باليمن وذلك لايفاده عدداً كبيراً من الصحابة إلى اليمن كمعلمين ومرشدين وحكام وقضاة، ومن فرط اهتمامه «ﷺ» فإنه أحب أن يختبر أمير عماله معاذاً بن جبل قائلاً له وهو يودعه: كيف تصنع ان عرض لك قضاء.؟ قال أقضي بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله قال: فسنة رسول الله «ﷺ» قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله قال: أجتهد وإني لا آلو قال: فضرب رسول الله صدري ثم قال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله»[3].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾. وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[4].

ثانياً: عهوده ورسائله «ﷺ» تتضمن أنواع الفقه في الدين: الزكاة والديات

---

(١) محمد بن علي الأكوع، الوثائق السياسية اليمنية، ص ١٢٨.

(٢) الإمام البخاري، صحيح البخاري، جـ٥، ص ١٠٩.

(٣) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية، جـ٥، ص ١٠٣.

(٤) سورة النساء ــ آية ٥٨، ٥٩.

والأحكام والصلاة كمرجع للعمال للعودة إليها إذا أشكل عليهم كما في قوله: «ويعلم الناس معالم الحج من فرائض وسنن وما أمر الله به وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لاشريك له» وذلك لنبذ عادات الجاهلية الهمجية وتعصبهم لقبائلهم حيث كانت هي الرابطة فأحل الله الاسلام عقيدة التوحيد لتكون هي أقرب وأوثق الروابط.

ثالثاً: تعليمهم شرائع الاسلام وفرائضه وحدوده[1] وأمر بالصلاة لوقتها «وكما في عهده لعمرو بن حزم» والصلاة الصلاة فإنها قوام هذا الأمر اجعلوها همكم وآثروا شغلها على الأشغال.

وكما في وصيته لمعاذ بن جبل قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[4].

لأن الصلاة تعني استمرار العبادة للمسلم مادام حياً وهي مدرسة تعلم المسلمين كثيراً من الصفات مثل المرونة وهي روح تسري في قلب وجسم المسلم من فترة أدائها إلى يومه كله[5]، والصلاة مهمة في حياة الفرد المسلم من مطلع يومه حتى انتهائه.

قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[6] وفي الصلاة عدة عناصر تنمي ثقة المسلم بنفسه وهي: الثقة بالله والعناية بالمظهر والقضاء على العزلة الاجتماعية وبناء العلاقات الاجتماعية السليمة. قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[7] وهي صمام الأمان الذي يمنح الانسان توازنه ويجنبه التسرع في اتخاذ القرارات قال تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[8].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٦٧.
(٢) سورة الأعراف ــ آية ١٧٠.
(٣) سورة البقرة ــ آية ٤٥.
(٤) سورة البقرة ــ آية ٤٦.
(٥) الأستاذ محمد بهنسي، الصلاة حياة، ط١، الاسكندرية بمصر، منشأة المعارف بالاسكندرية، ص ٦.
(٦) سورة الروم ــ آية ١٧.
(٧) سورة الأعراف ــ آية ٢٩.
(٨) سورة الأنبياء ــ آية ٣٧.

رابعاً: توصية العمال بالعدالة والتبشير ومراعاة ظروف الناس واللين في حدود تعاليم الدين كله كما في قوله «يامعاذ أوصيك بتقوى الله العظيم وصدق الحديث.. وخفض الجناح ولين الكلام.. ولاتشتم مسلماً.. واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء للنار.. ولاتحابينّ في أمر الله وأد إليهم الأمانة في الصغير والكبير.. وتعاهدوا الناس في المواعظ وتعاهدوا الناس بالتذكير.. ولاتخافوا في الله لومة لائم».

وفي توصيته «ﷺ» لعمرو بن حزم «أمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويلين للناس في الحق ويشد عليهم في الظلم قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1] ويبشر الناس بالجنة وبعملها وينذر الناس النار وعملها ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين: وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين العقل له مالهم وعليه مثل ماعليهم[2].

خامساً: أخذ نصيب من مال الأغنياء صدقة (زكاة سنوية) لتوزيعها على الفقراء وذلك لرفع الحيف عن هذه الطبقة التي كانت في عهد ماقبل الإسلام والتي يزداد عدد أفرادها وينظر إليهم كأنهم ليسوا من المحتمع، فجاء الإسلام فرفع من كيانهم من أموال إخوانهم.

سادساً: عدم إجبار أصحاب العقائد الأخرى على اعتناق ديانة التوحيد وهذا يعني التسامح وعدم إكراههم على دخول الإسلام كما في قوله «ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يردّ منها»[3].

قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[5].

ويلاحظ أن هذه السماحة كانت تنتقل من أفق إلى أفق فيعم أمرها بين الناس

---

(١) سورة هود ــ آية ١٨.

(٢) السهيلي : الروض الأنف، ط١ عام ١٣٨٧، القاهرة، دار الفكر، جـ٧، ص ٤٢١، ٤٢٢.

(٣) ابن هشام، سيرة النبي، جـ٤، ص ١٧٩

(٤) سورة النساء ــ آية ١٦٥.

(٥) سورة البقرة ــ آية ٢٥٦.

ليأخذوا الفهم الصحيح عن الاسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام. ولقد كان من نتائج رسائل النبي «ﷺ» وتعليماته في الدين: أن انتشر الاسلام في ربوع اليمن بشكل واسع فأعزهم الله بالاسلام وأعز الله الاسلام بهم.

المبحث السابع

توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قادة المجاهدين وبعض الولاة حين يبعثهم بإحدى المهمات العسكرية أو المدنية

كان النبي «ﷺ» يوجه قادة المجاهدين ويحملهم رسائل شفهية مضمونها: تألفوا الناس ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم إلى الاسلام، فما على الأرض من أهل بيت من مدر أو وبر إلا تأتوني بهم مسلمين أحبَّ إلي من أن تأتوني بأولادهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم[1] وكان «ﷺ» إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال «أغزوا بأسم الله وفي سبيل الله، فاقتلوا من كفر بالله لاتغلوا[2] ولاتغدروا ولاتمثلوا[3] ولاتقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال: أو خلال فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم. ادعهم إلى الاسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم أدعهم إلى التحول عن دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فإن لهم ماللمهاجرين وعليهم ماعلى المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين ولايكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم»[4] وكان «ﷺ» إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: «بشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا»[5].

---

(١) محمد يوسف الكاندهلوي : حياة الصحابة، الطبعة الجديدة عام ١٣٧٩، بيروت، دار المعرفة، جـ١، ص ٨٦.

(٢) لا تغلوا : لا تخونوا.

(٣) تمثلوا : التمثيل بالقتل قطع بعض أطرافهم كالأنوف.

(٤) أبوعبيد القاسم بن سلام : الأموال، ط٢ عام ١٣٩٥ بالقاهرة، دار الفكر، ص ٣٢، ٣٣.

(٥) علاء الدين الهندي، كنز العمال، جـ٧، ص ٩٤.

قال عمر بن الحصين[1] رضي الله عنه: ماخطبنا النبي خطبة إلا أمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة[2] حتى الكفار إذا قتلناهم فإنا لانمثل بهم بعد القتل ولانجدع آذانهم وأنوفهم ولانبقر بطونهم إلا أن يكونوا فعلوا ذلك بنا فنفعل بهم مثل مافعلوا والترك أفضل كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[3].

بعث الرسول «ﷺ» عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل وبعد أن عممه وسلمه السيف قال له: «أغز باسم الله وفي سبيل الله قاتل من كفر بالله لاتغال ولاتغدر ولاتقتل وليداً»[4].

وعندما شيع جيش مؤته[5] بقيادة زيد بن حارثة زودهم بتعليماته وتوجيهاته الشريفة: «أوصيكم بتقوى الله ومن معكم، وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولاتقتلوا امرأة ولاصغيراً ولابصيراً ولاتقطعوا شجرة ولاتهدموا بناء»[6] وعن نافع عن ابن عمر قال: «وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي «ﷺ» فنهى عن قتل النساء والولدان» وعن مجاهد قال: (لايقتل في الحرب الصبي ولا المرأة ولا الشيخ الفاني).

وكما نرى فقد اشتملت وصاياه «ﷺ» إلى رجال الدولة الاسلامية من مدنيين وإداريين وعمال وقضاة وولاة وعسكريين وهم قادة المجاهدين على عدة حقائق أهمها:

أولاً: الاهتمام بالعدل والصدق في القول والعمل سواء مع المسلمين أو غيرهم قال

---

(١) المكنى أبا نجيد وأسلم قديماً وتوفي في خلافة معاوية بالبصرة سنة ٥٢. انظر: المعارف لابن قتيبة، ص ٣٠٩.

(٢) المثلة: التنكيل.

(٣) سورة النحل ــ الآيتان ١٢٦، ١٢٧.

(٤) علاء الدين الهندي، كنز العمال، جـ١٠، ص ٥٩٠.

(٥) وهي بأدنى البلقاء دون دمشق وهي من قرى الكرك. انظر: بن سعد الطبقات الكبرى، جـ٢، ص ١٢٨.

(٦) الأستاذ محمد فرج، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، ط٣، عام ٧٧ بالقاهرة، دار الفكر العربي، ص ٦٢٢، ٦٢٣.

(٧) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٢١١، ٢١٢.

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

ثانياً: الحث الدائم على التبشير واعلام الناس بتعاليم الاسلام وأهم أركانه وخاصة: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

ثالثاً: الحث على الجهاد في سبيل الله لأن الاسلام الذي يدعو لخير البشرية وفي سبيل نصرة هذا الدين لابد من بذل الأنفس والأموال لاعلاء كلمة التوحيد قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2].

رابعاً: وصاياه «ﷺ» بعدم مباغتة من يدعون للاسلام وإعطائهم الفرصة للتفكير وهذه أمور لم يألفها العالم من قبل لأن شريعة حكام شعوب تلك الفترات كانت شريعة الغاب: وويل للمغلوب من الغالب ويمكننا أن نستنتج بعض الدلالات الاعلامية المستوحاة من رسائل النبي «ﷺ» الشفهية ووصاياه لمبعوثيه وهي:

أولاً: دعوة الناس إلى الاسلام هي الهدف الأمثل التي يأمل الرسول «ﷺ» تحقيقه من بعث المبعوثين كمعلمين ومرشدين لدين رب العالمين قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[4].

ثانياً: الحث على الجهاد في سبيل الدعوة إلى الله، ومع هذا أمر المصطفى عليه السلام قادة المجاهدين بأمور حددها لهم كما في قوله: «قاتلوا من كفر بالله لاتغدروا ولاتمثلوا» قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ

---

(١) سورة المائدة ــ آية ٨.

(٢) سورة التوبة ــ آية ٤١.

(٣) سورة آل عمران ــ آية ١٠٤.

(٤) سورة النحل ــ آية ١٢٥.

(٥) سورة الرعد ــ آية ١٤.

﴿جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾[1] وأمر المجاهدين وقادتهم بعدم الغدر قبل الدعوة والانذار قبل القتال.

وجاء الاسلام بأسلوب جديد فيه سلام وأمن لمن يدعى من المشركين إلى التوحيد حيث أعطاهم فسحة للتفكير: اما اعتناق الاسلام وفي هذه الحالة سينالهم الأمن والسلام وسينالهم ماينال اخوانهم المسلمين والمجاهدين سواء بسواء، وأما دفع الجزية أو القتال وهي آخر ما دعا إليه الرسول من خصال، وهذه أساليب لم تعهدها الشعوب قبل الاسلام اذ تعودوا على الغزو والقتال دون رحمة حيث تسبى الذراري وتنتهك الأعراض وتدمر الأوطان ويقتل الرجال فجاء الاسلام بتعاليمه السمحة الصادقة حيث قضى على هذه الأساليب الوحشية وأحل محلها أسلوب الحرية في التفكير واختيار مايناسب تفكير الشعوب ومستواها وأقبل الناس على اعتناق الاسلام زرافات ووحداناً.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[2].

ثالثاً: الالتزام بأساليب التبشير مع عدم التنفير كما في قوله «ﷺ» «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا» قال تعالى:﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]وقال تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾[4].

رابعاً: عدم استغلال نشوة النصر للتمثيل بالقتلى أو الاجهاز على الجرحى أو هتك الأعراض أو قتل النساء والأطفال والعباد.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[5].

النتائج:

أقبل الناس على اعتناق الاسلام بسلام دون مزيد من اراقة الدماء وذلك لما اشتمل

---

(١) سورة الحج ــ آية ٧٨.

(٢) سورة النصر ــ الآيات ١، ٢، ٣.

(٣) سورة التوبة ــ آية ١١٢.

(٤) سورة الأعلى ــ الآيتان ٨، ٩.

(٥) سورة المائدة ــ آية ٢.

عليه الاسلام من أمان وتوحيد، لأن المجاهدين غلبّوا جانب التبشير على التشديد والتنفير وكان الاعتماد على التبشير أكثر من الانذار والتهديد مما حدا بالناس على الاقبال على دين اليسر بيسر وذلك لأن الاسلام لايعرف حقداً ولاضغينة ولايريد شراً بأحد. وهذه بعض الدلالات الاعلامية التي ظهرت من خلال توجيهات ووصايا الرسول الكريم لعماله ولقادة جنده المجاهدين.

أولاً: عند توجه عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل دعا الناس إلى الاسلام فأسلم كثير منهم فسار ابن عوف حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الاسلام فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً وكان رأس قومه وأسلم معه اناس كثير من قومه(١).

ثانياً: لما انتهى معاذ إلى الجند باليمن وأشرف على الجبل أذن فلما سمعوا صوت الأذان سمعوا صوتاً عجيباً.. فجاء القوم وقالوا: من أنت.؟ فقال: أنا رسول. قالوا من أرسلك.؟ قال نبي الله قالوا: وما النبي.؟ قال رسول الله الذي خلق السموات والأرض والذي يذهب بالليل ويأتي بالنهار والذي ينزل الغيث من السماء قالوا: وبم أرسلك.؟ قال أرسلني بأن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتتركوا عبادة الأوثان قالوا: قد فعلنا ذلك فماذا.؟ قال: توصل أرحامكم ويحقن الله دماءكم ويشعب(٢) الله صدعكم ويجمع الله كلمتكم ويفسح لكم في البلاد ويظهركم الله على عدوكم مع الذخيرة لكم من الله تعالى(٣) ثم قرأ عهده عليهم فلما فرغ قالوا: نعم الرسول رسولنا ونعم الوافد أنت آمنا وصدقنا فبنى معاذ المسجد وبنى القوم معه(٤).

ثالثاً: أقبلت الوفود تسعى إلى رسول الله «ﷺ» لمبايعته على الاسلام نتيجة لصدق صاحب الدعوة وايماناً منهم بها وحسن ايصال الدعوة بوساطة الدعاة الذين شرحوا للناس حقائق الاسلام حتى يستقر في قلوبهم وينتشر في ربوعهم.

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى، جـ٢، ص ٨٩.

(٢) يشعب أي يجمع : لسان العرب المحيط لابن منظور، جـ٢، ص ٣١٩.

(٣) محمد بن علي الأكوع : الوثائق السياسية اليمنية، ص ١٣١.

(٤) نفس المرجع، ونفس الصفحة.



الفصل الرابع

كتب المعاهدات والأحلاف وصداها الإعلامي في شبه الجزيرة العربية

المبحث الأول

كتب المعاهدات والأحلاف

بعد أن استقبل الرسول محمد «صلى الله عليه وسلم» في المدينة استقبال النصر والمؤازرة من الأنصار وبنى المسجد[١]. شعر بالراحة والاطمئنان هو وأصحابه من أذى مشركي قريش. وأصبح هدفه العاجل توحيد المسلمين بالمدينة من مهاجرين وأنصار، وكذلك عقد اتفاق أمان مع البقية الباقية من الوثنيين العرب واليهود حتى يتفرغ للمضي قدماً في تحقيق الهدف الأسمى الذي يسعى إليه ألا وهو التفرغ لنشر الدعوة وإعلاء دين التوحيد. لذلك بدأ العمل على إيجاد وحدة متماسكة بين المسلمين الأنصار (الأوس والخزرج) والمهاجرين حتى تقضي هذه الوحدة على كل أسباب الفرقة والبغضاء التي سادت بينهم قبل الإسلام بمكر من اليهود (بني قريظة، بني النضير، بني قنيقاع) وإلغاء معظم مفاخر الجاهلية من الاحساب والأنساب، وإحلال رابطة الدين بدلاً عن ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢] فالله سبحانه وتعالى قد جعل مقياس القرب والبعد منه التقوى والعمل الصالح كما يفهم ذلك من الآية السابقة.

وبالنسبة للاتفاق مع اليهود[٣] فقد رغب النبي «صلى الله عليه وسلم» أن يأمن شرهم بالمعاهدة والصلح لأنهم كانوا أصحاب ثروة وعدد وسلاح وكان الحقد والحسد يملآن نفوسهم المطبوعة على الشر والإيقاع بين الناس، والنبي «صلى الله عليه وسلم» كان عارفاً وعالماً بكل هذه الصفات، فأحب أن يأمن جانبهم بالمعاهدة التي سعى إليها اليهود فقبلها منهم. قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٤]

---

(١) عبدالملك بن هشام: سيرة النبي «صلى الله عليه وسلم»، جـ٢، ص ١١٨.

(٢) سورة الحجرات ـــ آية ١٣.

(٣) علي حسين الأحمدي: مكاتيب الرسول، جـ١، ص ٢٤٠.

(٤) سورة الأنفال ـــ آية ٦١.

نص المعاهدة:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي «ﷺ» بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم[١] يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم[٢] بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم[٣] الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وأن المؤمنين لايتركون مفرحاً[٤] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

ولايخالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعه[٥] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم، ولايقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولاينصر كافراً على مؤمن، وأن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس، وأنه من

---

(١) أي الحال التي جاء الإسلام وهم عليها أي على شأنهم وعادتهم من أحكام الديات.

(٢) العاني : الأسير.

(٣) معاقلهم : جمع معقلة من العقل وهو الدية.

(٤) المفرح : المثقل من الدين الكثير والعيال.

(٥) أصل الدسيعة : ما يخرج من حلق البعير إذا رغا وقد استعيرت للعطية كما هنا.

تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن سلم المؤمنين واحد لايسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً، وأن المؤمنين يبيء[1] بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وأنه لايجير مشرك مالاً لقريش ولانفساً، ولايحول دونه على مؤمن، وأنه من اعتبط[2] مؤمناً قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وأن المؤمنين عليه كافة، ولايحل لهم إلا قيام عليه وأنه لايحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولايؤويه.

وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولاعدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد «ﷺ» وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لايوتغ[3] إلا نفسه وأهل بيته، وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف وأن ليهود بني الحرث مثل ما ليهود بني عوف وأن ليهود بني ساعده مثل ما ليهود بني عوف وأن ليهود بني جشم مثل ماليهود بني عوف، وأن ليهود بني الأوس مثل ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ثعلبه مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ الآ نفسه وأهل بيته.

وأن جفنة بطن من ثعلبه كأنفسهم، وأن لبني الشطيبة مثل ماليهود بني عوف، وأن البر دون الاثم، وأن موالي ثعلبه كأنفسهم، وأن بطانة يهود كأنفسهم، وأنه لايخرج منهم أحد إلا بإذن محمد «ﷺ» وأنه لاينحجز على ثار جرح، وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم، وأن الله على أبر هذا، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم[4] وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم

---

(١) يبيء : يمنع ويكف.

(٢) اعتبطه : أي قتله من غير شيء يوجب قتله.

(٣) يوتغ : تقول وتغ الرجل وتغاً إذا هلك وتقول أوتغه إذا أهلكه.

(٤) قال السهيلي : (إنما كتب رسول الله «ﷺ» هذه الكتابة قبل أن تفرض الجزية إذ كان الإسلام ضعيفاً وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحرب. انظر : سيرة النبي لابن هشام، جـ٢، ص ١٢٢.

النصح والنصيحة والبر دون الإثم وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأنه لاتجار حرمة إلا بإذن أهلها، وأنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار[1] يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله «ﷺ» وأن الله على أتقى مافي هذه الصحيفة وأبره، وأنه لاتجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم[2] يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه (ويلبسونه) فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة.

قال بن اسحق: «وأن البر دون الإثم لايكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق مافي هذه الصحيفة وأبره، وأنه لايحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله «ﷺ».

ومنذ البداية أدرك الرسول «ﷺ» أن أمته لايمكن أن تقوم إلا على أساس من وحدة الشعب وتعاونه، وأنه مالم يكن الاتحاد حقيقة قائمة فى الأمة أو الجماعة فلا يمكن أن تتألف منها دولة بالمعنى المتعارف عليه، ومن أجل إقامة هذه الدولة الإسلامية التي سوف تحمل راية دعوة التوحيد إلى العالم اتخذ النبي «ﷺ» من حقيقة الأخوة التي أقامها بين المهاجرين والأنصار أساساً لمبادىء العدالة الاجتماعية لإقامة دولة العدل قال

---

(١) الاشتجار : الاختلاف.

(٢) دهم يثرب : فاجأها تقول : دهمتهم الخيل إذا فاجأتهم.

عبدالملك بن هشام : سيرة النبي «ﷺ»، جـ٢، ص ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣. والبداية والنهاية للحافظ بن كثير، جـ٣، ص ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦. وانظر : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس، جـ١، ص ١٩٧ ١٩٨، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله، جـ١، ص ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦. وانظر : الروض الأنف للسهيلي، جـ٢، ص ٢٤١، ٢٤٢.

تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[1].

ولذلك جعل الرسول «ﷺ» من تلك الأخوة مسؤولية مؤكدة تسري بين هؤلاء الأخوة الأبرار، وليعلم قريشاً ومن ناصرها واليهود والمنافقين أنّ ما بين المسلمين من التآخي والمودة والألفة ليس مجرد شعار وهمي وإنما هو حقيقة قائمة[2].

والوثيقة التي كتبها الرسول «ﷺ» بين المهاجرين والأنصار، ووادع فيها اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم[3] تنطق بهذه الحقائق:

أولاً: إنها وثيقة دستورية احتوت على الخطوط الواضحة لنظام الحكومة الإسلامية وسياستها في الداخل وعلاقتها بالشعوب المجاورة وخاصة قريش.

ثانياً: هي إعلام للعرب وللشعوب المجاورة كافة بميلاد أمة ذات نظام وشريعة تأتمر بأمر الرسول «ﷺ».

ثالثاً: شمولية الوثيقة للمسلمين واليهود وغيرهم وهذا يشهد بعدالة الاسلام.

رابعاً: تبرز نصوص الوثيقة تسامح الرسول «ﷺ» مع اليهود وغيرهم كما في قوله (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم).

خامساً: إشراك الجميع في تعقب ومطاردة مثيري الفتن والمجرمين وضرورة القبض عليهم، وتقديمهم للسلطة لتنفيذ الأحكام فيهم.

كما في قوله «ﷺ»: «لايحل لمؤمن أقر بما في الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو أن يؤويه وأن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة لايؤخذ منه صرف ولا عدل».

---

(١) سورة النور ــ آية ٥٥.

(٢) محمد سعيد البوطي : فقه السيرة، ط٧ عام ١٣٩٨هـ، دار الفكر بدمشق، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٣) محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس : عيون الأثر، جـ١، ص ١٩٧.

وهذه الإنجازات السياسية والإدارية لتؤكد مدى عمق تصور الرسول «ﷺ» النابع من كونه نبياً مرسلاً لإدارة دفة الأمور وتؤكد كذلك قوة المسلمين وأنهم العنصر الموجه وصاحب الكفة الراجحة في المدينة[1].

---

(١) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله «ﷺ»، ط٢ عام ١٤٠١هـ، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ص ٣٢.

الآثار والدلالات الإعلامية لوثيقة الأمان

ومن دراسة الوثيقة والحقائق التي أبرزتها يمكن استنتاج الدلالات الإعلامية التالية:

١ ــ إعلان قيام دولة الإسلام بالمدينة، وأنها ذات نظام ثابت نال موافقة القبائل العربية في المدينة من مسلمين ومن بقوا على وثنيتهم وهم قليل.

٢ ــ أن الرسول «ﷺ» أصبح سيد الموقف عن رضا الجميع بلا منازع كما في قوله: «كل ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله».

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾(١). وقال عز من قائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٢).

وقال جل شأنه: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٤).

٣ ــ سيادة الاسلام وارجاع الأمور إلى الله ورسوله كما في قوله: ﴿**فان مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله**﴾ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٦) وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾(٧).

---

(١) سورة الأنفال ــ آية ٦٣.

(٢) سورة النساء ــ آية ٥٩.

(٣) سورة آل عمران ــ آية ١٠٢.

(٤) سورة البقرة ــ آية ٢٠٨.

(٥) سورة الأنبياء ــ آية ١٠٨.

(٦) سورة الأنعام ــ آية ٧١.

(٧) سورة الحج ــ آية ٦٢.

٤ ــ التسامح الديني سمة بارزة في الوثيقة لم تعهدها الشعوب بهذه الصفة من قبل، فقد قهر اليهود وشردوا في كل أنحاء العالم نتيجة لذلك وقتل أصحاب الأخدود لنفس السبب وأصبح اليهود ينعمون بالأمن والعبادة كما في قوله «ﷺ»: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[(٢)] وقال جل شأنه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[(٣)].

٥ ــ إن رابطة الدين الإسلامي أخذت صفة العمومية للتكوين الاجتماعي، وهي المنطلق الذي يدير المجتمع. كما هو الحال بين المسلمين سواء من قريش أو يثرب ومن تبعهم فلحق بهم. وجاهد معهم كلهم أمة واحدة من دون الناس وبذلك أصبحت رابطة الدم في الدرجة الثانية بعد أن كانت هي الأساس الأول في العلاقات الاجتماعية. وعليه فقد أخذت صفة تنظيمية دنيوية لجميع فئات المجتمع في حياتهم المعيشية «كتكافل بعضهم بعضا، ووفادة بعضهم بعضا»، وأصبح المجتمع في هذا التنظيم الإسلامي يكفل بعضه بعضا مادامت وشيجة الإيمان هي الأساس.

فأي شيء يعارضها تبطله كما في قوله: «وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم».

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[(٥)].

٦ ــ عدم إيواء قريش أو حلفائها كما في «وأنه لاتجار قريش ولامن نصرها»

---

(١) سورة الكافرون ــ كاملة.

(٢) سورة المائدة ــ آية ٩٩.

(٣) سورة الأنعام ــ آية ١٠٧.

(٤) سورة المائدة ــ آية ٢.

(٥) سورة التكوير ــ الآيات ١٩، ٢٠، ٢١.

وذلك لشدة ايذاء قريش للمسلمين وتحاملهم على الرسول «ﷺ» قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾.[1]

٧ ــ هي بلاغ إعلامي واضح الدلالة على أن المعاهدة أوجبت تعاون سكان المدينة على محاربة المعتدين عليهم. وإنطلاقاً من هذا المفهوم توحدت صفوف أهل المدينة على اختلاف عقائدهم وأهدافهم إطاعة للنبي محمد «ﷺ» والدفاع عن المدينة ضد كل اعتداء خارجي.

٨ ــ تمكن النبي «ﷺ» من جعل أهل المدينة على اختلاف عقائدهم وأجناسهم يداً واحدة ضد الأعداء.

وبذلك بدأ الاستعداد تحت قيادته «ﷺ» للدفاع عن المسلمين قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾[2].

النتائج التي تمخضت عن تلك الوثيقة النبوية الخالدة:

أ ــ أوجد الرسول «ﷺ» وحدة سياسية وتنظيمية بمعناها الواسع في المدينة المنورة والتي لم تكن معروفة من قبل في سائر بلاد الحجاز حيث عقد معاهدة صداقة ومحالفة تكفل حرية العبادة. ولم يسبق رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام إلى مثل هذا نبي أو رسول[3].

ب ــ أضحت المدينة وماحولها حرماً لسكانها عليهم أن يدافعوا عنها وأن يتكافلوا فيما بينهم لاحترام قرارات هذه الوثيقة ومافيها من الحقوق والواجبات[4].

جـ ــ قضى الرسول «ﷺ» بهذه المعاهدة على كل تعصب للجنس أو اللون أو القرابة أو الوطن، وأصبحت صلة المسلم بغير المسلم بفضل الله جل شأنه ثم بجهود رسول الإنسانية «ﷺ» تقوم على أساس الوشيجة العامة التي تربط الانسان بأخيه الإنسان حيث جعل أساسها قوله «ﷺ»: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه».

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٨.

(٢) سورة الأنفال ــ آية ٦٠.

(٣) محمد حسين هيكل : حياة محمد، ط٤، بالقارة، ص ٢٣٦.

(٤) نفس المرجع، ص ٢٤١.

د ـــ فتح باب الصلح لمن أراده[1].

هـ ـــ أوجد قوة سياسية وعسكرية تقف في وجه كل من تسول له نفسه الاعتداء على المسلمين وخاصة قريشاً العدوَّ الأولَ للمسلمين.

(١) أمين دويدار : صور من حياة الرسول «ﷺ»، ط٤، ص ٢٦٧.

ثانياً: صلح الحديبية[1]

أجاب رسول الله «ﷺ» كبار الصحابة على تساؤلاتهم المتعلقة بعدم أخذ عدة للحرب في حالة تحرشات قريش فقال عليه أفضل الصلاة والسلام (لست أحمل السلاح، إنما خرجت معتمراً)[2] وأحرم بالعمرة اشعاراً للناس بعدم رغبته في الحرب وأن خروجه لزيارة البيت الحرام وتعظيماً له[3]، وكان النبي «ﷺ» يخشى من تعرض قريش له بحرب أو أن يصدوه عن البيت[4]، لذلك بعث عيناً له من خزاعة يخبره الخبر[5].

وعاد الخزاعي مبعوث الرسول «ﷺ» فأخبره أن قريشاً أعدت العدة لقتاله وصده ومنعه[6] من زيارة البيت الحرام، وأثناء الرحلة توقفت ناقة رسول الله «ﷺ»، فقال بعض الناس خلأت[7]، فقال المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، ماخلأت، ولكن حبسها حابس الفيل[8] عن مكة. وقال : «والذي نفسي بيده لاتدعني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة رحم إلا أعطيتهم اياها»[9]. وأرسلت قريش سفراءها للتفاوض مع رسول الله «ﷺ» بغرض منعه من الزيارة. وآخر من أرسلته إليه هو سهيل بن عمرو، كما أرسل رسول الله «ﷺ» عدداً من سفرائه إلى قريش، موضحاً لهم الهدف من الزيارة بالأدلة الواضحة، وهي الهدي[10]، وحجم العتاد الحربي ونوعيته، وأنه وصحبه يريدون العمرة

---

(١) الحديبية : بضم الحاء وفتح الدال بئر قرب مكة على تسعة أميال منها وتسمى المكان باسمها، وذلك سنة ست من الهجرة النبوية الشريفة. انظر : إنارة الدجى في مغازي خير الورى لأبي علي حسن بن محمد مشاط المكي، جـ٢، ص ٧٨.

(٢) محمد بن عمر بن واقد : كتاب المغازي، جـ٢، ص ٥٧٣.

(٣) حسن بن محمد مشاط المكي : إنارة الدجى في مغازي خير الورى، ط٢، جـ٢، ص ٧٩، ٨٠.

(٤) حسن بن محمد الحسن الديار بكر : تأريخ الخميس، ط١ عام ١٣٠٢هـ بالقاهرة، جـ٢، ص ١٨.

(٥) هو بشر بن سفين بن عويمر الخزاعي. انظر : المرجع السابق، ص ١٨ إلى الآخر.

(٦) الحافظ جلال الدين عبيد بن أبي بكر السيوطي : وكفاية الطالب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص الكبرى، ط١ عام ١٣١٩هـ، حيدر أباد الدكن، دائرة المعارف النظامية، ص ٢٤٠.

(٧) خلأت : حرنت.

(٨) حابس الفيل : هو الله، وقصة أصحاب الفيل مشهورة وذكرت في القرآن الكريم.

(٩) الحافظ يوسف بن عبدالبر النمري : الدرر في اختصار المغازي والسير، ط١ عام ١٣٨٦هـ بالقاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص ٢٠٥.

(١٠) الهدي : ما ينحر عند الكعبة.

لا الحرب والقتال. ومن سفرائه «ﷺ» لإقناع قريش بعدم صده عن أم القرى الصحابي الكبير عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولإعلامهم أن محمداً «ﷺ» وصحبه لم يأتوا لقتال وإنما جاؤوا معتمرين، وانتهى الأمر بعقد اجتماع بحضور صحابة رسول الله «ﷺ» وسفير قريش سهيل بن عمرو. وانتهى الأمر بكتابة هدنة، وطال التراجع والتنازع حيال كتابة مقدمة هذه الهدنة، وانتهى الأمر بموافقة النبي «ﷺ» على الصيغة التي تمسك بها مفاوضو قريش وهو أمر لايغير من الحقيقة شيئاً في نظر رسول الله «ﷺ» الذي قطع على نفسه عهداً وهو «لاتدعني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها».

واستاء بعض الصحابة من تعنت وجحود مبعوث قريش ومسايرة الرسول «ﷺ» لمطالب سفيرها.. وهذا هو نص الهدنة:

«باسمك اللهم»

«اُكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيلَ بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده إليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه إليه، وأن بيننا عيبة[1] مكفوفه[2]، وأنه لا أسلال[3] ولا أغلال[4] وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وإنك ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً ومعك سلاح الراكب: السيوف في القرب لاتدخلها بغيرها[5]. وبادرت قبيلة خزاعة فقالت نحن في عقد محمد وعهده، وبادرت بنو بكر

---

(١) العيبة : أي بينهم صدر نقي من الغل.

(٢) المكفوفة : أي صدر منطوية على مافيها لا تبدي عداوة.

(٣) الاسلال : السرقة والخسة.

(٤) الأغلال : الخيانة.

(٥) حسن بن محمد مشاط المكي : إنارة الدجى في مغازي خير الورى، ط٢، جـ٢، ص٩٩. وانظر الدرر في اختصار المغازي والسير للحافظ النمري، ص ٢٠٥ والمجموعة السياسية للدكتور محمد حميد الله، ص ٥٨.

فقالت نحن في عقد قريش وعهدهم[1].. ومن دراسة الرحلة النبوية الروحية التعبدية لزيادة البيت العتيق وماجاء في الصلح الذي عقده «ﷺ» مع قريش، يمكننا أن نتبين الحقائق التالية:

الحقائق المستنبطة من صلح الحديبية

١ ــ أن الغرض الأساسي المعلن من الزيارة هو أداء العمرة وإثبات حسن النية وصدق القصد لذا أحرم الرسول «ﷺ» وساق الهدي[2] لإعلام قريش والقبائل العربية أنه لايريد حرباً، وإنما جاء لزيارة البيت الحرام.

٢ ــ خوف قريش واستعدادها لصد الرسول «ﷺ» والمسلمين حيث حشدت الحشود وأرسلت الطلائع، وهذا ماكان الرسول «ﷺ» يحسب حسابه حيث أرسل عيناً له ليتعرف على أخبار القوم وتحركاتهم.

٣ ــ توقفت ناقة الرسول «ﷺ» عن المضي في الرحلة وعندها أعلن الرسول «ﷺ» أن الذي حبسها هو حابس الفيل وهو الله سبحانه وتعالى ولذلك أدلى رسول الله «ﷺ» بالبيان الإعلامي الشريف التالي: لإبلاغ المسلمين كافة سواء المتحفز منهم للقتال أو الذي يريد أن يمضي قدماً للوصول إلى البيت الحرام ولو بقوة السلاح، قال رسول الله «ﷺ» «والذي نفسي بيده لاتدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ثم نزل»[3].

٤ ــ إن كثرة سفراء قريش واستعداداتها الحربية المكثفة لصد نبي الإسلام «ﷺ» وصحبه من دخول أم القرى للزيارة، لدليل واضح على مدى خوفهم من قوة المسلمين، وخشيتهم من استيلاء المسلمين على مكة، ومن ناحية أخرى فإن اهتمام الرسول «ﷺ» بعدم نشوب القتال لناتج عن غرضه الأساسي وهو العمرة، ولذلك لم يستعد للقتال ولم يعد العدة لحمل سلاح المحاربين، وفي نفس الوقت يؤكد للقبائل العربية مدى تعنت قريش ومنعها الناس من زيارة البيت الحرام.

٥ ــ تشدد المفاوض القرشي في حذف البسملة وصفة الرسول «ﷺ» وموافقة الرسول

---

(١) حسن بن محمد مشاط المكي : إنارة الدجى في مغازي خير الورى، ط٢، جـ٢، ص ١٠٠.

(٢) الهدي : هدي الكعبة، وهو ما يُضحى به عندها وذكر أنه كان ٧٠ ناقة وجمل.

(٣) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، تاريخ بن خلدون، عام ١٣٩٩هـ، م٢، ص ٣٤.

«ﷺ» على ذلك قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[1] لعلم النبي «ﷺ» أن ذلك لن يغير من الحقيقة التي أرادها الله سبحانه وتعالى، ولأنه «ﷺ» يهدف إلى أغراض سامية وأهداف ستتحقق علمها النبي «ﷺ» ولم يعلمها المفاوض أو بعض المسلمين المتحمسين إلا بعد حين.

٦ ـــ ان ظاهر بعض البنود فيها حيف على المسلمين، ولكن تبين بعد مضي وقت ليس بالطويل أنها في صالح المسلمين ووبالٌ على أعدائهم وقصة أبي بصير وأبي جندل رضي الله عنهما خير شاهد على ذلك[2].

٧ ـــ اعتراف قريش بمحمد وصحبه وبأنهم أصبحوا قوة يحسب حسابها ولذلك تفاوضوا معه «الند للند» وعقدوا صلحاً معه، لأن الرسول «ﷺ» يؤثر المسالمة والمودة في مفاوضاته.

ومن دراسة ماجاء في الصلح والحقائق التي ترتبت على ماجاء فيه من شروط يمكننا أن نبرز الدلالات الإعلامية التالية:

الآثار والدلالات الإعلامية لصلح الحديبية

١ ـــ إن النبي «ﷺ» أعلن هدفه من الرحلة التعبدية إلى البيت الحرام علانية لأهل المدينة والقبائل المحيطة بها وأحرم بالعمرة وساق الهدي ليؤكد لهم ولقريش صفاء نيته وتعظيمه للبيت العتيق لأن الإسلام يعظم البيت وهو قبلتهم في صلاتهم، وأنه لم يخرج لحرب[3] وليكشف للعرب مواقف قريش المتناقضة ووضعها في موقف حرج لأنه ليس من حقها منع أي عربي من زيارة البيت الحرام[4].

---

(١) سورة المزمل ـــ آية ١٠.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام : جـ٣، ص ٣٦٧ وما بعدها.

(٣) الحافظ يوسف بن عبدالبر النمري : الدرر في اختصار المغازي والسير، ط١ عام ١٣٨٦هـ بالقاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص ٢٠٥.

(٤) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله «ﷺ»، ط٢ عام ١٤٠١هـ، ص ٦٥.

٢ ــ تأكد الرسول «ﷺ» أن القتال للوصول إلى البيت الحرام لتعظيمه ليس من الحكمة، وأن الأسلم انطلاقاً من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف أداء العمرة في يسر وسلام، ولاسيما وأنه تبين للرسول «ﷺ» أن استعمال القوة في دخول مكة أمر لايرضاه الله جل شأنه وذلك لمعرفته «ﷺ» أن الله دحر أبرهة الحبشي وفيله عندما أراد هدمها، والله سبحانه وتعالى هو الذي حبس ناقة رسول الله «ﷺ» من المضي في رحلتها حيث صرح النبي «ﷺ» أن الذي جبسها هو حابس الفيل.

٣ ــ تعدد السفراء القرشيين المفاوضين وتأكدهم من حسن قصد الرسول «ﷺ» وأتباعه، وهذا خفف كثيراً من غلواء قريش وجعلها تميل للصلح، وظهور تصدع في جبهة قريش عندما أعلن سيد الأحابيش الحابس بن علقمة معارضته لتصرفات قريش[1] المتمثلة في صد محمد «ﷺ» وصحبه عن دخول مكة معتمراً.

٤ ــ قال عروة بن مسعود أحد مفاوضي قريش لقريش عند عودته من مفاوضة النبي «ﷺ» مندهشاً من حسن انضباط وطاعة المسلمين لرسول الله «ﷺ» حيث قال إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، ومايحدون النظر إليه وقال قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها[2]. وبذلك استطاع النبي «ﷺ» بحكمته وعمق تفكيره أن يحدث تصدعاً وثغرة في صفوف قريش، مما أضعفها وقوى من مركزه، فتصلب قريش وغطرستها قوبلا بليونة وحسن تفاهم من محمد «ﷺ» قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3].

النتائج الساطعة التي تمخضت عن هذا الصلح:

أولاً: اعتراف قريش ومن حالفها بمحمد «ﷺ» والمسلمين كقوة، ثم التفاوض معها على قدم المساواة وبصورة علنية، حيث كانت قريش تستخف بقوة المسلمين

---

(١) الشيخ حسن بن محمد بن الحسين الدياربكر : تأريخ الخميس، ط١ عام ١٣٠٢هـ، جـ٢، ص ٢٠.

(٢) الحافظ جلال الدين عبد بن أبي بكر السيوطي : كفاية الطالب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص الكبرى، ط١ عام ١٣١٩هـ حيدر أباد، ص ٢٤١.

(٣) سورة يونس ــ آية ٤٧.

ويوهمون القبائل والدول المجاورة بضعف شأن المسلمين. كما حدث عندما أرسلوا وفدهم للنجاشي لإعادة المهاجرين، وكما جرى عندما سأل مبعوث باذان عن محمد «ﷺ» حيث توقعت قريش أن يقوم كسرى بالقضاء على دعوته، ولكن رد الله كيدهم في نحورهم قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

ثانياً: رفع الحيف عن المسلمين المستضعفين بمكة المكرمة، وحقن دمائهم مع إعطائهم حرية العقيدة، حيث انتهت المفاوضات دون قتال[2]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[3].

ثالثاً: حرية التنقل والأمن الذي ساد المنطقة مما أدى إلى اختلاط الكفار بالمسلمين مما أتاح للكفار فرصة وحرية الاستماع إلى القرآن الكريم وأحاديث الرسول «ﷺ»، ومناظرة المسلمين لهم حيث علموا أن الله غالب على أمره، فبدل معظمهم كفره بالإسلام والتسليم لدين الوحدانية[4].

رابعاً: علم المسلمون الذين شعروا بشيء من الضيم، أن صدهم عن البيت الحرام ورجوعهم كان في الظاهر هضماً وفي الباطن عزاً وقوة، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[5] فأذل الله المشركين، حيث أرادوا العزة، وقهرهم الله حيث رغبوا في الغلبة.

خامساً: فتحت الباب على مصراعيه لمن أراد من القبائل العربية الدخول في حلف محمد «ﷺ»، حيث انضمت قبيلة خزاعة[6] إلى عقد الرسول «ﷺ». قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

---

(١) سورة آل عمران ــ آية ١٣٤.

(٢) حسن مشاط المكي : إنارة الدجى، ط٢، ص ١٠٣.

(٣) سورة فصلت ــ آية ٣٤، ٣٥.

(٤) رفيق المعروف بعظم زاده : رسالة انتشار الأديان، ط١ عام ١٣١٣هـ بالقاهرة، مطبعة الإسلام، ص ٣٢، ٣٣.

(٥) سورة الحشر ــ آية ٧.

(٦) عروة بن الزبير : مغازي رسول الله «ﷺ» : تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، ط١، ص ١٩٤.

سادساً: زال تعصب قريش وامتناعهم عن مخالطة المسلمين ومعاملتهم بما يكرهونه حيث تغلبت الحجة المقنعة على ضمائر العقلاء من المشركين، فأسلم منهم كثير ومنهم الوجهاء والفرسان أمثال خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص[1]، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[2].

سابعاً: موقف الرسول «ﷺ» من تصرفات قريش، وخاصة صده عن البيت العتيق، وما أظهر من حسن تصرف وزهد في الحرب ورغبة في الصلح أدى إلى تغير نظرة القبائل العربية التي لم تدخل في الاسلام إلى الاسلام والمسلمين قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[3].

ثامناً: انه نتج عن الأمن والسلام الذي نعمت به دولة الاسلام الناشئة مايأتي:

أ ــ تفرغ الرسول «ﷺ» للقضاء على قلعة العدوان والغدر في خيبر حيث كسر شوكتهم[4] وأراح العرب جميعاً من مؤامراتهم وفتنهم.

ب ــ استطاع تأديب بعض القبائل وتطبيع العلاقات «ان صح هذا التعبير» مع قبائل أخرى كانت تشكل خطراً على الاسلام والمسلمين.

جـ ــ قام الرسول «ﷺ» بحملته الاعلامية الواسعة بوساطة رسله الذين يحملون رسائله لدعوة الملوك والقادة داخل وخارج شبه الجزيرة العربية[5] لقبول الاسلام ديناً والاعتراف بمحمد «ﷺ» رسولاً.

---

(١) حسن مشاط المكي، إنارة الدجى، جـ٢، ص ١٠١.

(٢) سورة الكهف ــ آية ١٧.

(٣) سورة الممتحنة ــ آية ٧ .

(٤) محمد زكي بيضون : موكب النور في سيرة الرسول، ص ٢٦٧.

(٥) الدكتور عماد الدين خليل : دراسة في السيرة عام ١٣٩٤هـ بالقاهرة، ص ٩٥.

المبحث الثالث

ثالثاً: المعاهدات مع زعماء مدن الحدود الواقعة شمال حدود شبه الجزيرة العربية وهي (أيلة[1]، وجربا[2]، وأذرح[3]):

عرف الفقهاء المعاهدات بأنها اتفاق بين طرفين إما أفراداً أو جماعات أو دولاً على أمر يلتزمونه فيما بينهم لمصلحة مشتركة، والذي نريده هنا هو المعاهدات الخاصة بالهدنة في الحرب لأن تأثير الحرب والسلم على علاقات الدول بعضها ببعض أشد من تأثير غيرها»[4].

ومن يتدبر القرآن الكريم سيجد فيه من الآيات الكريمة مايدل على مشروعية المعاهدات، وجواز موادعة الحكومة الإسلامية لغيرها من الدول، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5].

ولأن المعاهدات من أسس السلام وقواعده فقد أقرها الإسلام وحض عليها، كما

---

(١) سمّيت بأيلة نسبة إلى أيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام، وهي مدينة على شاطىء البحر الأحمر فيما بين مصر ومكة وهي أول حد الحجاز، وكانت مدينة تجارية جليلة القدر وسكانها أخلاط من الناس وقريب منها جبل الطور حيث ناجى موسى عليه السلام ربه وهي مدينة كثيرة النخل والزرع وبها كثير من اليهود، ويقال أن أيلة هي القرية التي ذكرها الله في كتابه حيث قال تعالى: ﴿**واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، كذلك نبلوهم ما كانوا يفسقون**﴾. وكان من خبر القرية أنهم كانوا من بني اسرائيل وقد حرم الله عليهم العمل في يوم السبت فزين لهم ابليس الحيلة وقال إنما نهيتم عن أخذ الحيتان يوم السبت فاتخذوا الحياض وكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة لتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء فيأخذونها يوم الأحد وانقسم اليهود إلى فريقين أحدهما جاهر بالنهي واعتزل وقسموا القرية بجدار فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا: «إن للناس لشأناً فعلوا الجدار فإذا هم قردة فدخلوا عليهم فعرفت القِرْدة أنسابها من الانس فجعلت تأتيهم فتشم ثيابهم وتبكي. فيقول الناهون للقردة ألم ننهكم؟ فتقول برأسها نعم». قال قتادة: فصار الشباب قردة والشيوخ خنازير وقيل إن ذلك كان في زمن داود عليه السلام. انظر: خطط المقريزي، ص ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) جربا: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام. انظر: ياقوت الحموي.

(٣) أذرح: بلد من أعمال الشراة من نواحي البلقاء. المرجع السابق.

(٤) عبدالله بن ناصر بن سلطان السحيباني: السياسة الخارجية للدولة الإسلامية في عهد النبوة، رسالة ماجستير عام ١٣٩٩هـ بالرياض، ص ٦٤.

(٥) سورة الأنفال ــ آية ٦١.

أباح الاسلام عقد الاحلاف. قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(١).

وبعد أن أصبحت الدولة الاسلامية بعد فتح مكة المكرمة جديرة بحماية حدودها ونشر تعاليم الاسلام، ولأن الدولة الرومانية كانت تتابع عن كثب نتائج الأحداث التي تدور داخل شبه الجزيرة العربية، وما حققته عقيدة التوحيد التي سبق وأن دعاهم رسول الله «ﷺ» إليها، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٢) أدرك الرومان أن دعوة الاسلام قد وجدت سبيلها إلى بلاد الشام، فإسلام الأسقف ضغاطر وقتله في الكنيسة وفروة بن عمرو الجذامي واعدامه بأمر هرقل مازال ماثلاً في الأذهان، وزحف الدعوة يمثلان في نظرهم خطورة على دولتهم(٣)، وقد علم الرسول القائد «ﷺ» بتجميع صفوف الروم والقبائل المتنصرة من العرب وانضمام قبائل لخم وجذام إليهم(٤) واستعدادهم لمهاجمة الدولة الاسلامية، لذلك أمر الرسول «ﷺ» بالاستعدادات العسكرية في وقت عصيب، وتوجه بجيشه المجاهد إلى تبوك(٥) عام تسعة من الهجرة ولم يلق كيدا، وفر الناس من أهل الكتاب وغيرهم خوفاً منه «ﷺ» عندما علموا بمسيره(٦). والحكمة من الغزوة هي: اغاظة الكفار وظهور عز الاسلام وفضيحة للمنافقين قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

فأتاه يوحنا بن رؤبة أسقف أيلة(٧) وأهل جربا، وأذرح، وأهدى صاحب آيلة

---

(١) سورة الممتحنة ــ آية ٨.

(٢) سورة آل عمران ــ آية ٦٤.

(٣) محمد فرج : العبقرية العسكرية في غزوات الرسول «ﷺ»، ط٣ عام ١٩٧٧م، ص ٦٣٧.

(٤) البلاذري : فتوح البلدان عام ١٣٩٨هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٧١.

(٥) تبوك : موقع بينه وبين المدينة المنورة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة على الابل. انظر : إنارة الدجى لحسن مشاط المكي، جـ٢، ص ٢٦٢.

(٦) أحمد زيني دحلان : السيرة النبوية عام ١٣١٠هـ، مصر، جـ٢، ص ١٣٢.

(٧) سورة التوبة ــ آية ١٢٣.

لرسول الله «ﷺ» بغلة بيضاء فكساه الرسول «ﷺ» بردا فصالح الرسول «ﷺ» على الجزية بعد أن عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له الرسول «ﷺ» كتاباً[1] هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم» وهذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنة بن رؤبة، وأهل أيلة لسفنهم ولسياراتهم، ولبحرهم ولبرهم، ذمة الله وذمة محمد النبي ولمن كان معهم من كل مار من الناس، من أهل الشام واليمن وأهل البحر فمن أحدث حدثاً فإنه لايحول ماله دون نفسه، وأنه طيبة لمن أخذه من الناس ولايحل أن يمنعوا ماء يردونه ولاطريقاً يردونها من بر أو بحر»[2].

وكتب رسول الله «ﷺ» لأهل أذرح وجربا كتاباً هذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي «ﷺ» لأهل أذرح وجربا أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان إلى المسلمين ومن لجأ من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين فهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد «ﷺ»»[3]، ومن يمعن النظر في موجبات تحرك الرسول «ﷺ» إلى حدود دولة الاسلام في الشمال (تبوك) فإنه تحذير وإنذار لدولة الروم وبعض القبائل المتحفزة، وخذلان لروما والقبائل بانحسار جيوشها وعدم مواجهة جيش المجاهدين ومسارعة زعماء مدن الحدود القريبة للوفود إلى الرسول «ﷺ» لتقديم الطاعة والاعتراف بسيادة الاسلام.

ويمكن للدارس لهذه المعاهدات أن يتبيّن الحقائق التالية:

---

(١) أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب : تأريخ اليعقوبي عام ١٣٨٤هـ بالنجف، جـ٢، ص ٥٧.

(٢) عروة بن الزبير : مغازي رسول الله «ﷺ» تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، ط١ عام ١٤٠١هـ بالرياض، مكتب التربية لدول الخليج، ص ٢٢٩. وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ ١، ص ٢٨٩ حيث ذكر في البر والبحر ولهم ذمة محمد رسول الله، ووضع الجزية على أهل أيلة ثلاثمائة دينار كل سنة. وانظر : إنارة الدجى لحسن مشاط المكي، جـ٢، ص ٢٩٤. وانظر : كذلك خطط المقريزي، ط١، ص ٣٤٦ مع وجود اختلاف في بعض الألفاظ التي لا تخل بالمعنى.

(٣) الشيخ محمد بن علي الشامي الصالحي : مخطوطة سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد عام ١٠٩٦ الرقم الخاص ٦خ والرقم العام ٢٤٢، مكتبة الحرم النبوي الشريف، ص ٣٣٣. انظر : السيرة النبوية للشيخ أحمد زيني دحلان، جـ٢، ص ١٣٢. وانظر : الطبقات الكبرى لابن سعد، ط١، ص ٢٩٠ حيث أفرد الكتاب لأهل أذرح، مع وجود زيادة ونقص في بعض الألفاظ التي لا تخل بالمعنى. وانظر: مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميدالله، ص ٩٠.

أولاً: تأكيد سيادة الدولة الاسلامية على أراضيها استكمالاً لتوحيدها.

ثانياً: قوة تحمل وايمان المجاهدين في التوجه إلى ميدان الجهاد تلبية لدعوة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» رغم سوء الظروف الجوية ووعورة الطرق المؤدية إلى النقطة التي حددها الرسول «صلى الله عليه وسلم» وكذلك ضعف الامكانات الاقتصادية التي يستوجبها تحرك الجيش على عجل لتلبية نداء الايمان، وكانت تلك الرحلة الجهادية تدريباً عملياً ونفسياً لجند الله على تحمل المشاق في سبيل تأمين سبل الدعوة إلى الله وفي نفس الوقت المبادرة لاظهار قوة المسلمين أمام الروم وغيرهم الذين حشدوا الجيوش للانقضاض على الدولة الاسلامية.

ثالثاً: عدم قدرة جيوش روما وحلفائها على مواجهة المجاهدين، وهذا بدوره عزز قوة المسلمين، وأشعر القبائل العربية بقوة الاسلام والمسلمين، وأن أنضواءهم مع إخوانهم العرب المسلمين خير لهم من أن يكونوا أتباعاً للروم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(١).

رابعاً: إن مبادرة زعماء الحدود بالمثول أمام الرسول «صلى الله عليه وسلم» لتقديم الطاعة والاعتراف بالتبعية لدولة الاسلام وعقد الرسول «صلى الله عليه وسلم» المعاهدات معهم ليعتبر من أبرز الدلالات على مدى ماوصلت إليه القوة الاسلامية بزعامة رسولها القائد «صلى الله عليه وسلم» ودليلاً واضحاً على تمرد هؤلاء الزعماء على سلطة روما بانضوائهم تحت جناح دولة الاسلام لينعموا بعدالة الاسلام والأمن والسلام وحسن الجوار قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾(٢).

ويمكننا من دراسة تمركز قوات المجاهدين بقيادة الرسول «صلى الله عليه وسلم» على الحدود المتاخمة لدولة الرومان أن نستنتج أنها كانت عنوان القوة في ذلك العصر، حيث عقد الرسول «صلى الله عليه وسلم» مجموعة من المعاهدات مع زعماء ورؤساء دويلات الحدود المتاخمة لحدود دولة الاسلام.

---

(١) سورة المائدة ــ الآيتان ٥٥، ٥٦.

(٢) سورة الأحزاب ــ آية ٢٧.

الآثار والدلالات الاعلامية لقوة الدولة الاسلامية:

أولاً: بروز القوة الاسلامية الناشئة كدولة ذات قوة وسيادة وتعزيز تلك السيادة بتحرك جيشها الكثيف لاثبات هذا المفهوم والتلويح لدولة روما بعدم تجاوز الحدود، ولوضع حد لتحرشات القبائل العربية بايعاز من روما لالحاق الأذى بالمسلمين، ولانذار روما وتلك القبائل بعدم نسيان المسلمين، لما اقترفته روما وبعض القبائل العربية وهو قتل مبعوث الرسول «ﷺ» (الحارث بن عمير الأزدي) من قبل مجرم الغساسنة شرحبيل بن عمرو الغساني، وكذلك موقعة مؤتة. قال تعالى: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾[1].

ثانياً: اعلام العرب بصفة عامة وعرب الشمال ومتنصِّرة العرب بصفة خاصة بأن لهم دولة ذات عقيدة ربانية وسيادة وهي أولى بولائهم وتبعيتهم لها، وفي هذا عز وكرامة لهم، وأفضل من أن يكونوا تابعين لدولة روما التي تعاملهم معاملة الأتباع الأذلاء، وخير للعربي أن يكون مع أخيه العربي المسلم من أن يكون تابعاً، وسوف تتحقق لهم العزة والكرامة بمجرد اعتناقهم دين التوحيد. قال تعالى: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[2].

ثالثاً: تأكد للعرب جميعاً سواء داخل شبه الجزيرة العربية أو في الأقاليم المجاورة أن المحرك الأساسي لقوة المسلمين العرب وبروزهم بصورة أذهلت روما هو الدين الاسلامي قال تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[3]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾[4].

رابعاً: أصبحت الدولة الاسلامية ملزمة بحماية الشعوب التي عقدت معها المعاهدات، وهذا مؤشر اعلامي للدول والشعوب المجاورة لأخذ العلم بمدى

---

(١) سورة النساء ــ آية ٨٤.

(٢) سورة الممتحنة ــ الآيتان ٧، ٨.

(٣) سورة الروم ــ آية ٣٠.

(٤) سورة الصافات ــ الآيتان ١٧٢، ١٧٣.

ماوصلت إليه قوة الاسلام الناشئة، من سلطان أهلها لعقد المعاهدات وفرض الحماية والجزية. قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وذلك لأن الرسول «ﷺ» قد دعا يوحنا للاسلام فلم يستجب.

ومما سبق ذكره يمكن الوقوف على أهم النتائج التي نتجت عن تحرك جيش الدعاة إلى حدود الدولة الشمالية:

١ ــ شمول سلطان دولة الاسلام على شبه الجزيرة العربية من تبوك شمالاً حتى اليمن جنوباً ومن البحرين وعمان شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً.

٢ ــ خضوع مجموعة من الشعوب والزعامات تحت حماية الدولة الاسلامية كما تبين في البحوث السابقة.

٣ ــ اقبال الوفود العربية من اليمن ومن كل فج ومسلك لمبايعة رسول الله «ﷺ» على الاسلام والطاعة، فبدل الله العرب بعد الفرقة اتحاداً وبعد الذل عزاً وثراء وبدل الشرك توحيد رب العالمين، وأصبح الدين هو الأساس في حياة العربي وهو الذي يحكم علاقته بالآخرين بدل التعصب للقبيلة، وبذلك فإن العصبية القبلية قد خفت صوتها وأصبح الاسلام بمبادئه سيد الموقف بلا منازع[3].

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران ــ آية ٢٠.

(٢) سورة المائدة ــ آية ١٩.

(٣) محمد أبو زهرة: خاتم النبيين، جـ٣، ص ٣٠٢.

(٤) سورة المائدة ــ الآيتان ١٤، ١٥.

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[1].

وتدافعت الوفود إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فلا تبرح من بين يديه إلا وقد خالطت بشاشة الايمان والاسلام قلوبهم فيعودون إلى أقوامهم ليتولوا تعليمهم ماتعلموه من الرسول «صلى الله عليه وسلم» تحقيقاً لقول الله جل شأنه : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة النور، آية ٥٥.

(٢) سورة التوبة ــ آية ١٢٢.

المبحث الرابع

كتبه صلى الله عليه وسلم في بعض الموضوعات المختلفة

أولاً : كتابه «ﷺ» إلى بني زهير بن أقيش[1] :

«بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد رسول الله «ﷺ» لبني زهير بن أقيش من عكل، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وفارقتم المشركين، وأعطيتم من المغانم الخمس، وسهم النبي «ﷺ» والصفى أو قال وصفيه فأنتم آمنون[2] بأمان الله».

ولأن الخالق جل شأنه نصر عبده وخذل الأحزاب والمشركين وأعداء التوحيد حيث قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾[3].

أصبح الإسلام مهيمناً، وهيبة رسول الله «ﷺ» وجند الله المجاهدين من القوة والفعالية بحيث أعزّ الله بها المسلمين، وخذل المشركين في جميع أنحاء الجزيرة العربية، وبذلك أصبح الإسلام هو الدين الغالب على أمره في شبه الجزيرة العربية بوجه عام، وأن الشرك أصبح محدود النطاق مشدود الخناق فصار المشركون منبوذين، تعلن نجاستهم ويحظر عليهم دخول المسجد الحرام بعد العام التاسع للهجرة بإعلان يعلن

---

(١) اسم القبيلة : وهم بنو عكل بن عبد مناة بن أد بن طابخة ومنهم خزيمة بن عاصم بن فطن بن عبدالله بن عبادة ابن سعد بن عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة العكلي، وفد على النبي «ﷺ» بإسلام قومه فمسح النبي «ﷺ» وجهه وكتب له كتاباً يوصي به من ولي الأمر بعده وجعله على صدقات قومه. انظر : جمهرة رسائل العرب للدكتور أحمد صفوت حاشية، جـ١، ص ٦٨ والمعارف لابن قتيبة، ص ٧٤ وتعني كلمة عكل الغباوة كما ورد له في المراجع المنوه عنها وأقيش تصغير من الوقش والوقش الحركة الخفيفة كما ورد في الأموال، ص ١٧.

(٢) أمن : الأمان والأمانة، وقد أمنت فأنا آمن وأمنت غيري من الأمن والأمان، والأمن : ضد الخوف، والأمانة : ضد الخيانة، والإيمان : ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضد التكذيب وفي التنزيل العزيز ﴿**وآمنهم من خوف**﴾ سورة قريش آية ٤.

(٣) سورة الصافات ــ الآيات ١٧١، ١٧٢، ١٧٣.

على جميع الناس يوم الحج الأكبر[1]. قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾[2].

وغدا المسلمون بعون الله وقوته وحدة مترابطة دينياً واجتماعياً وسياسياً، والقوة الوحيدة في شبه الجزيرة العربية، وخاصة بعد فتح مكة وغزوة تبوك، وفي هذا الوقت الذي انخذلت فيه البقية الباقية من المشركين المترددين وأصحاب العقائد الأخرى، أُسْتُدْعِيَ منهم إما أن يطلبوا الحماية والأمان من رسول الله «ﷺ» خشية على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وبذلك يحققون لأنفسهم السلام أو تعريض أنفسهم للقتال أما بالنسبة للعرب الوثنيين منهم فقد كان الاختيار محدداً إما الإسلام أو القتال[3] وعليه فقد آثروا السلامة والأمن فأرسلوا وفودهم لمبايعة رسول الله «ﷺ» على الإسلام وتلقي نصحه وأمره[4]، ولتحصل بعض الوفود على وثائق أمن وسلام من نبي الإسلام لإبرازها لمن تسول له نفسه من القبائل الأخرى الاعتداء. ومن بين الوفود التي أسعفها الحظ وتشرفت بمقابلة نبي الله «ﷺ» وفد بني زهير بن أقيش من عكل الذين نالوا وثيقة السلامة والأمان من رسول الله «ﷺ» والتي تتضمن :

أ ــ شرط قبولهم الإسلام، كما في قوله : «إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة» وذلك لأن شهادة أن لا إله إلا الله هي أول ما يجب ذكره، وذلك للتأكيد على أهمية الجوهر الأساسي، لأن الشهادة بتوحيد الله هي الفيصل، وأول ثمرة من ثمار الايمان بوحدانية الله لتحقيق التماسك الاجتماعي بين جميع المسلمين، حيث أثبتت التجارب أن التماسك الاجتماعي القائم على مشاعر عصبية أو عنصرية، أو على أساس مبادىء وقيم من صنع البشر مهما كانت قوتها لا يدوم طويلاً[5].

ب ــ مفارقة المشركين، وهذا شرط أساسي لمقاطعة من بقوا على شركهم من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وفي ذلك محاصرة للوثنيين وتضييق

---

(١) محمد عزت دروزة : سيرة النبي، ط٣ عام ١٤٠٠هـ، جـ٢، ص ٢٨.

(٢) سورة التوبة ــ آية ٢٨.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام : الأموال، ط٢، عام ١٣٩٥هـ، ص ٣٤.

(٤) محمد عزت دروزة ــ سيرة النبي، ط٣ عام ١٤٠٠هـ، جـ٢، ص ٢٦.

(٥) الدكتور عبدالله يسري أحمد : التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام، ط١ عام ١٤٠١هـ، ص ٢٥، ٢٦.

الخناق عليهم بصورة غير مباشرة، يأمل معها رسول الله «ﷺ» أن يدخلوا في الإسلام دون إراقة دماء. قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[1].

جـ ـ تعريف ذلك الحي من العرب بالواجبات المطلوبة وهي الخمس من غنائهم وسهم النبي «ﷺ» وصفيه، للصرف من تلك العائدات على أمور الدولة والمجاهدين.

د ـ إذا أسلموا وفارقوا المشركين وأدّوا الواجبات المنصوص عليها في الوثيقة، فسوف يشملهم أمان الله ورسوله، والمخالف لذلك ناقض لأمان الله كما في «فإنهم آمنون بأمان الله»، قال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[2].

وقال عز وجل : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾[3].

الحقائق التي اشتملت عليها الوثيقة النبوية لبني زهير بن أقيش :

أولاً : إن قبول الإسلام يتطلب توحيد الله تعالى ثم الاعتراف برسالة النبي «ﷺ». قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[4].

ثانياً : إقامة الصلاة وايتاء الزكاة، وهما ركنان هامان لابد للمسلم أن يؤديهما : فالصلاة صلة بالله العظيم الذي لا حدود لسلطانه ولا نهاية لاحسانه، إنها صلة تجمع الإنسانية في مسجدها الجامع «الأرض» الذي جاءت الإشارة إليه في هذا الحديث «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً». قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[5]. وقال تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾[6].

(١) سورة البقرة ـ آية ٢٠٨.

(٢) سورة الاسراء ـ آية ٣٤.

(٣) سورة النحل ـ آية ٩١.

(٤) سورة الأعراف ـ آية ١٥٨.

(٥) سورة المؤمنون ـ الآيتان ١، ٢.

(٦) سورة هود ـ آية ١١٤.

وإيتـاء الزكاة.. فـيه مـواساة وتعـاطف وتراحـم وهي توثق عـرا المجـتمع الإنسـاني، وفي أدائها نجاة من موبقات المسألة والحرمان وحيرة العوز ومصائب الحرمان وبلاياه[1]، وفي أداء الزكاة أيضاً تحقيق للعدالة الاجتماعية، وتقريب الفوارق بين الطبقات، وضمان حد أدنى من الكفاف. والأهم من ذلك الامتثال لأمر الله الذي رزق الإنسان من هذا المال، وهنا تطيب نفسه، ويطهر ماله وتنمو ثروته مصداقاً لقول الله عزّ وجلّ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2] وبذلك فإن الزكاة تحقق عدة أغراض روحية ومعنوية للفرد والجماعة، وأغراض أخرى اجتماعية واقتصادية بالنسبة للمجتمع الإسلامي[3]. ولو تفحصنا وثيقة الأمن والسلامة التي منحها رسول الله «ﷺ» بني زهير بن أقيش من عكل والحقائق التي اشتملت عليها، لأمكننا بيان الدلالات الإعلامية الآتية:

الدلالات الإعلامية لهذه الوثيقة:

١ ــ أصبح الإسلام مصدراً للأمن والسلام، فمن دخل فيه صحت عبادته لخالقه، وضمن السلام في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، وفي ذلك حفاظ على الأرواح والأعراض والأموال. قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

٢ ــ إن الإسلام يشترط لمن يدخل فيه أن يشهد بوحدانية الخالق ورسالة النبي محمد «ﷺ». قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[5].

٣ ــ إن من يقبل الإسلام ديناً لابد أن يؤدي الصلاة والزكاة، وهما من الأركان المفروضة. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[6]. وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا

---

(١) هاشم محمد سعيد دفتردار: ذكريات طيبة، ط١ عام ١٣٧٠هـ، ص ٩١.

(٢) سورة التوبة ــ آية ١٠٣.

(٣) الدكتور حسن حسين شحاته: محاسبة الزكاة، ط١، ص ٢٨، ص ٤٠.

(٤) سورة البقرة ــ آية ٢٦٨.

(٥) سورة الصف ــ آية ٩.

(٦) سورة العنكبوت ــ آية ٤٥.

﴿مَّوْقُوتًا﴾[1]. وقال عزّ من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

٤ ــ شرط مفارقة المشركين لما في ذلك من إعلام بأن من يعتنق الإسلام يضمن الأمن والسلام، ومن يبق على كفره يكن عرضة للقتل والهوان وضياع الأوطان والأموال، وبالتالي الذل والخذلان. قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4].

٥ ــ إن لبيت مال المسلمين جزءاً من الأموال للصرف على شؤون الدولة الي تضمن الأمن والأمان كما في ﴿وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة..﴾ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[5].

وقد نتج عن ذلك ما يأتي:

أولاً: اعتناق بني زهير بن أقيش من عكل لدين الإسلام قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[6].

ثانياً: تمتع أبناء ذلك الحي من العرب بالأمن والسلام الذي ينعم ويتمتع به إخوانهم الذين سبقوهم للإيمان قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[7].

ثالثاً: إن النتائج التي تمخضت عن الوثيقة النبوية ستكون حافزاً للقبائل الأخرى لدخول الإسلام مادامت المكاسب منظورة وواضحة: صفاء العقيدة والأمن والسلام

---

(١) سورة النساء ــ آية ١٠٣.

(٢) سورة المعارج ــ الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة التوبة ــ آية ٥.

(٤) سورة يس ــ الآيتان ٦٩، ٧٠.

(٥) سورة المعارج ــ آية ٢٤.

(٦) سورة طه ــ الآيتان ١٢٣، ١٢٤.

(٧) سورة النحل ــ آية ٩٧.

وضمان ذلك من الله ورسوله. قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2].

---

(١) سورة النساء ــ آية ١١٥.

(٢) سورة الحشر ــ آية ٧.

ثانياً : الاقطـــاع[1]

نص وثيقة الاقطاع :

«بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا كتاب ذكر فيه ماوهب محمد رسول الله «ﷺ» للداريين[2] إذا أعطاه الله الأرض وهب لهم بيت عينون[3] وحبرون[4] والمرطوم وبيت إبراهيم ومن فيهم إلى أبد الأبد»[5].

وعندما سلمهم الكتاب قال «ﷺ» «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين». ثم قال انصرفوا حتى تسمعوا أني هاجرت فلما هاجر رسول الله «ﷺ» قدموا عليه وسألوه أن يجدد لهم كتاباً آخر فكتب لهم كتاباً آخر.

نسخة النص :

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى محمد رسول الله «ﷺ» لتميم الداري[6]وأصحابه. أني أعطيتكم

---

(١) عرف الاقطاع في مصر الفرعونية وفي فارس وفي العصر الروماني كما عُرف في الدولة الإسلامية، وبقيت أصول الاقطاع الإسلامي الأول الذي يركن إليه ولاة الأمور في المنح الاقطاعية التي أخذت بعد ذلك تنتشر منذ العهد الأموي فصاعداً، وظلت فكرة الاستئجار الاقتصادي مثلاً في إحياء الأرض الموات وتعمير الأرض، وفكرة مكافأة العاملين في الإسلام ولاسيما رجال الجيش وكبار الأعيان والأقارب. والسمة الأساسية لهذا التنظيم هي اقتصاد محلي زراعي سياسي. انظر : الموسوعة العربية الميسرة، جـ١، ص ١٨٥.

(٢) الداريين ستة نفر : تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ويزيد بن قيس أبو هند بن عبدالله وأخوه الطيب بن عبدالله وفاكه بن النعمان. فأسلموا وسألوا رسول الله «ﷺ» أن يقطعهم من أرض الشام، وكان ذلك في مكة وقبل هجرة الرسول إلى المدينة. انظر : صبح الأعشى للقلقشندي، جـ١٣، ص ١١٩، والخصائص الكبرى للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بكر السيوطي، جـ٢، ص ١٧٧.

(٣) عينون : كلمة عبرانية جاءت بلفظ جمع سلامة العين ولا يجوز في العربية وقيل هي من قرى بيت المقدس، انظر : معجم البلدان لياقوت، جـ٤، ص ١٨٠.

(٤) حبرون : اسم القرية التي فيها مقام إبراهيم الخليل عليه السلام وقد غلب على اسمها الخليل، ويقال لها حبرى، وبينها وبين بيت المقدس يوم واحد. انظر : معجم البلدان لياقوت، جـ٢، ص ٢١٢.

(٥) الإمام أحمد القسطلاني، مخطوطة المواهب اللدنية الرقم الخاص ٣٠خ والعام ٢٤٢ع والكاتب محمد نور الدين، مكتبة الحرم النبوي الشريف، جـ١، ص ٣٨١، وصبح الأعشى للقلقشندي، ط١٣، ص ١١٩.

(٦) تميم الداري ويقال بن قيس ويكنى أبا رقية وهو عم تميم ابن أوس بن خارجة بن سواد بن جذيمة بن دراع بن عدي بن الدار بن لخم بن حبيب بن ثجارة من لخم.

انظر : المعجم الكبير للطبراني، جـ٢، ص ٣٧ باب الثاء، وأسد الغابة لابن الأثير، جـ١، ص ٢١٥، وكان تميم راهب بفلسطين وعابد أهل فلسطين وهو أول من أسرج السراج في المسجد وأول من قصّ. انظر : مكاتيب الرسول للأحمدي، جـ٢، ص ٤٨٩.

عينون* وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم برمته وجميع مافيه عطية بت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد فمن آذاهم فيها آذاه الله﴾[1].

ومن تعاليم الدين الحنيف التي يؤمن ويعمل بها المسلمون أن المُلك كله لله سبحانه وتعالى يوزعه كيفما شاء. قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾[2].

---

(١) الشيخ عبدالحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية — التراتيب الادارية، جـ١، ص ١٤٤، وصبح الأعشى للقلقشندي، جـ١٣، ص ١٢٠، مع بعض الاختلاف في الألفاظ مثل «هذا ما أنطى» وذكر «ﷺ» (وأنطيكم) و (نطيه).

والسيرة الحلبية، جـ٣، ص ٢٣٧، الخراج لأبي يوسف، ص ٢٣٤ وهذا نص الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الداري أن له قرية حبرون وبيت عينون قريتهما كلها وسهلها وجبلها وماؤها وحرتها وأنباطها وبقرها ولعقبه من بعده لا يحاقهما فيهما أحد ولا يلجها عليهم أحد بظلمة، فمن ظلم وأخذ منهم شيئاً فإن عليه لعنة الله.

وفي معجم البلدان لياقوت مادة حبرون، جـ٢، ص ٢١٢، ٢١٣ مع وجود حذف وإضافات مثل: «هذا ما أعطى» و (التميم) والداري وأصحابه و (إني أعطيتكم) و «يذمهم» و (عطية بت) (ولهم ولأشعابهم) و (الآبدين) بدل الأبد و (فمن آذاهم آذى الله). وانظر: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لقاضي القضاة أبو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي، ص ٨١، ٨٢ حيث قال: «رأيت ورقة مكتوبة في الصندوق الذي فيه القطعة الأديم منسوب هذه الورقة إلى أمير المؤمنين المستنجد بالله العباسي تغمده الله برحمته كتب فيها نسخة الاقطاع وصورة ما كتبه المستنجد بخطه: الحمد لله هذه نسخة كتاب رسول الله «ﷺ» الذي كتبه لتميم الداري واخوته في سنة تسع من الهجرة بعد نصرته في غزوة تبوك في قطعة أديم من خف أمير المؤمنين علي وبخطه نسخة كهيئته رضي الله تعالى عنه وعن جميع الصحابة.

«بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أنطاه محمد رسول الله «ﷺ» لتميم الداري واخوته حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت إبراهيم ومافيهم نطية بت بينهم ونفذت وسلمت ذلك لهم ولا عقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم لعنه الله، شهد عتيق بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وكتب علي بن أبي طالب وشهد، وقد نسخت ذلك من خط المستنجد بالله كهيئته، ولعل هذا أصح ماقيل فيه والله أعلم».

وقال القاضي مجير الدين أن الاقطاع استمر بيد ذرية تميم الداري يأكلونه وهم مقيمون ببلد سيدنا الخليل، وهم طائفة كثيرة يقال لهم الدارية، وهذا ببركات النبي «ﷺ» وذلك أن تميم الداري كان أميراً على بيت المقدس وقد تعرض بعض الولاة لآل تميم وأراد انتزاع الأرض منهم، ورفع أمرهم إلى القاضي أبي حاتم الهروي قاضي القدس الشريف. فاحتج الداريون بالكتاب فقال القاضي هذا كتاب ليس بلازم لأن النبي «ﷺ» أقطع تميماً مالم يملك فاستفتى الوالي الفقهاء وكان الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله حينئذ ببيت المقدس قبل استيلاء الافرنج عليه فقال: «هذا القاضي كافر فإن النبي «ﷺ» قال زويت لي الأرضي كلها وكان يقطع في الجنة فيقول: قصر كذا لفلان فوعده صدق وعطاؤه حق فخزى القاضي والوالي وبقى آل تميم على ما بأيديهم.

(٢) سورة المائدة — آية ١٧.

* عينون: اتضح أنها قرية تقع إلى الجنوب من الكرك وهي مأهولة بالسكان وغالبيتهم من قبيلة المحادين وهم أحد فروع قبيلة الغساسنة حسبما يُروى.

وقال جل شأنه : ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾. كما أن الأرض والموارد النافعة للنشاط الانتاجي قد أوجدها الله لمنفعة الناس جميعاً[1]. قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[2].

والإسلام يحث صراحة على العمل، وهو ممارسة كافة أنواع النشاط الإنمائي، وتعمير الأرض التي تؤدي إلى إنتاج السلع لإشباع حاجة المجتمع[3]. قال المصطفى «ﷺ» : «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة»[4]. فالأرض الموات كلها والأرض المحياة التي تركها أهلها بسبب الحروب، ولم يعرف لها مالك فهي لله ولرسوله «ﷺ». وقال النبي «ﷺ» : «من أحيا أرضاً مواتاً فهي له»[5]. وقال «ﷺ» : «عادي الأرض لله ولرسوله ثم لكم من بعدي»[6]. وعن عائشة عن النبي «ﷺ» قال : «من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق»[7]. ويقول أبو يوسف في الخراج : «ولا أرى أن يترك أرضاً لا ملك لأحد فيها ولا عمارة حتى يقطعها الإمام، فإن ذلك أعمر للبلاد وأكثر للخراج، فهذا حد الإقطاع عندي»[8].

وقد أقطع رسول الله «ﷺ» وتألف على الإسلام أقواماً[9]. ورأى «ﷺ» الصلاح فيما فعل من ذلك حيث فيه تآلف القلوب وعمارة الأرض[10] وهذه الأهداف التي سعى إلى تحقيقها رسول الإنسانية «ﷺ» من عملية الإقطاعات التي أقطعها لعدد كبير

---

(١) الدكتور عبدالرحمن يسري أحمد : التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام، ط١ عام ١٤٠١هـ، ص ٤٢.

(٢) سورة البقرة ـــ آية ٢٩.

(٣) الدكتور عبدالرحمن يسري : التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام، ص ٤٣.

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٥) علي بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، الأحكام السلطانية، ط٣ عام ١٣٩٣هـ، ص ١٧٧.

(٦) نفس المرجع، ص ١٩٠.

(٧) الإمام البخاري : صحيح البخاري، جـ٣، ص ٧٠.

(٨) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم : كتاب الخراج، ص ٦٦.

(٩) نفس المرجع ونفس الصفحة.

(١٠) نفس المرجع، ص ٦٨.

جداً من الكبار أو ممن يرى في إقطاعهم فائدة تعود عليهم وعلى المجتمع[1] هي أهداف سامية. وتميم الداري رضي الله عنه هو أول من أسرج في المسجد[2] وأول من قصّ القصص[3]. قال المصطفى «ﷺ» : «ليس لأحد إلا ماطابت به نفس إمامه»[4]. ومن يقوم بدراسة وثائق الأعطيات التي منحها رسول الله «ﷺ» للداريين يمكنه التعرف على الحقائق التالية :

١ ــ إن الرسول «ﷺ» مؤمن حقاً برسالته التي كلّفه الله بها، وأنها سوف تعم بعون الله ونصره بحيث تشمل ما ذكره للداريين من أوطان مشترطاً كما في «ماوهب محمد رسول «ﷺ» للداريين إذا أعطاه الله الأرض».

٢ ــ تحديد الأماكن بالاسم حرصاً من الرسول «ﷺ» على عدم امتداد طمع المعطى لهم إلى مافي أيدي الآخرين ليضمن لهم ما منحهم وعدم التعدي عليهم من قبل الآخرين، وهذا ما حصل فعلاً.

٣ ــ إن هذه العطية كانت عندما كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في مكة، وهذا يعني أن الدعوة المحمدية قد بلغت تلك الأصقاع في بلاد الشام،ولذا حضر الناس للتعرف على صاحب الرسالة وما يدعو إليه. وأمرهم الرسول «ﷺ» بالحضور إليه عندما يهاجر إلى المدينة.

٤ ــ إن الكتاب الثاني أكد فيه العطية وبصورة غير مشروطة كما في قوله «هذا ما أعطى» وكما في «عطية بت» لأنه «ﷺ» متأكد من نصرة دينه وشمول هذا الدين الحق لتلك البلاد التي منحها للداريين. قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[5] «ﷺ» . وقال تعالى :

---

(١) أقطع للداريين وأقطع للزبير بن العوام، وبلال بن الحارث وعقيب بن كعب، وجميع بن رزام، والحصين بن أوس الأسلمي ومجاعة بن مرارة، وبلال بن رباح المزني، وعوكر بن حرملة الجهني، وعباس بن مرداس السلمي، وغيرهم كثير. انظر : الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٩١، ١٩٢ وص ١٩٧، ١٩٨ ومكاتيب الرسول للأحمدي، جـ٢، ص ٤٩٢.

(٢) الطبراني : المعجم الكبير، جـ٢، ص ٣٧.

(٣) نفس المرجع ونفس الصفحة.

(٤) علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي : الأحكام السلطانية، ط ٣، ص ١٧٧.

(٥) سورة النجم ــ الآيات ٣، ٤، ٥.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[1].

٥ ــ إن العطية كانت خالصة للداريين ولأعقابهم من بعدهم «أبد الأبد» أي إلى آخر الزمان.

٦ ــ معرفة الرسول «ﷺ» بأن تلك المناطق سوف يشملها الإسلام يعتبر من معجزاته «ﷺ» لأن هذا حدث فعلاً في عهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم. وبدراسة وثائق الأعطيات للداريين ولغيرهم ممن منحهم رسول الله «ﷺ» أراضي يمكن استخلاص الدلالات الإعلامية الآتية :

الدلالات الإعلامية لوثائق الأعطيات :

أولاً : إن الإسلام بلغ جهات خارج شبه الجزيرة العربية قبل الهجرة حيث آمن بدعوته عدد من الناس ومنهم الداريون الذين كانوا يعيشون في فلسطين، وأن منحهم الأعطيات من الأسباب التي مهدت الطريق لتعاليم الدين الإسلامي لتسلك سبلها إلى نفوس الناس وقلوبهم، ولكي يقبل على تقبل العقيدة الحقة أكبر عدد من الناس.

ثانياً : إن الإقطاع سبيل لتأليف كبار القوم ومن تبعهم إلى جانب المسلمين، ولضمان الاستقرار، ولاستصلاح الأراضي الممنوحة وعمارتها، وتضييق نطاق الخلاف بين القبائل، والقضاء على عدوان القبائل على بعضها بإيجاد مورد ثابت للرزق، وهو الزراعة، ولأن الأرض والموارد الطبيعية قد خُلقت لمنفعة البشر جميعاً. قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[2].

ثالثاً : يهدف الرسول «ﷺ» من الأعطيات وتحديدها بالاسم إلى المحافظة على الأمن والسلام بين القبائل العربية المتنازعة، وحفظ حقوق القبائل الأخرى في أملاكها.

رابعاً : إعطاء الأراضي وسيلة هامة لاستصلاح الأراضي الموات، إضافة إلى كونها وسيلة ذات أثر فعّال في تأليف القلوب لمن كان لهم خطر من زعماء القبائل، ولضمان ولائهم.

---

(١) سورة البقرة ــ آية ١٠٧.

(٢) سورة البقرة ــ آية ٢٩.

وهذه بعض النتائج التي ترتبت على إقطاع الرسول «ﷺ» للداريين وغيرهم :

١ ـ حسن إسلام الداريين وارتفاع شأنهم ولاشك أنه تبعهم عدد كبير من الناس. فمن أسلم شمله عز الإسلام وبركاته ومن بقي على كفره أصابه الذل والهوان. وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله «ﷺ» يقول: «ليبلغن هذا الدين مابلغ الليل حتى يدخل بيت المدر وبيت الوبر حتى يعزّ الله الإسلام، ويذل الكفر. قال تميم فقد عرفت ذلك في أهل بيتي قد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، وأصاب من ثبت منهم على الكفر الذل والصغار والجزية[1].

٢ ـ استقرار القبائل ونبذ نعرة العدوان بينها. وأصبحت الرابطة هي الأخوة الإسلامية، حيث صرفوا نشاطهم لنصرة دين الله، وقتال من أشرك بالله.

٣ ـ اتساع رقعة الأراضي التي استغلت للزراعة نتيجة للإقطاعات، وهذا عامل مهم في الاستقرار، ومضاعفة الإنتاج الذي يعود بالفائدة على الفرد والجماعة الإسلامية. قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[2].

٤ ـ إقبال الناس على الإسلام للنجاة من غارات القبائل الأخرى، لأنهم وجدوا في الدين الإسلامي ضمان سلامة العقيدة والأمن والسلام. قال تعالى :﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

٥ ـ تحديد اسم العطاء خشية من أن تمتد إلى أملاك الغير، ولحفظ حقوق الآخرين، ولضمان حيازة أرض بعينها، وتحديد مدى الإجازة.

---

(١) الطبراني : المعجم الكبير، جـ٢، ص ٤٧.

(٢) سورة البقرة ـ آية ٢٦٧.

(٣) سورة الأنفال ـ آية ٢٦.

ثالثاً : المؤلفة قلوبهم[1]

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[2].

والمؤلفة قلوبهم فئة من سادة العرب كان النبي «ﷺ» يتألفهم[3] ويأمر بإعطائهم ليُرغِّبوا مَنْ وراءهم في الإسلام[4]، والمؤلفة قلوبهم من قريش والقبائل العربية وهم أشراف قومهم، ولم تصح بصائرهم في بداية الدعوة المحمدية، لذلك كان «ﷺ» يتألفهم بالعطية.

واختلف فيهم[5]. وقد كان من أهداف النبي «ﷺ» من إعطائهم الأعطيات وقوفهم إلى جانب المسلمين وليتألف بهم قومهم[6] أيضاً، وهم طوائف، منهم الذين دخلوا حديثاً في الإسلام، ويراد تثبيتهم عليه، ومنهم من يُرجى أن تتألف قلوبهم فيسلموا،

---

(١) ألّف بينهما تأليفاً : أوقع الألفة، وتألف فلاناً، داراه وقربه ووصله حتى يستميله إليه.. والقوم : اجتمعوا كاتلفوا والمؤلفة قلوبهم من سادة العرب، والايلاف في التنزيل العهد، وشبه الأجازة بالخفارة وأول من أخذها هاشم من ملك الشام. وتأويله أنهم كانوا سكان الحرم آمنين في امتيازهم وتنقلاتهم شتاءً وصيفاً والناس يتخطفون من حولهم، فإذا عرض لهم عارض قالوا نحن أهل حرم الله فلا يتعرض لهم أحد. انظر : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة للطاهر أحمد الزاوي، جـ١، ص ١٦٨، ١٦٩ والمؤلفة قلوبهم هم الأقرع بن حابس وجبير بن مطعم والجد بن قيس، والحارث بن هشام، وحكيم بن حزام، وحكيم بن طليق وحويطب بن عبدالعزى، وخالد بن أسيد، وخالد بن قيس وزيد الخيل، وسعيد بن يربوع، وسهيل بن عمرو بن عبدشمس العامري وسهيل بن عمرو الجمحي، وصخر بن أمية، ومثعوان بن أمية الجمحي، والعباس ابن مرداس، وعبدالرحمن بن يربوع، والعلاء بن جارية، وعلقمة بن علاثة، وأبو السنابل عمرو بن بعكك، وعمرو بن مرداس، وعمير بن وهب، وعيينة بن حصن، ومخرمة بن نوفل ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن الحارث، والنضر بن الحارث بن علقمة وهشام بن عمرو، وقيس بن عدي وقيس بن مخرمة ومالك بن عوف رضي الله عنهم. انظر : ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوي، جـ١، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٢) سورة التوبة ـــ آية ٦٠.

(٣) ابن قتيبة : القرطين لابن مطرف الكناني أو كتاب مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة، جـ١، ص ١٩٦.

(٤) الطاهر أحمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، جـ١، ص ١٦٩.

(٥) القرآن الكريم : مصحف الشروق المفسر، سورة التوبة رقم ٩ آية ٦٠، ص ٢١٥.

(٦) الحافظ يوسف بن عبدالبر النمري : الدرر، ص ٢٤٦.

وبعضهم أسلموا وثبتوا ويُرجى تأليف قلوب أمثالهم من قومهم ليثوبوا إلى الإسلام عندما يرون نظراءهم يرزقون ويزادون[١]. قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[٢].

وقيل هم مسلمون يُعطون لضعف يقينهم، مثل أبي سفيان بن حرب، والأقرع بن حابس، والعباس بن مرداس، وفريق قال: إنهم من الكفار مثل عامر بن الطفيل، وقال آخرون كانوا مسلمين ولهم إلى الإسلام ميل شديد مثل صفوان بن أمية[٣]. وكان النبي «ﷺ» يعطيهم من الصدقات والفيء ونحوهما وذلك لكفّ ضرر بعضهم عن المسلمين إذا كان كفّهم بالاعطاء[٤]. قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾[٥].

ومن هذه الفئة عباس بن مرداس السلمي الذي أعطاه رسول الله «ﷺ» أباعر قليلة فتسخطها، فقال رسول الله «ﷺ»: «اذهبوا فاقطعوا عني لسانه». فأعطوه حتى رضي، وكان ذلك قطع لسانه[٦]. وهذا العطاء وإن كان من الناحية الظاهرية هو إعطاء الرؤساء وترك الضعفاء إلا أن الأعمال بالنيّات[٧]. يقول الرسول «ﷺ» : «إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرىء ما نوى». واختلف في بقاء المؤلفة قلوبهم، فمنهم من قال هم زائلون، وأخذ به مالك، وقيل في كل زمان وحقهم في الصدقات ثابت إذا كان في ذلك معونة للإسلام وتقويته[٨]. يقول سيد قطب ــ رحمه الله ــ «ولكن المنهج الحركي لهذا الدين سيظل يواجه في مراحله المتعددة كثيراً من الحالات تحتاج إلى إعطاء جماعة من الناس على هذا الوجه، إما إعانة لهم على الثبات على الإسلام إن كانوا يحاربون في أرزاقهم، لإسلامهم، وإما تقريباً لهم من الإسلام كبعض الشخصيات غير المسلمة التي يُرجى أن تنفع الإسلام بالدعوة له، كالذود عنه، هنا

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن، جـ٣، ص ١٦٦٩.

(٢) سورة البقرة ــ آية ٢١٢.

(٣) الإمام الحافظ القاضي أبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، أحكام القرآن، ص ٣٩٤.

(٤) الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ٤٦.

(٥) سورة الطلاق ــ الآيتان ٢، ٣.

(٦) الحافظ يوسف بن عبدالبر النمري، ص ٢٤٧.

(٧) ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ٤٨.

(٨) مصحف الشروق المفسر، ص ٢١٥.

وهناك»[1]. ويقول ابن العربي ـــ رحمه الله ـــ «والذي عندي أنه إن قوي الإسلام، زالوا وإن احتيج إليهم أُعطوا سهمهم، كما كان يعطيه رسول الله «ﷺ». وفي الصحيح روي «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ».

أهم الحقائق المستفادة من إعطاء رسول الله «ﷺ» لهؤلاء السادة (المؤلفة قلوبهم) :

١ ـــ عدم إغفال رسول الله «ﷺ» لمراكز هؤلاء السادة الاجتماعية وتأثيرهم على أتباعهم، وعلى القبائل العربية، وهو صلوات الله وسلامه عليه يعلم ما تنطوي عليه أنفسهم من حب للمال ومفخرة بالمظاهر الدنيوية، حيث أن ذلك من أسباب حربهم للإسلام خشية على مراكزهم وأموالهم. وإدراكاً من الرسول «ﷺ» لهذه الأمور أحب أن يرضيهم بالأمور الدنيوية التي لا تؤثر على العقيدة بقدر ما تفيدها إن هم أسلموا أو وقفوا على الحياد أو أعانوا الإسلام. قال تعالى : ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[2].

٢ ـــ صرفهم عن معاداة الإسلام والمسلمين وذلك بتخصيص أعطيات لهم من أحد مصارف الزكاة.

٣ ـــ صرفهم عن بعض عادات الجاهلية كالغارات والسلب والنهب وسفك الدماء وذلك بتعويضهم من مصارف الزكاة. قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3].

٤ ـــ القضاء على عادات الجاهلية وذلك بتوجيههم للاستقرار للاستفادة من مكنونات الأرض.

الأثر الإعلامي من إعطاءات الرسول «ﷺ» :

أولاً : إن الله سبحانه وتعالى يعلم ما تنطوي عليه الأنفس. قال تعالى :﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[4].

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن، جـ٣، ص ١٦٦٩.

(٢) سورة آل عمران ـــ آية ١٠٣.

(٣) سورة المائدة ـــ آية ٢.

(٤) سورة العاديات ـــ آية ٨.

ولذلك جعل رسول الله «ﷺ» لهذه الفئة حظاً من مصارف الزكاة طمعاً في إسلامهم، أو دفع مضرة إذا لم تدفع إلا بذلك، والمسلم المعطى يُرجى تحسن إسلامه أو إسلام نظيره[1]. قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[2].

ثانياً: حرص الرسول «ﷺ» على تأليف قلوب الناس وخاصة الذين أسلموا حديثاً وعلى رأسهم كبار القوم لما لهم من تأثير فعّال على أتباعهم، وذلك لأن الإسلام يدرك حقيقة النفس البشرية وما جبلت عليه. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

وإن انتقال النفس البشرية من الشر إلى الخير أمر ليس بالهين وذلك لأن الشيطان يسوّل لهم حب الشهوات والمغريات. قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

ولأن في الاعطاء عاملاً ايجابياً يدفعهم إلى الإسلام حباً في اعتناقه والرغبة فيه وذلك لأنه يحمل من المبادىء الإنسانية والمبادىء السامية ما يسعد الفرد ويضمن له الأمن والأمان، والرزق الحلال، ويحفظ له مركزه.

ثالثاً: استطاع الإسلام القضاء على العوامل السلبية في نفوس هؤلاء النفر ذوي الشأن في أقوامهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[5]. كما أن الذي يغيّر دينه لا يغيّر شيئاً بسيطاً عادياً، إنما يغيّر مسار حياته كلها، ولذلك كان من الضروري أن يجذب هؤلاء الناس وتؤلف قلوبهم إما بإقطاعهم أرضاً أو الزيادة في صدقاتهم أو بإعطائهم نوعاً من الفخر الدنيوي «من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن».

---

(١) ابن تيمية: السياسية الشرعية، ص ٤٨.

(٢) سورة يونس ــ آية ٣١.

(٣) سورة الأنفال ــ آية ٥٣.

(٤) سورة البقرة ــ آية ٢٦٨.

(٥) سورة الرعد ــ آية ١١.

رابعاً : علاج بعض الأمراض النفسية عند بعضهم مثل الشح والبخل. قال تعالى : ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[1]. وعن موسى عن أبيه قال : ما سئل رسول الله «ﷺ» على الإسلام شيئاً إلا أعطاه قال : «فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال ياقوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة»[2].

أهم النتائج الجليّة من حكمة خير البرية :

١ ــ استطاع الرسول «ﷺ» بإعطائهم هذا القضاء على الارتباط بالقديم بما فيه من عادات وعلاقات، وكذلك المصالح الاقتصادية والاجتماعية حيث تغير الأمر بدخولهم في الإسلام.

٢ ــ علمهم الإسلام فضل البذل والعطاء للمستحقين. قال تعالى :﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[4].

٣ــ إسلام من أعطاهم رسول الله «ﷺ» أمثال: أبي سفيان والأقرع بن حابس وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وغيرهم حيث ساهموا مساهمة فعّالة في نصرة دين الله.

٤ ــ إقبال العرب على الإسلام بصورة واسعة خاصة بعد إسلام قريش.

٥ ــ أصبحت الأخوّة الإسلامية هي الرابطة بين المسلمين وبذلك قضى الإسلام على كثير من العادات العنصرية السخيفة قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[5].

---

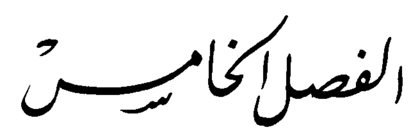
(١) سورة النساء ــ آية ١٢٨.

(٢) الإمام مسلم : صحيح مسلم، شرح النووي، جـ١٥، ص ٧٢.

(٣) سورة آل عمران ــ آية ٩٢.

(٤) سورة سبأ ــ آية ٣٩.

(٥) سورة الجمعة ــ آية ٢.


الفصل الخامس



القيمة الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة

(الفصـل الخامـس)

القيمة الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة

في هذا الفصل نستعرض الخطوط العريضة للقيم الإعلامية التي تتضح لنا من دراستنا لكتب الرسول عليه الصلاة والسلام ورسائله ومعاهداته على اختلاف أنواعها، ونرجو أن نوفق بإذن الله إلى اكتشاف خصائص هذه الرسائل الإعلامية وما تشير إليه من مبادىء سامية، لكي تتضح الرؤية أمام العاملين في ميدان الدعوة، والمشتغلين في مجالات الإعلام المختلفة، فنقول وبالله التوفيق: إن الرسول «ﷺ» قد استهدف أولاً وبالدرجة الأولى من الحملة الإعلامية الواسعة في الداخل والخارج الدعوة إلى الله الواحد الأحد والعمل على نشر الإسلام وإشاعة مبادىء الأمن والسلام المستمدة من دين التوحيد لما فيه من أمن وسلام في الدنيا، ونعيم مقيم في الآخرة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[1].

فجعله الله شاهداً على الأمم بإبلاغهم الرسالة، وهذا من خصائصه، ومبشراً لأهل الطاعة الذين يستجيبون للدعوة، ونذيراً لأهل المعصية، وداعياً إلى توحيد الله، وسراجاً منيراً يهتدى به للحق[2]، وذلك لأن المجتمع البشري كله في الأصل وحدة متكافئة متعاونة قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب ــ الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٢) الشيخ محمد عبدالباقي الزرقاني: شرح المواهب اللدنية على المواهب اللدنية للإمام القسطلاني، جـ٦، ص ١٥٤.

(٣) سورة البقرة ــ آية ٢١٣.

وفي الحديث الشريف : «الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله».

فالمجتمع الإنساني الذي دعا الإسلام لإقامته على أسسه العقائدية مجتمع تضامن متكامل متعاون[1]، «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» متفق عليه.

والله سبحانه وتعالى يؤكد لرسوله (صلوات الله وسلامه عليه) وللبشرية قاطبة أن الإسلام دين الله الخالص للعالمين، وليس كما يصوّره أهل الشرك والعقائد الأخرى أنه لقبيل دون قبيل[2]. فقد قال الله تعالى في عدة بلاغات إلهية : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3]. وقال جل شأنه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾[4]. وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[5]. وقال جل شأنه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[6]. وقال جل من قائل : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[7] وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[8]. وقال عزّ من قائل : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾[9]. وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[10] . وقال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[11].

وذلك لأن البشر أمة واحدة من أصل واحد وخالقها رب واحد سبحانه وتعالى،

---

(١) الأستاذ محمد المبارك وآخرون : الثقافة الإسلامية، ص ٢٤٢.

(٢) الأستاذ محمد الراوي : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ط٢ عام ١٣٩٠هـ، بيروت، ص ٦٠.

(٣) سورة إبراهيم ــ آية ٥٢.

(٤) سورة الأعراف ــ آية ١٥٨.

(٥) سورة الأنعام ــ آية ١٩.

(٦) سورة الأنبياء ــ آية ١٠٧.

(٧) سورة سبأ ــ آية ٢٨.

(٨) سورة الفرقان ــ آية ١.

(٩) سورة ص ــ الآيتان ٨٧، ٨٨.

(١٠) سورة الفتح ــ آية ٢٨.

(١١) سورة يس ــ الآيتان ٦٩، ٧٠.

وهي بذلك لابد أن تكون ذات عقيدة واحدة حيث قال سبحانه وتعالى :﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [2].وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [3] وقال جل من قائل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [4].

وإن الهدف الإسلامي هو إزالة كافة المعوقات التي تعترض طريق نشره، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾[5].

ولاشك أن أخطر هذه المعوقات وأعتاها وأكثرها خطورة هو الحاكم الظالم المستبد أمثال كسرى فارس قال تعالى : ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [6].

ومن ثم فقد سلك الرسول «صلى الله عليه وسلم» مسلكاً واقعياً عندما خاطب السادة الحاكمين من أمثال المنذر بن ساوى حاكم البحرين، والمقوقس عظيم القبط بمصر، وكسرى فارس، وحكام اليمن واليمامة والروم والحبشة وهجر وعُمان وغيرهم فكان «صلى الله عليه وسلم» يقدّم رسائله الخطيّة مشفوعة بإعلام شفهي يقوم به كل رسول على حدة، لإقناع الملك والحاكم أو الرئيس بأن المشركين من نصارى ويهود ووثنين ومجوس كلهم لا يرقون إلى ما يقرره الإسلام من إيمان خالص لله وحده، لا شريك له وبمحمد نبياً ورسولا، وذلك لأن الإسلام يهدف إلى نقل كل البشر فكرياً وسلوكياً من العبادات والعقائد المصطنعة بكل أنواعها إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له، وبهذا خاطب رسول البشرية صلوات الله وسلامه عليه هرقل وكسرى والنجاشي والمقوقس برفق ولين لكسب الأنصار والمؤيدين لكي تنطلق الدعوة وتلتف

---

(١) سورة الأنبياء ــ آية ٩٢.

(٢) سورة النمل ــ آية ٩٣.

(٣) سورة هود ــ آية ١١٨.

(٤) سورة النساء ــ آية ١.

(٥) سورة البروج ــ آية ١٠.

(٦) سورة الرعد ــ آية ٣٣.

حولها القلوب. قال تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[١]. ومجادلة هؤلاء الملوك والأباطرة وخاصة أهل الكتاب بالحسنى كما أمر الله ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٢]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[٣] وقال جل من قائل: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٤]. فالرسول «ﷺ» استعمل الأسلوب النافذ بحكمة ولباقة ليبلغ رسالته بالبيانات الالهية الإعلامية البليغة والمؤثرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٥].

وقد جاء بما معنى الحديث:

«أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[٦] قال الرسول «ﷺ» «كلكم لآدم وآدم من تراب» وخاطب الرسول الكريم «ﷺ» الملوك والأمراء العرب: حاكم البحرين وملك عُمان وملك اليمامة وبعض الشيوخ بأسلوب مقبول ومن مركز القوة وذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل النبي «ﷺ» من العرب، وهو خاتم الأنبياء والرسل، وجعل القرآن بلسانهم، لذلك أصبح العرب هم قادة الإسلام والمكلفين بنشره بين شعوب الأرض، لذلك لابد من حسم مسألة انضوائهم تحت لوائه ولو بالقوة إذا لزم الأمر[٧] قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٨].

---

(١) سورة طه ــ الآيتان ٤٣، ٤٤.

(٢) سورة آل عمران ــ آية ٦٤.

(٣) سورة العكنبوت ــ آية ٤٦.

(٤) سورة النحل ــ آية ١٢٥.

(٥) سورة الحجرات ــ آية ١٣.

(٦) هو معنى حديث والحديث «كلكم لآدم وآدم من تراب».

(٧) عبدالله السحيباني: السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، ص ٢٢٥.

(٨) سورة البقرة ــ آية ١٤٣.

وقال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[1] ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[2]. وقال عز من قائل : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾[3].
وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4].

وكان الرسول «ﷺ» أشد الناس تواضعاً مع العرب وغير العرب مع علو منصبه، وكفى أنه خُيِّر أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً[5]، ولقد وسع الناس كل الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وأصبحوا عنده في الحق سواء ومجلسه مجلس حلم وحياء وحب، لا ترفع فيه الأصوات، وكانوا يتفاضلون بالتقوى متواضعين، يحترمون فيه الكبير، ويعطفون على الصغير، فكان «ﷺ» حسن الخلق يتجنب الغلظة، ويصبر على الأذى[6].

ولننظر والعالم معنا بإعجاب لحسن تدبير النبي «ﷺ» للعرب الذين هم في بداوتهم بما فيها من جفاء وقسوة مع الطباع المتنافرة كيف ساسهم واحتمل صدّهم. وصبر على مشكلاتهم إلى أن انقادوا إليه واجتمعوا معه وقاتلوا دونه الأهل والآباء والأبناء واختاروه على أنفسهم وهجروا لإرضائه أوطانهم وأحياءهم، لأنه صلوات الله وسلامه عليه أعقل العالمين»[7] كان خُلقه القرآن» ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[8].

---

(١) سورة آل عمران ــ آية ١٠٣.
(٢) سورة آل عمران ــ آية ١٠٣.
(٣) سورة الأنفال ــ آية ٦٣.
(٤) سورة الجمعة ــ آية ٢.
(٥) القاضي عياض : كتاب الشفاء عام ١٣١٢، مطبعة عثمانية، ص ١٠٠، ١٠١.
(٦) يوسف إسماعيل النبهاني، وسائل الوصول إلى شمائل الرسول عام ١٣٠٩، بيروت، المطبعة الأدبية، لبنان، ص ٩٣.
(٧) يوسف إسماعيل النبهاني، وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، عام ١٣٠٩هـ، بيروت، المطبعة الأدبية، لبنان، ص ٨٨.
(٨) سورة القلم ــ آية ٤.

فكان «ﷺ» يتجاوز عن سيئاتهم طمعاً في إسلامهم[(١)](٣) وهدايتهم، إذ لو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله.

قال تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾(٢).

وكانت الخطوة الثانية التي اتبعها الرسول «ﷺ» في حملته الإعلامية لنشر الإسلام وسيادة مبادئه مستمدة من الخطوة الأولى وهي مخاطبة الشعب نفسه إما برسائل مباشرة يدعو فيها إلى نبذ عبادات الأوثان وغيرها وكذلك إلى اعتماد الإسلام ديناً لهم قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾(٣).

وقال تعالى :﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٤). يوجه حركة المجتمع في كافة شؤونه السياسية والاقتصادية والاجتماعية بحيث يصبح المجتمع ينعم بالأمن والسلام والمحبة والوئام. كما هو الحال بالنسبة للأسبيذيين بعُمان ومن كان منهم بالبحرين «أنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله ونسكوا نسك المسلمين فإنهم آمنون.. غير أن مال بيت النار ثنيا عليه لله ورسوله»(٥).

وإلى هجر «أوصيكم بالله وبأنفسكم.. فإذا جاءكم أمرائي فأطيعوهم وانصروهم على أمر الله وفي سبيله»(٦)، وإلى المنذر في مجوس هجر «اعرض عليهم الإسلام فإن

---

(١) عبدالله السحيباني : السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، ص ٢٨١.

(٢) سورة آل عمران ــ آية ١٥٩.

(٣) سورة الأعراف ــ آية ١٧٢.

(٤) سورة الأعراف ــ آية ١٥٨.

(٥) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية، ط٢ عام ١٤٠١هـ، بيروت، إدارة الكتاب اللبناني، جـ١، ص ٣٢٧.

(٦) أبو عبيدالقاسم بن سلام : كتاب الأموال، ط٣ عام ١٤٠١هـ بالقاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر بالقاهرة، ص ١٩١.

أسلموا فلهم مالنا وعليهم ماعلينا، ومن أبى فعليه الجزية في غير أكل لذبائحهم ولا نكاح لنسائهم»[١].

وكما في كتابه «ﷺ» بين المؤمنين وأهل يثرب وموادعة اليهود «وأن المؤمنين أيديهم على كل من بغى وابتغى منهم دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم.. وأنه من تبعنا من اليهود فإن له المعروف والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة أو آمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه.. لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم إلا من ظلم وأثم وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث يخيف فساده فإن أمره إلى الله وإلى محمد النبي.. وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن إلا من ظلم وأثم»[٢].

وعند توديعه «ﷺ» لسرايا المجاهدين في سبيل الله يوصي الأمراء « «أغزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ولاتغلوا ولاتغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا وليداً»[٣].

وهذه الوصايا التي يوجه بها رسول الله قادة الدعاة هي أسمى مايمكن أن يتصور في أخلاقيات الحروب وآدابها هذا مع مانعرف من الأساليب الوحشية التي يسلكها هؤلاء مع المسلمين إن ظفروا بهم، ومن ثم هتف الشاعر المسلم بمسلكنا ومسلكهم فقال يخاطبهم:

ملكنا فكان العفو منا سجية … فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وماعجب هذا التفاوت بيننا … فكل إناء بالذي فيه ينضح

وكما في كتابه «ﷺ» لعمرو بن حزم حين استعمله على نجران «أمره بتقوى الله في أمره كله. فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به، وأن يبشر الناس بالجنة، وبعملها وينذر الناس النار وعملها، ومن أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه فدان دين

---

(١) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية، ط١، ص ٣٢٤.
(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام : كتاب الأموال، ط٣ عام ١٤٠١هـ، ص ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦.
(٣) نفس المرجع، ص ٢٨.

الاسلام فإنه من المؤمنين له مالهم وعليه ماعليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لايغير عنها»(١).

وكما في وصيته «ﷺ» إلى معاذ بن جبل عند توديعه وهو في طريقه لليمن «يامعاذ أوصيك بتقوى الله العظيم وصدق الحديث وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار وخفض الجناح ولين الكلام ورحمة اليتيم والتفقه في القرآن.. يامعاذ لاتفسدن أرضاً ولاتشتم مسلماً.. وأن تحدث لكل ذنب توبة.. يامعاذ تواضع لله عز وجل يرفعك الله واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار.. ولا تحابين في أمر الله، وأد إليهم الأمانة في الصغير والكبير وأمت أمر الجاهلية إلا ماحسنه الاسلام.. والصلاة الصلاة فإنها قوام هذا الأمر اجعلوها همكم وآثروا شغلها على الأشغال وترفقوا بالناس وتعاهدوا الناس بالتذكير وأتبعوا الموعظة بالموعظة فانه أقوى للعاملين على العمل بما يحب الله، ولاتخافوا في الله لومة لائم، واتقوا الله الذي إليه ترجعون»(٢).

هذا هو المجتمع الاسلامي الذي ضمن له الاسلام أن ينعم بالأمن والسلام والمحبة والوئام. قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٥).

وقال جل شأنه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾(٦).

وكان رسول الله «ﷺ» لايعزل الحكام عن مناصبهم طالما آمنوا بالاسلام، وخلوا

---

(١) الإمام أبو الفدا، إسماعيل بن كثير : السيرة النبوية، جـ٢، ص ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩.

(٢) علاء الدين الهندي : كنز العمال، جـ١٠، ص ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧.

(٣) سورة المائدة ــ الآيتان ١٥، ١٦.

(٤) سورة النحل ــ آية ٩٧.

(٥) سورة النور ــ آية ٥٥.

بين الشعب ونشر العقيدة الاسلامية، وإلا فإنه يحمل الحاكم مسؤولية وقوفه في سبيل انتشار الاسلام وما يأتي خير شاهد على ذلك:

رسالته إلى هرقل.. (فان توليت فعليك اثم الأريسيين)[١].

رسالته إلى النجاشي.. (فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي)[٢].

رسالته إلى المقوقس.. (فإن توليت فعليك اثم القبط)[٣].

رسالته إلى كسرى.. (فان أبيت فان اثم المجوس عليك)[٤].

رسالته إلى الحارث بن أبي شمر الغساني:

«أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لاشريك له، يبقى لك ملكك»[٥].

رسالته إلى هوذة بن علي الحنفي.. «فاسلم تسلم، وأجعل لك ماتحت يديك»[٦].

رسالته إلى المنذر بن ساوى.. «فإني أدعوك إلى الاسلام فاسلم تسلم وأجعل لك ماتحت يديك»[٧].

رسالته إلى جيفر وعبد أبناء الجلندى.. «فإني أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما.. وأن أبيتما أن تقرا بالاسلام فإن ملككما زائل»[٨].

ومن حكمة الرسول «ﷺ» أن يكرم كريم كل قوم بما يناسبه من التعظيم، ويولي على كل قوم كبيرهم أو كريمهم ترغيباً له في الاسلام، ومراعاة للأهلية في الولايات، وترهيباً من ولاية الأسافل، وهذا من حسن تدبيره «ﷺ» لعلمه بأن القوم أطوع لكبيرهم[٩]، وإبقاء على مراكز هؤلاء الكبار لتأليفهم إلى الاسلام. قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ

---

(١) الدكتور عون الشريف : نشأة الدولة الإسلامية، ص ٣٢٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٠٢.

(٣) نفس المرجع، ص ٣٠٤.

(٤) نفس المرجع، ص ٣٠٦.

(٥) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية، ص ٣٠٧ وانظر مكاتيب الرسول للشيخ علي الأحمدي، ص ١٤١.

(٦) الشيخ علي الأحمدي : مكاتيب الرسول، ص ١٣٦.

(٧) نفس المرجع، ص ١٤١.

(٨) نفس المرجع، ص ٤٧.

(٩) محمد قاسم. من شرح المرسوم بالفوائد الجليلة، مطبعة بولاق، القاهرة، عام ١٣٩٦هـ، جـ٢، ص ١٦٤.

جهنم وساءت مصيرا ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾[2].

وقال عز من قائل: ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر (٢١) لست عليهم بمصيطر﴾[4] وهكذا يبدو لنا أن مايروجه المفترون والمرجفون ومايدعونه كذباً وبهتاناً باتهام الاسلام بأنه قد انتشر بقوة السيف إنما هي أكاذيب تضلل الناس وتزيف التأريخ، وذلك لأن الدعوة الاسلامية تأبى الاكراه وتتنافى معه لأن سبيلها الحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾[5].

ففي نظر العقيدة أن ايمان المكره لايعد ايماناً[6]. قال تعالى: ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (٨٤) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾[7].

كل ذلك إنطلاقاً من القواعد الالهية الواضحة في كتاب الاسلام الخالد الذي يقرر حرية الاقتناع والاعتناق وعدم الاكراه قال تعالى في بلاغات الهية صريحة:

﴿ ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾[8].

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾[9].

---

(١) سورة النساء ــ آية ١١٥.
(٢) سورة العنكبوت ــ آية ١٨.
(٣) سورة الأحقاف ــ آية ٢٦.
(٤) سورة الغاشية ــ الآيتان ٢١، ٢٢.
(٥) سورة النحل ــ آية ١٢٥.
(٦) الأستاذ محمد الراوي : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ط٢ عام ١٣٩٠هـ، بيروت، ص ٤٤.
(٧) سورة غافر ــ الآتيان ٨٤، ٨٥.
(٨) سورة المائدة ــ آية ٩٩.
(٩) سورة البقرة ــ آية ٢٥٦.

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[1].

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾[2].

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[3].

وقال أمير الشعراء أحمد شوقي:

قالوا غزوت ورسل الله مابعثوا   لقتل نفس ولا جاؤوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة   فَتَحْتَ بالسيفِ بعد الفتْحِ بالقلم

إذ أن الرسول «ﷺ» لايكره الناس على اعتناق الإسلام، ولم يبتغ ملكاً بدليل أن كل ملك أو رئيس قبل الإسلام دينا احتفظ بملكه وآمن على عرشه ورئاسته لشعبه كما هو الحال بالنسبة لأمير البحرين.. «وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ماأسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم. وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية»[4].

وكما في رسالته الشفهية لباذان مع مرسوليه.. «وقولا له إنك إن أسلمت أعطيتك ماتحت يديك وملكتك على قومك»[5].

وهناك دليل آخر على أن المترددين في قبول الإسلام أو الرافضين له من أمثال هوذة ابن علي ملك اليمامة والمقوقس حاكم مصر وهرقل إمبراطور الروم كانوا جميعاً يرفضون الإعلان عن إسلامهم والجهر به علناً طمعاً في مكسب دنيوي أو خوفاً على امتيازاتهم والشواهد هي:

قال هوذة في رسالته لرسول الله «ﷺ».. «ماأحسن ماتدعو إليه وأجمله. وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر اتبعك»[6].

---

(١) سورة يونس ــ آي ٩٩.

(٢) سورة الأنعام ــ آية ١٠٧.

(٣) سورة ق ــ آية ٤٥.

(٤) محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسيه، جـ١، ص ١١٤.

(٥) الشيخ علي بن حسين علي الأحمدي : مكاتيب الرسول، ص ٩٤.

(٦) أبو الفرج عبدالرحمن الجوزي : الوفا بأحوال المصطفى، جـ٢، ص ٧٣٨. وانظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٦٢.

وقال هرقل.. «واني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الانجيل بشرنا بك عيسى ابن مريم، واني دعوت الروم إلى الايمان بك فأبوا ولو أطاعوني لكان خيراً لهم»(١).

وقال المقوقس.. «وفهمت ماذكرت وماتدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقي، وقدكنت أظن أنه يخرج بالشام»(٢).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٤).

ولأن مثل هؤلاء آثروا الحياة الدنيا فقد قال تعالى لرسوله الكريم ليكون على بينة من الأمر ولكيلا يأسف على سوء تصرفاتهم وجور البعض منهم ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾(٥).

وانها لسنة المتكبرين من لدن نوح عليه السلام إلى عهد محمد رسول الله «ﷺ» «أن يقفوا في سبيل انتشار دين الله الذي ارتضاه لعباده، وأن يردوا الناس عن الايمان بالله الواحد القهار، بل انهم يوحون إلى المستضعفين من الناس أن يصدوا عن الصراط المستقيم، وأن يصدوا عن قبول الدين» قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٦).

وقال جل من قائل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(٧).

---

(١) أحمد بن يعقوب : تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٦٧.

(٢) د. محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٠ وجمهرة رسائل العرب للدكتور أحمد صفوت، جـ١ ،ص ٤٣.

(٣) سورة البقرة ــ آية ١٤٦.

(٤) سورة الأنعام ــ آية ٢٠.

(٥) سورة الأعراف ــ آية ١٤٦.

(٦) سورة الرعد ــ آية ٤٣.

(٧) سورة فصلت ــ آية ٢٦.

والاسلام من خلال نشاطه الاعلامي، كما ذكرنا، لايجبر الناس على اعتناقه كرهاً حيث أن مهمة الرسول صلوات الله وسلامه عليه هي التبليغ لنشر الأمن والسلام، وسيادة العدل الذي يأمر به الخالق سبحانه وتعالى. والعدل عند الاسلام للكل: العدو والصديق والقريب والبعيد، وكذلك الرحمة التي ليست لبني الانسان فقط، وإنما تشمل كل المخلوقات[١]، كقول الرسول: «الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. لاتنزع الرحمة إلا من شقي» والله سبحانه وتعالى لم يجعل خاتم الأنبياء والمرسلين رحمة لعالم دون عالم بل جعله رحمة للعالمين جميعاً وأعلن ذلك[٢] بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[٣].

ومع أن الاسلام ينكر على النصرانية واليهودية انحرافهما بالعقيدة إلا أن وسيلته في اقناعهم هي التفاهم بالحسنى والمجادلة بالتي هي أحسن، ويتركهم وما يدينون به ماداموا لم يتعرضوا له ولم يصدوا عن سبيله، وفي نفس الوقت يطالب الاسلام أتباعه بتحقيق العدل والانصاف في معاملتهم[٤].

قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[٥].

وبالنسبة للصراع الذي احتدم بين المسلمين والمسيحيين فسببه أن الاسلام ناهض مسيحية القرن السابع الميلادي الفاسدة التي ناصبته العداء، وتقاليد المجوس المنحلة وغطرسة اليهودية التي اتخذت من الرب كنزا عنصرياً تكتنزه لجنسها[٦]، فالاسلام دين مليء بروح الرفق والسماحة، يسير الفهم وأنه دين الفطرة[٧].

---

(١) الأستاذ محمد الراوي: الدعوة الاسلامية دعوة عالمية، ط ٢ عام ١٣٩٠هـ ص ٣٦.

(٢) هاشم محمد سعيد دفتردار: ذكريات طيبة، ط ١ عام ١٣٧٠ هـ المدينة المنورة مكتبة العقبة بالمدينة المنورة ص ١٣٨.

(٣) سورة الأنبياء ــ آية ١٠٧.

(٤) الأستاذ محمد الراوي: الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ص ٣٦.

(٥) سورة الشورى ــ آية ١٥.

(٦) هـ.ج.ولز ــ ترجمة عبدالعزيز جاويد، معالم تأريخ الانسانية ط ٣ عام ١٩٧٢م بالقاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ج ٣ ص ٨٠١.

(٧) نفس المرجع ص ٨٠٢.

وللرسالة المحمدية الاسلامية العالمية عدة خصائص : أولها السلام وله ثلاثة أركان هي:

أ ــ منع سفك الدماء.. قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1].

ب ــ منع الفساد في الأرض.. قال تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[2].

جـ ــ بث روح التعارف.. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[3] وبث روح السلام..﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[4].

ثانياً: الحرب : لما طغى عدوان الوثنية على النبي «صلى الله عليه وسلم» وصحبه، وتكررت مؤامراتهم وعدوانهم وبطشهم أذن الله له «صلى الله عليه وسلم» برد العدوان.﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[5]. والمقصود من هذا الاذن هو دفع الاعتداء عن حرية العقيدة ولولاه لقضى المجرمون على الأديان[6]. يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾[7].

ومن خصائص الرسالة المحمدية أيضاً وفاؤها لحاجة البشرية فيما يصون وحدتها، ويرعى انسانيتها، وكذلك تشريعاتها التي تتضمن ظهور الانسانية كلها في محيط واحد لاعصبية دم أو اختلاف لون أو فرقة جنس، واتساق هذا الدين مع حقائق الكون

---

(١) سورة المائدة ــ آية ٣٢.

(٢) سورة الرعد ــ آية ٣٣.

(٣) سورة الحجرات ــ آية ١٣.

(٤) سورة البقرة ــ آية ٢٠٨.

(٥) سورة الحج ــ آية ٣٩.

(٦) هاشم محمد سعيد دفتردار: ذكريات طيبه ص ٨٢ و ص ٨٤.

(٧) سورة الحج ــ آية ٤٠.

بحيث لايتعارض مع مايثبت من حقائق العلم أو يختلف مع منطق الفكر[1].

ودأب الرسول «صلى الله عليه وسلم» على تشجيع من يقوم بعمل طيب يخدم الإسلام كما فعل مع المنذر بن ساوى حاكم البحرين وغيره كما في «فإن رسلي قد حمدوك، وأنك مهما تصلح أصلح إليك وأثيبك على عملك»[2].

وإلى أهل هجر.. (وإني لوجهدت حقي فيكم كله أخرجتكم من هجر فشفعت غائبكم، وأفضلت على شاهدكم فاذكروا نعمة الله عليكم).

وكان الرسول «صلى الله عليه وسلم» يدعو الناس إلى الحياة في مجتمع يسوده الأمن والسلام والمحبة، وذلك لأن الإسلام من الناحيتين العقائدية والتاريخية دين سلم لا عنف.

والسلم مع الخالق جل شأنه يتم بوساطة القيام بالأعمال الحسنة الطيبة نحو البشر من كل جنس وكل لون. قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4].

فالإسلام دين اقتناع لا دين اتباع وهذا المبدأ من أصول عظمته[5].

قال عز من قائل: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[6] وذلك لأن أساس حكومة الإسلام الأمانة والعدل والطاعة، والنصر بالحجة أقوى من النصر بالسيف. قال تعالى: ﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[7] ولعل هذا هو مايجعل الدين الإسلامي متميزاً عن الأديان الأخرى ومنفرداً بخصائص واقعية هي بالضرورة تكوين المجتمع الإسلامي الآمن، بعكس النصرانية واليهودية التي تنتظر ظهور المخلص الذي يظهر في آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلاً وإنصافاً بعد أن تكون قد ملئت ظلماً وجوراً.

---

(١) الأستاذ محمد الراوي: الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ص ٤٥ و ص ٤٦.

(٢) محمد طيب الله عضو البرلمان الهندي، ترجمة محمد عبدالفتاح إبراهيم، الإسلام والسلام، ط١ عام ١٣٩٦هـ بالقاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٣٢.

(٣) سورة البقرة ــ آية ١١٢.

(٤) سورة البقرة ــ آية ٦٢.

(٥) محمد طيب الله عضو البرلمان الهندي، ترجمة محمد عبدالفتاح إبراهيم، الإسلام والسلام، ص ٤٨.

(٦) سورة الأنعام ــ آية ٤٨. (٧) سورة البقرة ــ آية ٢٨٦.

وبذلك فإن اليهود والنصارى يعتمدون على بشر لانقاذهم من ظلم أنفسهم بينما الاسلام ينقذ من يدخل فيه ويضمن له السلامة لأن السلامة من العذاب هي في سلامة العقيدة كما في قوله «ﷺ» «اسلم تسلم» ويبشر الرسول (صلوات الله وسلامع عليه) من خلال رسائله أن الدين الاسلامي سيظهر في جميع أنحاء العالم ويعبر عن ذلك بعبارة بليغة تتردد في معظم رسائله اعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر[١] وبمفهوم ذلك الزمان أن دين الاسلام سيعم العالم، والذي تصل إليه أهم وسائل المواصلات في ذلك العصر وهي الخيل والابل.

أما من يخالف المسلمين فإنه يتحمل مسؤولية عمله، فأما الاسلام أو دفع الجزية بالنسبة لأهل الكتاب والقتال لغيرهم أو الدخول في سلام وهي آخر مايلجأ إليه الاسلام. قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[٢].

وينطبق هذا الكلام على ماحدث من رد فعل عنيف ضد أحد رسل الرسول «ﷺ» وهو الحارث بن عمير الأزدي من قبل شرحبيل بن عمرو الغساني الذي تعرض له، ومنعه من أداء رسالته ثم قتله.

وبناء على هذا التصرف فلم يكن هناك من سبيل بعد أن نفذت الوسائل الاعلامية السلمية والطرق الاقناعية إلا اللجوء إلى القوة وهم البادئون بالعدوان قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾[٥].

---

(١) حافر : علبة قرنية تنشأ من بشرة الجلد عند أطراف الأصابع في حيوان ثديي ذي حوافر وفي بعض الحيوانات كالغنم والماشية يكون الحافر مشقوقاً وفي بعضها الآخر لا يكون ذلك كالخيل والحمير أما الخف فللبعير. انظر : الموسوعة العربية، ط١، ص ٦٨٥.

(٢) سورة التوبة ــ آية ٢٩.

(٣) سورة البقرة ــ آية ٢٠٥.

(٤) سورة الرعد ــ آية ٣٣.

(٥) سورة النبأ ــ الآيات ٢١، ٢٢، ٢٣.

وقال عزّ من قائل موضحاً لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه كيفية معاملة المعتدين والذين يصدون عن سبيل الدعوة إلى الله ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[2] فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لايحب الظالمين. ومن أمثلة ذلك موقعة مؤتة، وذات السلاسل، وغزوة تبوك، وإعداد جيش أسامة.

ولم تكن رسائل الرسول «ﷺ» مقصورة على نشر الاسلام واعتناقه بل انها كما رأينا قد تجاوزت ذلك إلى مهمة لاتقل سمواً، وهي تكوين المجتمع الاسلامي السليم. فقد دامت المراسلات بين الملوك، وبين الرسول «ﷺ» بعد اعتناق الاسلام لتلقي التوجيهات النبوية الكريمة في التخطيط لبناء المجتمع، وإقامة العدل قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[3] واشاعة السلام بين ربوع البلاد التي اعتنقت دين الاسلام كما في «فمن استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له مالنا وعليه ماعلينا ومن لم يفعل فعليه دينار من قيمة المعافري»[4] وكما في «اعرض عليهم الاسلام»، فإن أسلموا فلهم مالنا وعليهم ماعلينا ومن أبى فعليه الجزية في غير أكل لذبائحهم ولا نكاح لنسائهم».

ولقد لاحظنا من دراستنا لرسائل النبي «ﷺ» واختيار الرسل الذين كانوا يحملون تلك الرسائل إلى المرسل إليهم من ملوك وأمراء أنهم يختارون على أسس اعلامية وواقعية،بمعنى أن الرسول كسفير للنبي الكريم «ﷺ» لابد أن تتوفر فيه عدة شروط منها مثلاً حسن المظهر، والقدرة على الاقناع، فقد قال رسولنا الكريم «ﷺ» «اذا أبردتم بريداً فليكن حسن الاسم حسن الوجه» ولذلك كان يختار رسله من صفوة أصحابه ليستطيع الرسول أن يفصح عن دينه بما عرف من روح رسالته[6].

---

(١) سورة الشورى ــ آية ٤٠.

(٢) سورة الشورى ــ آية ٤٠.

(٣) سورة النحل ــ آية ٩٠.

(٤) أبو يوسف : كتاب الخراج، ص ١٤١.

(٥) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية، ص ٣٢٤.

(٦) الدكتور محمد أحمد البيومي : سيدنا محمد في إبداعه الأدبي، عام ١٣٦٨هـ رسالة دكتوراة، مكتبة جامعة الأزهر بالقاهرة، ص ١٠٣.

وكان عليه الصلاة والسلام يغير أو يطلب تغيير من كان اسمه قبيحاً لأنه صلى الله عليه وسلم يحب التفاؤل ويكره التطير، ويغير من أسماء الرجال والأماكن ماكان فيه حزازة واشمئزاز نفس[1] فقد كتب إلى أسيبخت صاحب هجر «وأنني سميت قومك بني عبدالله»[2].

وقد تبين لنا من دراستنا أن الرسول «ﷺ» كان يختار مبعوثيه من الذين لهم معرفة طيبة ولديهم معلومات وفيرة عن البلاد التي يوفدون إليها، ولهم معرفة سابقة بعادات القوم وتقاليدهم إذا تحدثوا إليهم أو جرى حوار لكي يكون كل شيء على بصيرة.

وأهم من ذلك أن الرسالة الاعلامية الخطية كانت تتكامل دائماً مع رسالة شفهية لها طبيعة خاصة تتناسب مع المرسل إليه، ومع طبيعة القوم الذين يدعون إلى الاسلام مثال ذلك أن المقوقس عظيم القبط هو بطبيعة الحال نتاج ثقافة معينة وحضارة محددة كونت عقليته وحددت شخصيته وتلك الثقافة مستمدة من الثقافتين: الاغريقية والرومانية.

ولما كانت هاتان الثقافتان تتخذان من المنطق أساساً للتفكير، فقد كان لابد أن يلزم المتحدث معهم اعتماد أسلوب الحوار المنطقي والجدل العقلي على النحو الذي فعله دحية بن خليفة الكلبي مع هرقل.

وحاطب بن أبي بلتعة في محاورته الشهيرة مع المقوقس.

قال دحية إلى هرقل: هل تعلم أكان المسيح يصلي.؟ قال نعم، قال فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له. وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى وبشر به عيسى ابن مريم من بعده وعندك من ذلك اثارة من علم تكفي من العيان[3].

وقال المقوقس لسفير رسول الله «ﷺ» أخبرني عن صاحبك أليس هو نبياً ؟ فقلت بلى وهو رسول الله «ﷺ» قال فماله حيث كان هكذا. لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده.؟ فقلت عيسى بن مريم أليس هو نبياً.؟

---

(١) الشيخ علي بن حسين الأحمدي : مكاتيب الرسول، ص ٦١٥.

(٢) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية، ص ٣٢٩.

(٣) السهيلي : الروض الأنف، جـ٧، ص ٥١٦، ٥١٧.

قال أشهد أنه رسول الله قلت حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه أن لايكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله.

قال: أنت حكيم جاء من عند حكيم[1].

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[5] وقال جل شأنه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[6].

وعلى العكس من ذلك نجد أن الرسالة الشفهية التي حمَّلها رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام، مع مبعوثي باذان لباذان الفارسي وأتباعه من المجوس، وهم الذين لايعتقدون إلا بأشياء تخرج عن نواميس القوم وقوانين الطبيعة وهي المعجزات، فكانت الرسالة هي معجزة الاعلام بالغيب وعلى مستويين:

مستوى الاعلام الغيبي بالماضي حين أماط الرسول عليه الصلاة والسلام اللثام عن حدث فارسيٍّ جلل ألا وهو اغتيال شيرويه لأبيه كسرى فارس وهناك اعلام بالغيب عن المستقبل الا وهو زوال دولة كسرى، وتمزيق ملكه وانتصار المسلمين عليه وانتشار الاسلام في ربوع امبراطوريتهم، كما في «اللهم مزق ملكه» وكما في قوله لباذان «إن ديني وسلطاني سيبلغ منتهى الخف والحافر» وكما في «وقولا له انك إن أسلمت

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل : مسند الإمام، جـ٤، ص ١٩٦.

(٢) سورة البقرة ــ آية ١٤٦.

(٣) سورة البقرة ــ آية ٨٩.

(٤) سورة البقرة ــ آية ١٢٠.

(٥) سورة الجن ــ آية ٢٠.

(٦) سورة آل عمران ــ آية ٨٥.

أعطيتك ماتحت يديك وملكتك على قومك»[1] وهذا ماحصل فعلاً وتحقق. ومثال ثالث «هو أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عندما دعي وأصحابه إلى مجلس النجاشي بحضور وفد قريش برئاسة عمرو بن العاص الذي جاء ليكيد للمسلمين وليردهم إلى قريش، فقد كان الموقف الإعلامي لجعفر بن أبي طالب قائماً على أسلوب إعلامي إسلامي يحرك وجدان النجاشي وعواطفه الدينية لأنه كان نصرانياً فعندما شرح له جعفر في خطبة بليغه موثقة بآيات من القرآن الكريم حقيقة نظرة الإسلام إلى الأنبياء والرسل ومنهم عيسى استطاع جعفر رضي الله عنه أن يكسب المعركة إعلامياً، وأن ينتصر على خصومه رغم ماحملوه للنجاشي من هدايا ثمينة ردها النجاشي إليهم لعدم اقتناعه بحجتهم وقضيتهم الباطلة»[2].

قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[5].

حقيقة أن هذه الأساليب الاعلامية متنوعة في شكلها ومتعددة في صورها، ولكنها تصدر جميعاً من مشكاة واحدة هي مشكاة الحق ونور الاسلام ويقين الدين الذي أظهره الله على الدين كله قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾[6].

---

(١) الشيخ علي بن حسين الأحمدي: مكاتيب الرسول، ص ٩٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التأريخ، ص ٧٩، ٨٠، ٨١.

(٣) سورة البقرة ـــ آية ١٣٦.

(٤) سورة النساء ـــ آية ١٦٢.

(٥) سورة المائدة ـــ آية ٨٣.

(٦) سورة النور ـــ آية ٣٥.

وقال جل شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[1].

ومع تعدد الرسائل النبوية الشريفة واختلاف مناهجها الاعلامية وفقاً لاختلاف المرسل إليهم، فإنها كانت جميعاً تتسم بالتمسك بالدين الاسلامي، وتتحلى بآدابه، مثال ذلك الاصرار على بدء الرسالة بالبسملة، وهي شعار الاسلام الخالد، كما أن الرسائل جميعاً تتضمن الدعوة إلى التوحيد ممثلة في الشعار الالهي: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

كما أن كل رسالة كانت تتضمن تحميل الحاكم الموجه إليه الرسالة مسؤولية عدم الاستجابة إلى نداء الاسلام، وهي مسؤولية تقع عليه شخصياً كما تقع على قومه. ولكنه هو المسؤول عن قومه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[2] وقد كانت الروح الاعلامية في جميع الرسائل النبوية الاعلامية روحاً سامية بدليل: أنه صلى الله عليه وسلم لم يطلب في أية رسالة طلبات مادية، وعلى العكس من ذلك كان يؤمِّن للملوك ملكهم وللرؤساء رئاستهم وللأغنياء أملاكهم، ويعطي ويمنح، ويؤمن في سبيل تأليف القلوب طمعاً في اقبالهم واعتناقهم لدين التوحيد.

ويمكننا تقسيم الاعلام النبوي الشريف إلى نوعين اثنين أساسيين، فالرسائل والكتب الموجهة إلى حكام العرب من أمثال هوذة بن علي حاكم اليمامة، والمنذر بن ساوى، وملكي عُمان، وشيوخ القبائل ووجهاء القوم نعتبرها إعلاماً داخلياً أو إعلاماً محلياً لأنها رسائل وكتب وجهت للأسرة العربية، فهم كانوا يفهمون مضمونها ويقدرون مراميها ويعرفون قيمتها، ومن ثم لقيت نجاحاً باهراً، وظفرت بتأييد بالغ، كما سبق وأن أوضحنا ذلك عند استقبال كل رسالة.

أما النوع الثاني من الإعلام فيمكن أن نطلق عليه الإعلام الخارجي أو الإعلام الدولي لأنه موجه إلى الملوك والحكام من غير العرب وخارج جزيرة العرب من أمثال هرقل وكسرى والنجاشي والمقوقس وغيرهم. وهؤلاء الحكام أجانب لهم شعوبهم

---

(١) سورة الصف ــ آية ٩.

(٢) سورة الأحزاب ــ الآيتان ٦٧، ٦٨.

وعقائدهم ويعتدون بأنفسهم بحيث ينظرون للعرب بأنهم أقل مستوى منهم وأقل قوة وتنظيماً.

ولنتساءل لماذا نجحت رسائل النبي «ﷺ» الموجهة للحكام العرب نجاحاً باهراً أظهرت ثماراً عظيمة في مدة قصيرة من الزمن في حين أن الرسائل الموجهة إلى الحكام والملوك من غير العرب لم تظفر بنفس الدرجة من النجاح الداخلي الذي بلغه الإعلام المحلي.. وفي رأيي أن السبب في ذلك إنما يعود للتجانس الجنسي واللغوي والعادات والتقاليد والأعراف والاتفاق الحضاري بين المُرْسِل «ﷺ» وبين المستقبلين العرب. مما يسّر بلوغ الغاية المنشودة. قال تعالى : « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٢). وقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٣). وقال جل شأنه : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(٤).

في حين أن الرسائل الموجهة إلى الحكام والملوك من غير العرب قد لاقت بعض التعثر والإعراض، وذلك بسبب اختلاف اللغة والجنس، والعادات والتقاليد، والأعراف، فضلاً عن التمسك بالمصالح المادية، مما تعذّر معه أن تبلغ نفس الغايات التي بلغتها الرسائل الموجهة إلى العرب، والتي تمثل الإعلام الداخلي. قال هرقل لقومه : «تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل نجده ونعرفه بصفته التي وُصف لنا فهلمّ فلنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا فردّوا عليه : (نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً وأكثرهم رجالاً وأقصاه بلداً.. ؟ قال : فهلمّ أعطيه الجزية كل سنة أكسر شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه قالوا نحن نعطي العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عدداً، وأعظمهم ملكاً، وأمنعهم بلداً. لا والله لا نفعل هذا أبداً(٥). وقال كسرى بعد أن مزّق كتاب رسول الله يكتب إليّ هذا

---

(١) سورة يوسف ــ آية ٢.

(٢) سورة فصلت ــ آية ٣.

(٣) سورة البقرة ــ آية ١٤٣.

(٤) سورة التوبة ــ آية ١٢٨.

(٥) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية، جـ٤، ص ٢٦٨.

الكتاب وهو عبدي ؟»[1]. قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[2] وجعله الله عبرة بأن قتله ابنه شيرويه. قال تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[3].

وقال المقوقس : «وقد علمت أن نبياً قد بقي وقد أظن أنه يخرج بالشام»[4].

وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[5] وقال جل شأنه: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[6].

وقال عز من قائل: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾[7] وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[8].

وبفضل من الله ثم بحكمة رسوله الكريم «ﷺ» تمكن الإسلام من قهر عبادة الوثنية بأشكالها المختلفة، وكذلك كشف عن انحراف اليهودية والنصرانية حيث دعا بالتوحيد الخالص لله رب العالمين، والمساواة بين الجنس البشري، حيث يتميز المسلم عن غيره ليس بعلة مولده أو لونه أو أي عامل آخر، ولكن بمدى خشيته من الله وأخلاقياته وأعماله الصالحة وتفكيره السديد.

فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[9].

وأسأل الله التوفيق،

أحميد محمد العقيلي

الرياض ص.ب ١٢٣١٥٥

الرمز البريدي ١١٧٤١

---

(١) الإمام الكلاعي، مخطوطة السيرة النبوية الشريفة، عام ١١٤٧هـ، مكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة، ص ٢٣٢، والوفا بأحوال المصطفى، جـ٢، ص ٧٣٢.

(٢) سورة البقرة ــ آية ٢٠٥.

(٣) سورة الدخان ــ آية ٤٩.

(٤) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٠٧، وجمهرة رسائل العرب للدكتور أحمد صفوت، جـ١، ص ٤٣.

(٥) سورة القصص ــ آية ٦٩.

(٦) سورة القصص ــ آية ٧٨.

(٧) سورة العنكبوت ــ آية ١١.

(٨) سورة القصص ــ آية ٥٠.

(٩) سورة آل عمران ــ آية ٨٥.

(مصـادر البحـث)

١	إتحاف الأنام بخطب رسول الاسلام	محمد خليل الخطيب
٢	الأحكام السلطانية	علي حبيب البصري الماوردي
٣	الاسلاميات	الأستاذ / عباس محمود العقاد
٤	الاسلام والسلام	محمد طيب الله ــ عضو البرلمان الهندي (ترجمة: محمد عبدالفتاح ابراهيم).
٥	اضمحلال الامبراطورية الرومانية	ادوارد جي بون ترجمة: محمد سليم سالم
٦	الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام	الامام القرطبي ــ تحقيق الدكتور / (أحمد حجازي السقا)
٧	الاعلام الدولي	د / أحمد بدر
٧	الاعلام الدولي بين النظرية والتطبيق	مكتبة الأنجلو المصرية
٩	الاعلام والدعاية	د / عبداللطيف حمزة
١٠	الاعلام والدعاية	د / محمد عبدالقادر حاتم
١١	الاعلام الاسلامي «المرحلة الشفهية»	د / ابراهيم امام
١٢	الاعلام	الزركلي
١٣	الأموال	أبو عبيد القاسم بن سلام
١٤	إنارة الدجى في مغازي خير الورى	أبو علي حسن بن محمد مشاط
١٥	انتشار الأديان	رفيق المعروف بعظم زاده
١٦	الأنس الجليل وتاريخ القدس والخليل	القاضي مجير الدين الحنبلي
١٧	البداية والنهاية	الحافظ بن كثير
١٨	التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية	النبهاني
١٩	التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام	د / عبدالله يسري أحمد
٢٠	الثقافة الاسلامية	محمد المبارك، وآخرون
٢١	الحكم والادارة في الاسلام	د / أكرم رسلان
٢٢	الدعوة الاسلامية	السيد توماس .و. أرنولد
٢٣	الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها	د / أحمد غلوش

٢٤	الدعوة الاسلامية دعوة عالمية	الأستاذ / محمد الراوي
٢٥	الدرر في اختصار المغازي والسير	الحافظ يوسف النمري
٢٦	العقد الفريد	أحمد بن محمد عبد ربه
٢٧	الدولة الاسلامية تاريخها وحضارتها	عبدالحميد العبادي
٢٨	الروض الأُنُف	الامام المحدث عبدالرحمن السهيلي
٢٩	السنة المطهرة	
٣٠	السياسة الخارجية للدولة الاسلامية	عبدالله بن ناصر السحيباني
٣١	السيرة الحلبية	الشيخ / علي بن برهان الدين الحلبي
٣٢	السيرة النبوية	الامام أبو الفدا اسماعيل بن كثير
٣٣	السيرة النبوية	أحمد زيني دحلان
٣٤	السيرة النبوية	السيد أبو الحسن الندوي
٣٥	الصحيحان	صحيح البخاري وصحيح مسلم
٣٦	الصلاة حياة	الأستاذ / محمد بهنسي
٣٧	الطبقات الكبرى	ابن سعد
٣٨	العبقرية العسكرية في غزوات الرسول	الأستاذ / محمد فرج
٣٩	العقيدة والشريعة في الاسلام	اجناس جولد تسيهر ترجمة / محمد يوسف موسى
٤٠	القرآن الكريم	
٤١	القيادة وفاعليتها في ضوء الاسلام	د / أحمد ماهر البقري
٤٢	الكامل في التاريخ	ابن الأثير
٤٣	المدخل المعاصر لمفاهيم ووظائف العلاقات. العامة	د / حسين محمد علي
٤٤	المستشرقون	الأستاذ / بخيت العفيفي
٤٥	المعارف	عبدالله بن مسلم (ابن قتيبه)
٤٦	المعجم الكبير	الطبراني
٤٧	المغازي	أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي
٤٨	المسند	الامام أحمد بن حنبل
٤٩	الموسوعة الثقافية	د / حسين سعيد
٥٠	الموسوعة الذهبية	د / ابراهيم عبده
٥١	الموسوعة العربية الميسرة	محمد شفيق غربال
٥٢	النصرانية	الشيخ محمد أبو زهرة

٥٣ الوثائق السياسية اليمنية — محمد بن علي الأكوع الحولاني

٥٤ الوفا بأحوال المصطفى — أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي

٥٥ اليمن عبر التاريخ — أحمد حسين شرف الدين

٥٦ بين الحبشة والعرب — د / عبدالمجيد عابدين

٥٧ تاريخ بن خلدون — عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي

٥٨ تاريخ الاسلام — د / حسن ابراهيم حسن

٥٩ تاريخ الأمم والملوك — الامام جعفر محمد بن جرير الطبري

٦٠ تاريخ ايران — شاهين مكاريوس

٦١ تاريخ الخميس — حسن بن محمد الحسن الديار بكر

٦٢ تاريخ العرب العام — سيديو ــ ترجمة / عادل زعيتر

٦٣ تاريخ اليعقوبي — أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب

٦٤ تتمة المختصر في أخبار البشر — زين الدين عمر الوردي

٦٥ ترتيب القاموس المحيط — الطاهر محمد الزاوي

٦٦ تطور الحروف العربية على آثار القرن الهجري الأول الاسلامي — د / صفوان التل

٦٧ جغرافية جزيرة العرب — عبدالرحمن عبدالكريم النجم

٦٨ جامع البيان — الامام جعفر محمد بن جرير الطبري

٦٩ جمهرة رسائل العرب — أحمد زكي صفوت

٧٠ حاشية السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية — ابن تيمية

٧١ حاشية الرسول القائد — محمود شيت خطاب

٧٢ حياة الصحابة — محمد يوسف الكاند هلوى

٧٣ حياة محمد — دكتور / محمد حسين هيكل

٧٤ خاتم النبيين — الشيخ محمد أبو زهرة

٧٥ خطط — المقريزي

٧٦ خلق المسلم — الشيخ محمد الغزالي

٧٧ دائرة المعارف الحديثة — أحمد عطيةالله

٧٨ دائرة المعارف — المعلم بطرس بستاني

٧٩ دائرة المعارف القرن العشرين — محمد فريد وجدي

الرقم	الكتاب	المؤلف
٨٠	دبلوماسية محمد	عون الشريف قاسم
٨١	دراسة في السيرة	د / عماد الدين خليل
٨٢	ذكريات طيبة	هاشم محمد سعيد دفتر دار
٨٣	ذيل الملل والنحل	الشهرستاني
٨٤	زاد المعاد	ابن قيم الجوزية
٨٥	سيرة النبي	محمد عبدالملك بن هشام
٨٦	سيرة النبي	محمد عزت دروزه
٨٧	سيدنا محمد في إبداعه الأدبي	د / محمد أحمد البيومي
٨٨	شرح المرسوم بالفوائد الجليلة	محمد قاسم
٨٩	شرح المواهب الدينية على المواهب اللدنية	الشيخ محمد عبدالباقي الزرقاني
٩٠	صبح الأعشى في صناعة الإنشا	أحمد بن علي القلقشندي
٩١	صفة جزيرة العرب	الهمذاني
٩٢	صور من الجهاد	الشيخ زيد بن فياض
٩٣	صورة من حياة الرسول	أمين دويدار
٩٤	ظهور الإسلام وسيادة مبادئه	د / عبد الحميد بخيت
٩٥	عمدة القاريء في شرح صحيح البخاري	
٩٦	عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير	ابن سيد الناس
٩٧	غاية الأماني في أخبار القطر اليماني	يحيى بن الحسين القاسم
٩٨	فتوح البلدان	أحمد يحيى البلاذري
٩٩	فتوح الشام	أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي
١٠٠	فتوح مصر وأخبارها	أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم
١٠١	فقه السيرة	محمد سيد العيوطي
١٠٢	في صحبة النبي	محمد صالح البنداق
١٠٣	في ظلال القرآن	سيد قطب
١٠٤	قصة كبيرة في تاريخ السيرة	الرائد / محمد مهدي عامر
١٠٥	كتاب الخراج	القاضي أبو يوسف بن ابراهيم
١٠٦	كتاب الشفا	القاضي عياض
١٠٧	كتاب الوحي	أحمد عبدالرحمن عيسى
١٠٨	كفاية الطالب المعروف بالخصائص الكبرى	الحافظ جلال الدين السيوطي
١٠٩	كنز العمال	علاء الدين الهندي

١١٠ لسان العرب المحيط — لابن منظور إعداد وتصنيف (يوسف خياط)

١١١ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة — د / محمد حميد الله

١١٢ محاسبة الزكاة — د / حسن حسين شحاده

١١٣ محمد في بشارة الأنبياء — محمود الشرقاوي

١١٤ محمد في التوراة والإنجيل والقرآن — ابراهيم خليل أحمد

١١٥ محمد رسول الله — محمد رضا

١١٦ مروج الذهب — المسعودي

١١٧ مخطوطة سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد — الشيخ / محمد بن علي الشامي الصالحي

١١٨ مخطوطة السيرة النبوية — الامام الكلاعي

١١٩ مخطوطة السيرة النبوية — الامام الكاظوني

١٢٠ مخطوطة المواهب اللدنية — الامام أحمد القسطلاني

١٢١ مشكل القرآن — ابن قتيبة

١٢٢ معالم تاريخ الإنسانية — هـ.ج. ويلز ترجمة لجنة التأليف والنشر

١٢٣ مغازي الرسول — عروة بن الزبير ــ تحقيق الدكتور / محمد الأعظمي

١٢٤ مكاتيب الرسول — الشيخ علي بن حسين علي الأحمدي

١٢٥ موكب النور في سيرة الرسول — محمد زكي بيضون

١٢٦ نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله — د / عون الشريف

١٢٧ نصب الراية — الزيلعي

١٢٨ نظام الحكومة النبوية / التراتيب الإدارية — الشيخ عبدالحي الكتاني

١٢٩ نهاية الأرب — النويري

١٣٠ وسائل الوصول إلى شمائل الرسول — يوسف اسماعيل النبهاني

الفهـــــرس

الصفحـــة

رقم الإيداع : ١٧/٢٠٦٦
ردمك : ٤ـ٧٣٧ـ٣١ـ٩٩٦٠

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٢	١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م	١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م
١٩	١٦	المندر	المنذر
٥٢	٢٣	البسمه	البسمله
٥٧	٣	لحيتهما	لحيتيهما
٥٧	١	والاقرار	والإقرار
٦٩	٣	الايمان	الإيمان
٨٠	١٤	يعبدونهما	يعبدونهما
٨٩	١٩	فان	فإن
١٣٢	٢٣	هذا	هذا
١٥٥	٢٣	العنوان يجب أن يكون في صفحة ١٥٢ وأن يكتب عنوان الصفحة ١٥٢ في صفحة ١٥٥.	
١٨٨	٦	بن حزم	بن حزم
١٨٩	١	نص	نص
١٨٩	٢٣	جدع	جذع
١٨٩	٢٥	نفسه	نفسه
١٩٤	٢٢	وأعز	وأوعز
٢٠٩	١٢	وبالنسبة	وبالنسبة
٢٠٩	١٣	يملآن	يملأان
٢٢٢	٥	ان	إن
٢٢٧	١٨	–	٧
٢٣٥	٢٠	ووأقم	وأقم

Information Indications & Effect of Prophet Messages to Kings & Leaders

Ahmayed Mohammed Al-Eqaili

طبعت بمطابع الشرق الأوسط ٤٠٢٧٦٣٣

ردمك : ٤_٧٣٧_٣١_٩٩٦٠